المهندس غسان سميح الزين

المسألة اليهودية

قصة الصراع اليهودي المسيحي

منذ عام 576 ق. م. الى عام 1900 م

الجذور



المهندس غسان سميح الزين

المسألة اليهودية

قصة الصراع اليهودي المسيحي
منذ عام 576 ق. م. إلى عام 1900م

الجذور



بيسان

• اسم الكتـاب: المسالة اليهودية
• تـاليــــف: المهندس غسان سميح الزين
• الطبعة الأولـى: كانون الثاني (يناير) 2013م

ISBN: 2 - 84409 - 696 - 4

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissanbookshop.com

في البدء كلمة حق لأصحاب الحق

إن هذا البحث ما كان له أن يوجد لولا مجهود كثير من الباحثين، عرباً وأجانب، ولو اختلفت معهم في وجهات النظر، وهم الذين استعنت بعملهم وأبحاثهم، فهم أصحاب الفضل الحقيقي، ولهذا اقتضى التنويه .

وأيضاً لا بد لي من أن أشكر كلاً من الرابطة الثقافية في طرابلس بكامل إدارتها الثقافية، والصديق الدكتور القس إبراهيم سروج، صاحب دار ومكتبة السائح في طرابلس لبنان، على ما أمداني به من يد المساعدة بالنسبة لعدد كبير من المراجع التي كانت لي عوناً على البحث ولولاها لما ظهر للوجود.

* * *

ملاحظة: اعتمد هذا البحث في نصوصه الدينية العائدة للعهد القديم والعهد الجديد على نص الترجمة العربية للعهد القديم والعهد الجديد التي قامت بها الرهبانية اليسوعية ونشرتها دار المشرق عام 1991 م. في بيروت وحملت إذناً بنشرها من النائب الرسولي للاّتين بولس باسيم .

* * *

الإهداء

إليك يا من زرعت في نفسي روح السعي نحو المعرفة بما كنت أراه أمامي من نمط حياتك، فلقد كان وقت الراحة عندك للسعي نحو المزيد من المعرفة لا للهو في ما لا طائل منه.

إليك يا من زرعت في أعماق عقلي حرية التفكير حتى أقصى المدى .

إليك يا من علمتني كيف يكون الجهاد دون الرأي في الحياة.

إليك، ايها العصامي، الذي أنشأت وتركت ثروة فكرية لا تقدر بثمن عند من يعرف قيمتها، من خلال مؤلفاتك، ومن مكتبة خاصة، في زمن لا تقدير فيه إلا للذهب البراق الخادع.

إليك يا والدي، أهدي هذا الجهد المتواضع الذي كنت لي أثناء تحريري له المثال الذي أنسج على منواله.

* * *

طيب الله ثراك، وشملك برحمته وعدله، وأسكنك أرغد جنان الخلد.

غسان

«يعاني المجتمع (العربي) من حالة اغتراب مستعصية تتجلى خاصة في: تبعيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي عجزه تجاه التحديات التاريخية، وفي تراوحه بين الخضوع والعزلة من جهة والمواجهة من جهة أخرى، وفي قهر الإنسان وتعطيل امكاناته وحرمانه من حقوقه الاساسية، وفي تداعي المجتمع من الداخل، وفي سيطرة المؤسسات والجماعات الوسطية على المجتمع بالرغم من هيمنة الدولة.

يمر المجتمع العربي في مرحلة انتقالية استغرقت زمناً طويلاً جاهد خلالها في سبيل التغلب على التخلف وتحقيق النهضة».[1]

الدكتور حليم بركات

☆ ☆ ☆

(1) بركات د. حليم، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط: 6، 1998، ص: 9.

«إن كل نضال سياسي أو ثوري كبير في صنع التاريخ يقترن بإنتليجنسيا تعبر عنه، وتمثل الوعي الذي يحدد علاقته بالواقع الذي يتفاعل معه، الواقع المدعو إلى تغييره، وتطويعه لمقاصده وبالتالي فإن طريقة تعامله مع هذا الواقع أو درجة فاعليته في إعادة تكوينه في ضوء هذه المقاصد، ترتبط بنوعية الإنتليجنسيا، بالإمكانيات التي تميزها وبقدرتها على ممارسة الدور الذي يترتب على وجودها. . . . . . ، إن سقوط الإنتليجنسيا (العربية) يعود نهائياً وأساسياً إلى عقلية تبشيرية أحلت الرغبات، والمشاعر، والحوافز الذاتية محل الإدراك الموضوعي للواقع الذي تتعامل معه . إنها عقلية تدور حول ما يجب عليه الواقع بدلاً مما يمكن أن يكون عليه في ضوء ما ينكشف عليه من وقائع، وليس بالانطلاق مما يسمح به هذا الواقع، من الإحتمالات التي يمكن أن يكشف عنها، والحدود الموضوعية التي يجب أن يعمل فيها . «ما نحتاجه» هو تفسير منظم (systematic) عام لما حدث، أي لسقوط النضال العربي الحالي، لعجزه عن تحقيق مقاصده، أو حتى التوجه الفعال نحوها، وذلك بالإنطلاق من عقلية علمية منسقة تفرض وجودها بالنسبة لأي مثقف لا يقول فقط بالعقل العلمي، أو يضع هذه العبارة بشكل خارجي بليد كما هو الحال مع الأكثرية الساحقة من الإنتليجنسيا الحالية، بل يستوعب ويمثل تماماً هذا العقل.»[1]

الدكتور نديم البيطار

☆ ☆ ☆

بما سبق قام كل من الدكتور حليم بركات والدكتور نديم البيطار بتصوير وضع الأزمة الثقافية العربية وأزمة المثقف العربي، ونضيف لما قالاه ما يعانيه المثقف العربي من فقدان للحرية ووصاية عليه من خلال المراقبة على ما يرد للبلاد من مطبوعات، فالعالم يقرأ ما ينشر عن العدو ونحرم أنفسنا الإطلاع عليه .

☆ ☆ ☆

---

(1) البيطار د. نديم، المثقفون والثورة، بيسان، ط:2، 2001، ص : 5 و6

تـوطئـة

أذكر حين تسلّم والدي نسخته من الموسوعة الفرنسية La Grande Larousse، في الستينات من القرن العشرين، وهي التي كانت تصدر أعدادها بالتتابع، كانت مادة «إسرائيل ـ Israël» قد نزعت من الموسوعة، وسُوِّد بالحبر الصيني القسم الصغير المتبقي من المادة العائدة لنفس العنوان .

قرأ العالم ما كتب عن «إسرائيل» في الموسوعة الفرنسية، وحرمنا أنفسنا نحن العرب من معرفة العدو وما يكتب عنه، واعتبرنا مقاطعتنا له وحذف ما نشر عنه من الموسوعة عملاً وطنياً .

لله دَرُّنا! رقابة، و . . . الخ .

كأنما مثلنا الأعلى في ما نتصرف هو النعامة وما تفعله .

☆ ☆ ☆

«لا تزال فلسطين تشكل قضية المصير الأولى للأمة العربية بأكملها. وعلى ترابها سوف تقرر هوية هذه الأمة ومستقبلها . فإما تدرك أمتنا خطورة ما يحاك ضدها من مؤامرات فتهب مدافعة عن وجودها وبقائها، وإما أن تركن للتراخي والإستسلام فينتابها المزيد من التمزق والضياع وتصبح لقمة سائغة في أفواه

الطامعين والحاقدين. إن القضية الفلسطينية هي أهم القضايا وأساس التحديات التي تواجه العرب جميعاً، فالخطر الصهيوني لا يهدد عروبة فلسطين وحدها فحسب، وإنما يمتد تهديده ليشمل الوطن العربي من خليجه إلى محيطه. وها هو التاريخ يروي لنا أخبار المحاولات المتتالية لإقامة مستوطنات يهودية في ليبيا ومصر والجزيرة العربية والخليج والأردن وسوريا والعراق. ومثل هذه المحاولات لم تجر في التاريخ القديم، بل جرت بالأمس القريب، إذ لم يمض عليها سوى فترة قصيرة من عمر الزمن. فالكل مهدد، والكل ينتظر دوره ما لم ينفض الجميع عن كاهله غبار الوهن واللامبالاة ويجابه الخطر بقوة وتصميم. . . وعندها فقط يمكن القول إن تاريخ العرب الحديث قد اتخذ مساره الطبيعي.»[1]

☆ ☆ ☆

القضية الفلسطينية هي القضية الصعبة في عالمنا العربي وأخطرها ـ الأزمات في عالمنا العربي حدث ولا حرج ـ وهي التي منذ زمن انطلاقها انعكست عليها أزمة العقل العربي، وهذا الأمر جدير بأن يكون موضوعاً لبحث مستقل عنوانه «القضية الفلسطينية وانعكاس أزمة العقل العربي عليها».

☆ ☆ ☆

جاء في كلمة الناشر لكتاب «**الفكر العربي وصراع الأضداد**»: «لم يكن من المتصور قبل عقود قليلة نشر مثل هذا الكتاب في العالم العربي. وقد أشرنا في حينه إلى أن المؤلف أبقاه لسنوات بعيداً عن دائرة الضوء لما احتواه من قضايا ونصوص بالغة الخطورة في شؤون الدين والفكر والسياسة، لذلك لم يدخل هذا الكتاب دائرة النشر إلا قبل ثلاث سنوات عندما أصدرنا طبعته الأولى في منتصف عام 1996 م. كتابه الأسبق (تحولات الفكر والسياسة) الذي صدرت طبعته

(1) محمود د. أمين عبدالله، مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة 74، الكويت، 1984، ص: 5.

الأولى عام 1980 م. (عالم المعرفة عدد رقم 35) تضمن ما أمكن نشره في حينه من مقدمات المشروع وملامحه.»[1]

☆ ☆ ☆

إن عالمنا العربي اليوم يعاني من أزمات قاتلة تقف حائطاً وسداً منيعاً في وجه النهوض والإصلاح فيه. اولها هو عدم وجود الحرية الفكرية فيه ومعها عدم انتشار التفكير العلمي وفق تقنين الحضارة الغربية لهما، وسيطرة المنهج الغيبي على ما يسطر فيه من منشورات وتحليلات، وثانيها عدم رؤية النفس والآخر كما هما لا وفق الأماني، ومعه الإعتراف بالآخر، وثالثهما هو عدم تخصيص السلطات الرسمية المبالغ لدعم البحث العلمي، أو عدم دعم مراكز البحث والتوثيق فيه من قبل أهل الخير، فأهل الخير فينا يحبون اطعام البطون ودونهم اطعام العقول، على مبدأ قصيدة الرصافي «ما فاز إلا النوم» وللقوم لهم أن يأكلوا، ولكن الخير كل الخير هو أن «لا تتكلموا» أو أن «تعلموا»[2]، وهجرة الشباب المتعلم، والعقول العربية من موطنها نحو الغرب، خير دليل على عمق الأزمة فيه. وهذه الأزمة متفاقمة إلى حدّ أن المراكز العلمية العربية، ودور النشر في بعض الأحيان، لا تستطيع أن تنشر ما يصل إليه البحث العلمي العربي من نتائج، والمثال، ما حدث وأشرنا إليه في مطلع كلامنا، عن رسالة الدكتوراه للدكتورمحمد جابر الأنصاري، فكم بقيت في الأدراج قبل نشرها على الناس،

(1) الأنصاري، محمد جابر، الفكر العربي وصراع الأضداد، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط:2 1999، كلمة الناشر، ص: 7؛ الكلام مقتطع من كلمة الناشر لكتاب د. محمد جابر الأنصاري» الفكر العربي وصراع الأضداد» وهو نص رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الأنصاري من اللجنه الفاحصة في الجامعة الأميركية ونال عليها درجة العالميه كدكتور وأودعت نسخ عنه في مكتبة الجامعه الأميركية عام 1979 م.

(2) للشاعر الكبير معروف الرصافي قصيدة وطنية دخل على أيدي الإنكليز الحبس لأجلها مطلعها:

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوَّمُ
ودعوا التعلُّم جانباً فالخير أن لا تعلموا. .

فذهنية التحريم هي السرطان المستشري فينا، وهو الذي لم يتم الشفاء منه لليوم. وأخيرا لا آخراً، حجم القراء في عالمنا العربي نادر ندرة الحرية الفكرية فيه. فالعالم العربي في تعداده اليوم يقرب من تعداد سكان الولايات المتحدة الأميركية، وأصغر اصدار للكتاب المعروفين في الولايات هو مليون نسخة، والإصدار الطبيعي هو خمسة ملايين، وأكبر اصدار للكتاب المشهورين في العالم العربي هو ثلاثة آلاف نسخة[1]، ويستغرق زمناً طويلاً حتى يباع، وحجم الإصدار وما يستغرقه من زمن حتى يباع، يعكس حجم القراء وحجم الإهتمام بالقضايا الفكرية لدى الشعب العربي، مما يدعو للأسف إلى تذكر المثل القائل بأن «لا حياة لمن تنادي»؛ وقس على ذلك ما تبقى من أمور تعود لإمور الفكر.

☆ ☆ ☆

«إن قضية العقل العربي هي قضيتنا الحضارية الأولى، لأنها القضية التي تتوقف عليها مواجهتنا لجميع قضايانا المصيرية مواجهة قويمة. فعقلنا هو الذي يقرر مصيرنا، لأنه هو الذي يوفر لنا الإدراك الحقيقي للمعطيات الفعلية لعملية تقرير المصير، فيؤمن لنا الحكمة السياسية بل الحكمة الإنسانية في وجهها الأبسط والأعقد، حكمة اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وحكمة اعتماد الموقف الملائم في الحين الملائم.»[2]

☆ ☆ ☆

وما زلت أذكر ذلك الجزء من كلمة دولة الرئيس رفيق الحريري التي ألقاها في قاعة الأونيسكو عام ألفين بمناسبة التكريم الذهبي لخريجي كلية الطب في الجامعة الأميركية حين قال بما معناه: تعلم العديد من الطلبة ونالوا الدرجات

(1) يستثنى منه ما تصدره جريدة السفير وزميلاتها من كتاب الشهر، وسلسلة عالم المعرفة في الكويت، الذي يصل إصدارها إلى ما يقرب من خمسين ألف نسخة، ويعدّ أكبر إصدار في العالم العربي، وهو كتاب يوزع مجاناً في حالة السفير وشبه مجاني في حالة عالم المعرفة.

(2) صعب د. حسن، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، ط:3، 1980، ص: 3.

العلمية العالية من أحسن الجامعات في العالم، ومنهم من عاد إلى بلاده ومنهم من توطن حيث درس، ولا يمكن أن نقارن بين إنتاج من توطن منهم حيث درس في العالم المتقدم، وبين من عاد إلى بلدنا. فلقد ظهر على وجه اليقين أن البيئة هي العامل الرئيس في إنتاج الإنسان حتى المتعلم منه.

وبيئتنا العربية كما هو موصوف سابقاً، فمن أين الرجاء في عالمنا العربي ولو ممن تعلم في أحسن مراكز التعليم في العالم.

☆ ☆ ☆

من ضمن المقاطعة العربية للعدو كانت المقاطعة الفكرية، كما أشرنا سابقاً، فجهلنا لوحدنا معرفته بالصورة العلمية الصحيحة، وجهد بلهفة ونشاط نحو معرفتنا بالصورة العلمية الحقيقية من الداخل؛ فمما عرف من التحقيقات الأخيرة مع جواسيس العدو في بلدنا لبنان أن من المهام المكلّف بها أعضاء الشبكات الجاسوسية عنده في لبنان هو تقصي شعبية عدوه، حزب الله في الجنوب، ونحن ما هو منشور ومتاح عنه نمنع عن انفسنا معرفته.

فلِلّه دَرُّنا.

☆ ☆ ☆

من جملة قصورنا في ميدان معرفة قضايانا، هو معرفتنا وتحليلنا للقضية الفلسطينية وأسباب نشوئها للأسف، إذ لم تصور القضية الفلسطينية في العالم العربي، عند الغالب منا، إلا على أنها قضية صنعها غدر الإستعمار البريطاني بدافع من المحافظة على أطماعه الإستعمارية، وهذا صحيح لكنه ليس بكامل؛ إن الأصح والأهم هو الجانب المهمل من الصورة وهو الأخطر، وهو الذي يتوجب علينا التعامل معه حين بحثنا عن الحلول لهذه القضية التي رزئنا بها، وهو أن سبب إقامة هذه المستعمرة الإستيطانية في فلسطين المكونه من السكان اليهود، بالإضافة لما سبق من سبب، أنه حل للمسألة اليهودية التي عانت منها أوروبا لمدة طويلة تزيد عن ألفي سنة، والمتمثلة بالصراع الديني اليهودي

المسيحي، وكان القرار بتسوية الموضوع، بطلب من اليهود، وبمساعدة من السلطات الرسمية في أوروبا، هو أن تقام على أرض ما من العالم دولة لليهود يتجمعون فيها، «فيرتاحون، ويريحون»، ووقعت القرعة بعد التي واللتي بجزء من الحل على فلسطين.

ان هذه الدراسة تحاول أن تطرح استكمالاً لوجهة النظر المحللة لبواعث إنشاء الكيان الصهيوني القائم اليوم على الأرض العربية الفلسطينية. هذا الاستكمال برأينا سيشكل في مجرى الرؤية للخطرالمائل علينا، وللفهم الحقيقي للدوافع التى أدت إلى حضوره وإستيطانه الأرض العربية، واستمرار الدعم له من الغرب الأوروبي والأميركي، مجرىً جديداً في استراتيجية ادارة الصراع معه وفي استراتيجية التعامل مع الأطراف الداعمة له، بعد فهمنا لبواعثها الحقيقية، وقد غاب عنا هذا للأسف زمناً طويلاً رغماً عن أهميته الكبيرة في تشكيل رأينا نحو العدو ومن يسانده من قوى.

ومن الأمثلة على ما نقول الدراسة القيّمة الأخيرة للباحث عوني فرسخ الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية «**التحدي والإستجابة في الصراع العربي ـ الصهيوني، جذور الصراع وقوانينه (1799 ـ 1949)**» فلقد جاء فيها: «... فإسرائيل ليست بالدولة الطبيعية النشأة والدور، إذ لم تقم نتيجة تطور طبيعي اجتماعي سياسي لشعب مقيم في أرض آبائه وأجداده، وإنما بتهجير يهود متعددي الأصول والأوطان واللغات والثقافات، كي يشكلوا المادة البشرية لآخر مشاريع الاستعمار الاستيطاني العنصري التي أفرزتها المجتمعات الأوروبية. وهو، منذ أن كان مجرد فكرة إلى أن أصبح دولة إقليمية القدرات، عالمية المكان والاعتبار، موضوع عمل مبرمج وجهود مكثفة وتنسيق دائم بين القوى الاستعمارية والحركة الصهيونية. كان من بين صناع قرار القوى التي ساهمت في دعم الحركة الصهيونية ورعايتها، وتمكينها من إقامة إسرائيل، من عرفوا بمعاداة اليهود. كما كان بينهم من تقدمت لديهم مصلحتهم في دعمها على تناقضاتهم العدائية فيما بينهم. وهي حالة نادرة في التاريخ الإنساني إن لم تكن فريدة

فيه.»[1] والتفسير العلمي لما يتساءل عنه الأستاذ عوني فرسخ هو أنهم كانوا متفقين على أن موضوع إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو الحل للمسألة اليهودية التي يعانون منها منذ ألفي سنة، فتوافقهم رغماً عن تناقض المصالح فيما بينهم، مبعثه هو الحل المرتجى للمسألة اليهودية في أوروبا، وبهذا نستطيع أن نفسر سبب ارتباط الإستعمار الغربي مع الحركة الصهيونية.

☆ ☆ ☆

تعزى «.. نشأة النزعة الإستيطانية اليهودية إلى أصول إمبريالية غربية في فرنسا وبريطانيا قبل غيرهما من الدول. لقد أدركت هذه الدول الأوروبية ذات الأطماع الإمبريالية التوسعية أن توطين اليهود في فلسطين يؤدي خدمات جليلية لمصالحهما في الشرق. ولذا بدأت تتسابق في استغلال جميع الوسائل التي تساعدها للإستثمار بتأييد اليهود بشكل عام والمتنفذين منهم، بشكل خاص لمشاريعها المتعلقة بتوطين اليهود. ويصبح هؤلاء المستوطنون ـ بالتالي ـ مجرد أداة من أدوات الدولة المهيمنة عليهم يؤمنون مصالحها ويحرسون مواقعها. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك رغبة متزايدة لدى الغالبية في اختيار فلسطين ـ أو غيرها عند الضرورة ـ ملجأ تتجه إليه هجرات فقراء اليهود الوافدة من روسيا وشرق أوروبا، لتخليص شعوبها من عبء هذه الهجرات ومشاكلها. ولم يكن يهود أوروبا الغربية أقل رغبة من غيرهم في التخلص من هذه الهجرات وإيجاد مكان آخر تتجه إليه وتستقر فيه.»[2]

☆ ☆ ☆

وصورة عن هذا الصراع وعمقه، هو ما جاء من قول منسوب الى النائب

(1) فرسخ عوني، التحدي والإستجابه في الصراع العربي ـ الصهيوني...، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان 2008، ص: 19.

(2) محمود د. أمين عبدالله، مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة 74، الكويت، 1984، ص: 6.

العام في زمن القيصرية الروسية عام 1880 م. زمن الإمبراطور اليكساندر الثالث: «فلقد استمر أليكساندر الثّالث بتأثره في موقفه نحو اليهود بتوجيهات وكيل المجمع الكنسي المقدّس، Pobiedonostzev، الذي عين نائبا عاما في عام 1880م، والذي ذكر بأنه قال بأن الثلث من يهود روسيا يجب أن يجبروا على الهجرة، والثلث الآخر سيرغمون على قبول المعمودية المسيحية، والبقية سيجلبون إلى حافة المجاعة.».[1] والمسكن الرئيس السابق لليهود المقيمين في فلسطين كان روسيا القيصرية وبولونيا التي كانت جزءا منها.

☆ ☆ ☆

موضوع المسألة اليهودية، منذ جذورها حتى اليوم كبير وواسع، ومر بثلاث مراحل، الأولى منذ الجذور، أي منذ زمن السبي الأول على أيدي نبوخذ نصر أي ما قبل مولد يسوع الناصري، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وفي الحق حتى عام 1907 م عام صدور قرارات لجنة أو مؤتمر كامبل بانرمن[2] السرية في لندن إن صح انعقاده، والمرحلة الثانية من زمن انعقاد مؤتمر كامبل بانرمن أو مطلع القرن العشرين إلى عام 1948 حين أعلن قيام دولة «اسرائيل»، والمرحلة الثالثة هي منذ عام 1948 حتى يومنا الحاضر.

☆ ☆ ☆

هذا البحث، يتقصى بدراسة علمية تاريخية موثقة جذور الصراع اليهودي المسيحي في العالم وأوروبا بصورة خاصة، بصيغته الفكرية اللاهوتية الدينية، تحت «**عنوان إشكالات رئيسية**» تناولت فيها شرح تفاصيل حيثيات منبع الصراع الفكري اللاهوتي فيما بينهما، ومعه تاريخ الصراع بصيغته التاريخية الإجتماعية،

(1) انظر في الباب الرابع قسم المسألة اليهودية في عصر القيصرية الروسية، عصر الكسندر الثالث.
(2) للأستاذ صقر أبو فخر بحث يذهب فيه إلى أن مؤتمر كامبل بانرمن ليس له من وجود في أوراق كامبل بانرمن.

وفق ما يرسمه المفكرون اليهود ضمن المصادر التي نشروها في الموضوع، وكاَن ذلك الإختيار مني عن قصد رغماً عما يتضمنه من محظورات، لأننا برأيي، أشد ما نحتاجه اليوم، هو أن ندخل إلى داخل عقل الآخر لنقرأ ما هو مخطوط فيه، لا أن نتوهم الأمور وفق ما نهوى، فنطلق الأحكام العامة دون تمحيص ودراسة. وليت مثل هذه الأقوال والأحكام العامة والمجتزأة التي نطلقها ونملأ بها الصحف عن بدء انهيار الكيان الصهيوني، وعن الموت الهانئ للمرحوم الدكتور عبد الوهاب المسيري[1] بعدما دخلت اسرائيل عصر التراجع والإنهيار، و...، الخ، لها أثر يرتجى، ويكون ما يذكر صحيحاً لا من الأماني، ولكنها أقوال ترضي النفس، وهي من كل جوانبها مضرة حتى أقصى المدى، وهي لا تشير إلا إلى تأخرنا وإلى عمق إيماننا وتسليمنا بالقوى الغيبية التي ستسخرها الطبيعة لتخدم مصالحنا وليتها تكون صحيحة، إنها أضغاث أحلام اليقظة التي وليدها الكوارث.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً:

«هل شرعت حركة التاريخ - وتأكيداً لقضاء الله تعالى في الكتاب - على استخدام الجهود الدولية للمجيء باليهود جماعات جماعات إلى أرض فلسطين. حتى يتحقق «وعد الآخرة» ويكون مصير اليهود الفناء، والزوال من الوجود وذلك بتسخيرهم في إحداث حرب عالمية ثالثة تكون فيها نهاية مزاعمهم وإخماد نار فتنهم..؟»[2].

إنها أحلام اليقظة.

☆ ☆ ☆

(1) المسيري عبدالوهاب، نهاية إسرائيل، مجلة معلومات لبنانية، المركز العربي للمعلومات، آب 2008، ص: 120.
(2) الزين سميح عاطف، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، ط: 2، 1991، ص: 5.

طريق الصلاح والحل هو الدراسة العلمية للعدو، والتحليل العلمي له ولنقاط القوة والضعف عنده،والتحليل العلمي للنفس بالصورة العلمية لا بالأماني ولنقاط القوة والضعف عندنا، وأخيراً ما هو الحل العقلاني الذي يتوافق مع مصالحنا وصالح للتطبيق.

☆ ☆ ☆

حين ننهج هذا المنهج نكون قد سلكنا الطريق الصحيح نحو النهوض والإصلاح والحل لأزماتنا المستعصية.

☆ ☆ ☆

اقتصرت هذه الدراسة تقريباً على المرحلة التي تمتد إلى زمن انعقاد لجنة أو مؤتمر كامبل بانرمن عام 1907، إن صح إنعقاده، أو مطلع القرن العشرين، ويمكن أن نعتبرها الحلقة الأولى من الثلاثية، وأعني ثلاثية المراحل التي مرت بها المسألة اليهودية، والسبب أن قضية «المسألة اليهودية» في مطلع القرن العشرين وبعد الحرب العالمية الأولى أخذت منحىً آخر، فلقد كان الحل للمسألة اليهودية قد صدق من القوى الكبرى المسيطرة في ذلك العهد، وبدأ صدور الوعود بالتنفيذ من مثل وعد بلفور . . . ،إلخ، وقبل وضع الحرب أوزارها كان بدء التنفيذ له.

والشق العائد إلى مابعد زمن مؤتمر كامبل بانرمن، إن صح انعقاده، أشرت إليه بالصورة الموجزة ولكنه يحتاج إلى بحث منفرد لأسباب عديدة ليس مجال التوسع في شرحها هنا.

☆ ☆ ☆

إذن هذه هي الحلقة الأولى من الثلاثية التي موضوعها «**المسألة اليهودية** «ويمكننا أن نقول الإصدار الأول للحلقة الأولى من المسألة اليهودية، اذ أنني أعلن منذ البداية بأن هناك العديد من النقاط يتوجب التعمق فيها، واستكمال

البحث لها، وسوف أتلافى هذه الأمور والهنات في الإصدارت اللاحقة إن توفرت لها الفرصة، وأعلن أيضاً بأن هذه الحلقة سوف يتلوها حلقات أخرى موضوعها «**المسألة اليهودية**» أيضاً استكمالاً للبحث وذلك في الزمن القادم إن سمح العمر بذلك.

الحلقة الثانية من موضوع «**المسألة اليهودية**» ستكون للمرحلة الزمنية التي تمتد منذ مطلع القرن العشرين حتى تاريخ إعلان دولة «**اسرائيل**» على التراب الفلسطيني.

والحلقة الثالثة منذ تاريخ إعلان دولة «**اسرائيل**» على التراب الفلسطيني حتى يومنا هذا.

☆ ☆ ☆

أهم هدف كان لهذه الدراسة هو القراءة العلمية للفكر المكوِّن لعقول، ولتاريخ تكوين شخصية من يسكنون في أحضاننا من اليهود الإسرائيليين، والإطلاع على الخلفية التاريخية بالصورة العلمية لمكوّنات العلاقة والأزمة التي كانت سائدة بينهم وبين من كانوا يسكنون معهم في نفس البلد، وذلك وفقاً لما يرويه عنها أصحاب «المسألة اليهودية».

بهذا نكون قد خطونا خطوة سليمة نحو الفهم العلمي الصحيح لمن نحن على صراع وجود معه.

☆ ☆ ☆

«إن على العقل العربي أن يدفع عنه هذه الغشاوة ليستطيع أن يعي أو يلاحظ وأن يجرّب وأن يبصر الحقيقة وأن يمنهجها، وأن يصنع الحياة العربية صناعة جديدة بنورها الهادي.»[1]

☆ ☆ ☆

(1) صعب د. حسن، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، ط:3، 1980، ص: 4.

جهل المرض أو تجاهله لم يكن يوماً لصالح المريض.

فكيف إذا كان المرض يهددنا «بأن نكون أو لا نكون».

☆ ☆ ☆

طرابلس لبنان في: 12، تموز، 2009

المهندس غسان سميح الزين

الباب الأول

المسألة اليهودية تقرع أبواب العالم العربي

مقدمة

يقول المؤرخ اللبناني جواد بولس في كتابه «**تاريخ شعوب وحضارات الشرق الأوسط**» إن تاريخ شعوب الشرق الأوسط هو تاريخ الصراع بين القوى الكبرى للسيطرة على طريق المواصلات بين أوروبا والهند والصين؛ وعبر التاريخ كان ميدان هذا الصراع في منطقة الشرق الأوسط، بسبب شغلها الحيز الجغرافي لعقدة المواصلات البرية والبحرية والجوية لهذه الطريق.

ويقول الدكتور محمد رياض أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة عين شمس في كتابه «**الشرق الأوسط، دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي**» «إن «الموقع المركزي للشرق الأوسط بين الشرق والغرب، وسيطرته على الممرات البحرية (المضايق التركية وقناة السويس وباب المندب) والممرات الجبلية في باكستان وأفغانستان وإيران، جعله محط أنظار القوى الأوروبية المختلفة منذ فترة طويلة، وخاصة ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر، بالرغم من أن دولاً أوروبية متعددة لعبت أدواراً مختلفة في الشرق الأوسط، وخاصة فرنسا وألمانيا، إلا أنه كان لبريطانيا وروسيا القيصرية الدور الأطول والأكثر إستمرارية في منطقة الشرق الأوسط. ومرد ذلك إلى علاقات الجوار المكاني بين روسيا والشرق الأوسط عبر البحر الأسود والقوقاز ووسط آسيا، وإلى علاقات الطريق الإمبراطوري

البريطاني عبر الشرق الأوسط إلى الهند والمحيط الهندي. وقد حلّت الولايات المتحدة محل بريطانيا، والإتحاد السوفييتي محل روسيا في صراعهما على الشرق الأوسط، ليس من أجل السيادة، كما كان في الماضي، إنما من أجل التوازن الدولي.»[1]

وجاء في كتاب «**الصراع الدولي في الشرق الأوسط**» لزين نور الدين زين «ربما ليس هناك من بقعة أخرى في الدنيا كلها وقعت حروب على أرضها، وعبرت شعوب ثم عادت لتعبر ثانية فوق أرضها، كمنطقة الشرق الأدنى. فهذه المنطقة كانت أبداً ساحة معارك للجيوش، كما إنها كانت معتركاً للفكر...»[2]. وفي استعراض سريع للتاريخ نجد أن تجارة الفينيقيين الذين استوطنوا الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط منذ الألف الثالثة قبل الميلاد قامت على تصدير ما يأتي من منتجات من بلاد الهند والصين إلى بلاد حوض البحر المتوسط، ومن ثم تصدير ما تنتجه هذه البلاد في حوض البحر المتوسط إلى بلاد الشرق الأقصى[3]؛ وما حصلوا عليه من ثروات كبيرة، كناتج لهذه التجارة، أسال لعاب سكان الجوار لغزو بلاد فينيقيا لمصادرة هذه الثروات أولاً، وللسيطرة على هذا الموقع الإستراتيجي ثانياً، فكان تداول احتلال منطقة الساحل السوري من الفينيقيين ومن ثم الكنعانيين، والفراعنة، والأشوريين، والفرس، واليونان، والرومان، والعرب، والتتار، والصليبيين الفرنجه، والأتراك، وأخيراً الغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، واستمرار احتلاله له ولمنطقة الشرق الأوسط أو سيطرته عليها

(1) رياض د. محمد، الشرق الأوسط دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي، دار النهضة العربية بيروت، ط:1، 1974، ص: 15.
(2) زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط، دار النهار للنشر بيروت، ط:3، 1977، ص :14.
(3) ديورنت ولّ، قصة الحضارة، ترجمة بدران، جامعة الدول العربية 1960، م:1، ج 2، فصل : الفينيقيون.

بالصورة غير المباشرة ودعمه بالصورة الكاملة للحركة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية بفلسطين السليبة ليومنا هذا، وذلك إما بالشكل الصريح أو بالشكل المستور، وذلك بعد إقراره لحل المسألة اليهودية التي عاشت في أوروبا مدة تزيد عن الألفي عام تبحث عن حل، وأخيراً اجترح وأقر حلاً لها في مطلع القرن العشرين في مؤتمر أو لجنة كامبل بانرمن 1905 ـ 1907 م. ـ إن ثبت وجوده ـ وهو ترحيل اليهود المقيمين في أوروبا، شرقها، وغربها، بناء لطلبهم وإرادتهم، منها إلى خارج أوروبا فكان جزء منه هو هذا الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الأخير في فلسطين السليبة، وهو اليوم أحد أهم العناصر الرئيسة في الأزمة العربية المعاصرة بين العرب والغرب وجوهرها، ففي المواضيع الأخرى التعاون فيما بين الغرب والعرب هو لمصلحة الطرفين واليوم هذا التعاون بين العرب والغرب ماثلاً على امتداد أرض الجزيرة العربية، وما تشهده كلّ من دولة الإمارات والمملكة العربية السعودية من نهضة عمرانية وصناعية ليست سوى ثمرة من هذا التعاون. ولفهم هذه الأزمة لابد لنا من معرفة صحيحة لكيف نشأت؟ وكيف تكونت؟ وما هي العناصر الباعثة والمكوّنة لها؟ وما هو وضعها الحالي؟ وأخيراً إذا كان هناك من ترياق لها؟.

☆ ☆ ☆

الفصل الأول

صراع المصالح الإستعمارية بين الدول في أوروبا ينعكس أثره على المشرق العربي

جاء في الجزء الأول من كتاب **السياسة الدولية في المشرق العربي** للسفيرين إميل خوري والدكتور عادل إسماعيل أن الدول الامبريالية الاستعمارية الأوروبية بعدما فقدت مستعمراتها في العالم الجديد وبدأت دول القارة الأميركية تنتزع استقلالها من الدول المستعمرة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، طفقت الدول الأوروبية الامبريالية بالبحث عن أسواق وأماكن جديدة لمنتجاتها الصناعية، وهي التي كانت المجموعة الحاكمة فيها تنتمي طبقياً للطبقة البورجوازية التجارية والصناعية والمالية. ولمّا كان الشرق الأقصى في مطلع القرن التاسع عشر من البلاد المتأخرة صناعياً، وهو من المصادر الرئيسية للمواد الأولية، وبعد فقد الدول الأوروبية لمصادرها في القارة الأميركية وهي أيضاً من الأسواق الكبيرة، أضحت هذه الأسواق المكان التي تتنافس عليه الدول الصناعية الأوروبية لتصدير فائض إنتاجها من جهة ولاستيراد المواد الأولية لصناعتها من جهة أخرى؛ وهكذا عادت إلى منطقة الشرق الأوسط أهميتها كعقدة للمواصلات بين أوروبا وبلاد الهند والصين وجوارهما، بعدما خبا بريقها في زمن القرن السادس عشر والسابع عشر لوجود طريق رأس الرجاء الصالح ومعها اكتشاف العالم الجديد في القارة الأميركية؛ ففقد الشرق الأوسط أثناء تلك الفترة الكثير من أهميته التجارية ومن وارداته المالية، وشهد ركوداً اقتصادياً كبيراً،

الفصل الأول

صراع المصالح الإستعمارية بين الدول في أوروبا ينعكس أثره على المشرق العربي

جاء في الجزء الأول من كتاب السياسة الدولية في المشرق العربي للسفيرين إميل خوري والدكتور عادل إسماعيل أن الدول الامبريالية الاستعمارية الأوروبية بعدما فقدت مستعمراتها في العالم الجديد وبدأت دول القارة الأميركية تنتزع استقلالها من الدول المستعمرة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، طفقت الدول الأوروبية الامبريالية بالبحث عن أسواق وأماكن جديدة لمنتجاتها الصناعية، وهي التي كانت المجموعة الحاكمة فيها تنتمي طبقياً للطبقة البورجوازية التجارية والصناعية والمالية. ولمّا كان الشرق الأقصى في مطلع القرن التاسع عشر من البلاد المتأخرة صناعياً، وهو من المصادر الرئيسية للمواد الأولية، وبعد فقد الدول الأوروبية لمصادرها في القارة الأميركية وهي أيضاً من الأسواق الكبيرة، أضحت هذه الأسواق المكان التي تتنافس عليه الدول الصناعية الأوروبية لتصدير فائض إنتاجها من جهة ولاستيراد المواد الأولية لصناعتها من جهة أخرى؛ وهكذا عادت إلى منطقة الشرق الأوسط أهميتها كعقدة للمواصلات بين أوروبا وبلاد الهند والصين وجوارهما، بعدما خبا بريقها في زمن القرن السادس عشر والسابع عشر لوجود طريق رأس الرجاء الصالح ومعها اكتشاف العالم الجديد في القارة الأميركية؛ ففقد الشرق الأوسط أثناء تلك الفترة الكثير من أهميته التجارية ومن وارداته المالية، وشهد ركوداً اقتصادياً كبيراً،

وكان هذا من أهم أسباب فقدان الواردات المالية المهمة للدولة العثمانية العلية والذي أدّى بها إلى العجز المالي والانحطاط الحضاري.

لكنّ طول مسار رأس الرجاء الصالح ومخاطره، وقصر طريق الشرق القديم إلى الشرق الأقصى وأمانه، وبدء استقلال الدول القائمة في القارة الأميركية عن المستعمرين الأوروبيين، دفع بالدول الأوروبية إلى العودة لاستعمال طريق الشرق القديمة والتي تمر بمنطقة المشرق العربي، فقام الملك لويس الرابع عشر بإرسال بعثة هندسية إلى مصر لدراسة إمكانية فتح قناة السويس، وقامت هذه البعثة بتقديم دراسة هندسية للملك، وتوالت بعد ذلك العديد من البعثات الفرنسية لمزيد من دراسة الموضوع، وفي عام 1581 أصدرت الملكة أليزابيت رسائل منحت بموجبها رخصة لتأسيس شركة كانت تعرف بشركة المشرق (Levant Co.) وفي عام 1592 اندمجت الشركات السابقة التي كانت تعرف بشركات تركيا والبندقية في شركة واحدة هي شركة الهند الشرقية؛ وصارت البواخر الأوروبية في نهاية القرن الثامن عشر تأتي محملة بالبضائع إلى مرفأ بورسعيد والإسكندرية على البحر الأبيض المتوسط، فتفرغ حمولتها التي وجهتها إلى الشرق الأقصى، وتعود محملة بالبضائع الآتية من هناك، وكان الأمر نفسه بالنسبة للسفن التي كانت ترسو في مرفأ السويس على البحر الأحمر، وكانت البضائع تنقل براً بالاتجاهين بين بورسعيد والإسكندرية والسويس فتدفع أكلاف النقل مضافاً عليها المكوس للحكام.

☆ ☆ ☆

«وإذا كان من الصعب جداً تقديم لوحة تفصيلية عن أوضاع السلطنة (العثمانية) التي أغرت الأوروبيين بتجهيز حملات عسكرية لتفكيكها واحتلال بعض ولاياتها، فإن من المفيد هنا تقديم بعض جوانب هذه اللوحة، وبشكل خاص بناها الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وضعف قواها الانكشارية التي باتت مكروهة جداً وتحولت إلى عبء كبير على كاهل القوى المنتجة دون أن تكون لها القدرة العسكرية على حماية المنتجين لا من نزاعات الولاة الدموية،

ولا من خطر الغزو الخارجي. وامتد حكم السلطنة العثمانية طوال خمسة قرون مر فيها التاريخ العثماني بمراحل ثلاث:

أ - مرحلة القوة الضاربة، وهي تغطي القرنين السادس عشر والسابع عشر، . . . . ، وفيها ظهرت أهم التنظيمات العثمانية التي تركت بصماتها الواضحة على الإدارة بشكل خاص وعلى مختلف الصعد الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في جميع الولايات العثمانية.

ب - مرحلة التوازن العسكري بين (السلطنة العثمانية) مع الغرب وتغطي القرن الثامن عشر بكامله حتى احتلال نابليون بونابرت لمصر وتبلور مشروع استعماري أوروبي بتفكيك السلطنة العثمانية وتقاسم ولاياتها ما بين الدول الأوروبية المنتصرة. يضاف إلى ذلك أن السلطنة تعرضت في تلك المرحلة إلى سلسلة متواصلة من الحروب على الجبهات الروسية والإيرانية والبلقانية بحيث تم إنهاكها وإظهار عجز جيشها عن خوض أي معركة عسكرية ناجحة، مما اضطرها إلى رهن مواردها المالية، وبالتالي رهن قرارها السياسي بعد كل معركة فاشلة لصالح إحدى الدول الأوروبية الداعمة لها.

ت - مرحلة الضعف والانحطاط التي تحولت فيها السلطنة إلى رجل أوروبا المريض الذي لا أمل في شفائه، وهي تطول القرن التاسع عشر بأكمله، وانتهت بانهيار السلطنة في الحرب العالمية الأولى، ثم إزالتها رسمياً، وإزالة الخلافة الإسلامية بعد قيام الجمهورية العلمانية في تركيا الحديثة.»[1]

☆ ☆ ☆

(1) ضاهر د. مسعود، النهضة العربية والنهضة اليابانية، سلسلة عالم المعرفة العدد 252، الكويت، 1999، ص: 55.

الفصل الثاني

الإجتياح الغربي الأول
لمنطقة المشرق العربي في العصر الحديث

في نهاية القرن الثامن عشر وبتاريخ الثاني من تموز من عام 1798 م وفق ما يذكره الجبرتي في تاريخه، وصل نابليون بحملته لاحتلال مصر بهدف قطع طريق الهند على تجارة المملكة المتحدة - بريطانيا وإشغال أسطولها في البحر المتوسط بقصد تجهيز حملة فرنسية في بحر الشمال لاحتلال الجزر البريطانية، كما جاء في كتاب **السياسة الدولية في المشرق العربي** السابق وفقاً لمحاضر المناقشات التي جرت في الجمعية الوطنية آنذاك، فكانت هذه الحملة عودة صريحة للصراع العسكري بين المستعمرين المتنافسين الدوليين الكبار على أرض الشرق الأوسط في سبيل السيطرة على طريق الهند التي تمر عبر الشرق الأوسط، وهي أيضاً حملة صليبية جديدة لإخضاع المشرق العربي للغرب بالصـورة المبـاشرة تحقيقاً وحماية لمصالحه الذاتية التجارية والاستراتيجية[1].



بعد إغراق الأميرال نيلسون في خليج أبي قير معظم الأسطول الفرنسي

(1) اميل خوري، عادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، دار النشر للسياسة والتاريخ بيروت 1961، ط:1، الجزء الأول.

الذي نقل نابليون إلى شواطئ مصر، رغب نابليون بالعودة إلى فرنسا عن طريق القسطنطينية فاتحاً للبلاد التي يمر بها، وعند وصوله إلى مشارف عكا في مطلع القرن التاسع عشر، يشير المؤرخ اليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف في كتابه تاريخ الصهيونية 1600 ـ 1918 إلى أن نابليون أصدر نداء لليهود هو الأول من نوعه في عصر ما بعد النهضة الأوروبية، دعا فيه لإعادة القدس القديمة للورثة الشرعيين لفلسطين وفق الادعاء اليهودي. وقد تضمن نص النداء المنسوب إلى نابليون في 4 نيسان 1799 ما يلي: «إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا... جعلت من القدس مقري العام، وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي يضيرها جوارها بلد داود»، وتابع نابليون نداءه، وفق سوكولوف، إلى «ورثة فلسطين الشرعيين» وطلب منهم «لا العمل على إعادة احتلال وطنكم وحسب... بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين»[1].

وتذكر بعض المصادر الصهيونية بأن نابليون كان يهدف من ندائه هذا إلى كسب تأييد حاييم فارحي[2] اليهودي صاحب النفوذ لدى الجزار والي مدينة عكا، وهو يهودي استقدمه الجزار من مدينة دمشق، وكان مستشاراً له والمسؤول عن الأمور المالية لديه بمثابة وزير للمالية، وغضب الجزار عليه مرات عديدة ومن آثار غضب الجزار على جسم فارحي، جدع أنفه، وقطع إحدى أذنيه، وفقء عينه اليسرى،[3]. وتشير بعض المصادر الأخرى إلى تريث اليهود بالاستجابة لنداء نابليون ومن ثم إهماله وذلك لعدة أسباب من أهمها قلة عددهم البشري والذي لم يكن ذا أثر من ناحية التواجد العددي، فلقد كان اليهود يشكلون نسبة 2% من

(1) عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص: 24، أبوعسل إيلي ليفي، يقظة العالم اليهودي، ط:1، القاهرة، 1934، ص: 12.

(2) هو أخ فرحي الذي سيرد ذكره عند الحديث عن حادث مقتل الأب توما وخادمه ابراهيم عمار.

(3) صليبا لويس، من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دار ومكتبة بيبليون، جبيل لبنان، 2007، ص: 74 ـ الفصل الرابع.

سكان البلاد وفق بعض المراجع[1]. فعاد نابليون أدراجه من أمام أسوار عكا بعدما أصاب الطاعون جيشه وتكاثفت عليه القوى الدولية المعادية له.

☆ ☆ ☆

وقد تناقل المؤرخون العرب هذه الرواية لهذا النداء في كتبهم، من أوائلهم المؤرخ اليهودي المصري إيليا ليفي أبو عسل في كتابه «**يقظة العالم اليهودي**»، وأصبحنا نجدها أنّى قرأنا في الكتب العربية التي تتناول تاريخ القضيه الفلسطينية، أو السياسة الدولية في المشرق العربي، كموسوعة السفير إميل خوري والدكتور عادل إسماعيل «**السياسة الدولية في الشرق العربي**»، وعلى سبيل المثال من الكتب التي تؤرخ للقضية الفلسطينية رسالة المؤرخ الدكتور حسان علي حلاق «**موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897 ـ 1909)**» القيمة، وهي رسالته لنيل درجة الماجستير والتي حصل بموجبها على تقدير ممتاز، وكان أشرف عليها المؤرخ المصري المعروف الدكتور عمر عبد العزيز أستاذ التاريخ الحديث في جامعتي بيروت العربية وجامعة الإسكندرية، وجهد الدكتور الحلاق فيها ظاهر للعيان، وفي أحدث كتاب صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية للأستاذ عوني فرسخ وهو «**التحدي والاستجابة، في الصراع العربي ـ الصهيوني، جذور الصراع وقوانينه الضابطة (1799 ـ 1949)**» عام 2008 م.، ومن المعروف جدية هذا المركز فيما ينشره من إصدارات، وما ينشره المركز من اصدارات يخضع للتحكيم العلمي فيما قبل النشر، وهذا الأخير من الكتب التي حاول فيها المؤلف أن يبحث عن صحة هذا البيان ولكن دون البت برأي نهائي حوله.

☆ ☆ ☆

يورد المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف في كتابه «**تاريخ الصهيونية**

(1) صليبا لويس، من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دار ومكتبة بيبليون، جبيل لبنان، 2007، ص: 65.

1600 ـ 1918م»، أيضاً، وهو أول من نسب لنابليون هذا البيان السابق وتناقله عنه فيما بعد الكتاب المؤرخون، واعتمد في توثيق ما نشره على نصين نشرتهما المجلة الفرنسية «Le Moniteur Universel» وكان الأول بتاريخ 22/ 05/ 1799 والثاني بتاريخ 27/ 06/ 1799، النص الأول يرتكز على برقية واردة من إسطنبول بتاريخ 17/ 04/ 1799 تقول أن «بونابرت وجه نداء إلى اليهود دعا فيه جميع يهود أفريقيا وآسيا للانضمام تحت لوائه، لإعادة إحياء أورشليم القديمة.»، وفي النص الثاني يذكر نداء نابليون، بطريقة غير مباشرة، إذ ورد في خبر المجلة: «إن غزو نابليون لسوريا، لم يكن فقط من أجل إعادة أورشليم إلى اليهود.» ويذكر سوكولوف في كتابه أيضاً «بياناً منسوباً إلى بعض الشخصيات اليهودية الفرنسية، بعد لقاء سري مع نابليون، موجهاً إلى يهود العالم، متضمناً القول بأن اليهود يبلغون ستة ملايين، منتشرين في أرجاء العالم، وفي حيازتهم ثروات مالية ضخمة، وممتلكات واسعة، وأن الوقت قد حان للتذرع بكل ما لديهم من وسائل لاستعادة «بلادهم». ولم يترك البيان ذلك عرضة للاجتهادات المستقبلية، وإنما حدد المنطقة المراد اتخاذها نقطة ارتكاز أولية، موضحاً ذلك بقوله: «أما البلاد التي ننوي قبولها، بالاتفاق مع فرنسا، فهي إقليم الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر... فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز في العالم، يجعلنا وسيلة سير الملاحة في البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الجنوبية والشمالية.. ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا، وموقع بلادنا على البحر الأبيض المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا.. ولما كانت بلادنا في موقع متوسط من العالم، فإنها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها الأراضي الغنية.»[1].

(1) أورد البيان بنصه الكامل المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف في كتابه: =

لكن الدكتور لويس صليبا في كتابه «من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام» يقوم بدراسة معمقه لهذا النداء المنسوب لنابليون، يعتمد على ما قام به العديد من المؤرخين الفرنسيين من تدقيق للموضوع، ويصل في النهاية إلى أن هذا النداء المنسوب لنابليون، نابليون منه براء، بل يتعارض مع السياسة العامة التي نهجها نابليون بونابرت حين أصبح حاكماً لفرنسا، وأن هذا البيان هو من مختلقات الحركة الصهيونية[1]. ومما جاء في فصل «نابليون حاكم معادٍ لليهود» «يبلغ نابليون حد التطرف العرقي Racisme في عدائه لليهود المناقض تماماً لمبادئ الثورة الفرنسية في المساواة... يقول: «يجب اعتبار اليهود شعباً، لا طائفة، لأنهم شعب يعيش في وسط شعوب أخرى. إنهم يشكلون شعباً قادراً على ارتكاب أبشع الجرائم. علينا معاملتهم كغرباء أجانب. بالإضافة إلى أنهم عرق متمايز (...) لقد سعيت لأجعل منهم شعباً يتمتع بسمات سائر الشعوب الأخرى الطبيعية، لكنهم طغمة لا نفع منها، ولا خير، سوى أنها صالحة لبيع سلع «البالة». فاضطررت إلى سن قوانين صارمة تحد من نشاطهم، بعدما تمادوا في تعاملهم بالربا الفاحش. فهرع إلي فلاحو مقاطعة ايلاس، يقدمون أعمق آيات الشكر على صنيعي هذا.».

☆ ☆ ☆

ويذكر د. لويس صليبا في كتابه أيضاً نبذة عن القيود التي فرضها نابليون على اليهود فيقول «فقد ورد في مرسوم أصدره في تاريخ 17/ 03/ 1808:

= Nahum Sokolow, History of Zionism, 1600 - 1918,, 2vols, London; New York; Longmans; Green and Co, 1919, vol2, p200-222.

(1) صليبا لويس، من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دار ومكتبة بيبليون، جبيل لبنان، 2007، فصل : لورنس يبرهن اختلاق النداء ص: 58.

أولاً: على كل يهودي، صغيراً كان أم كبيراً، يمارس تجارته متجولاً، أم متمركزاً في دكان ثابتة، تجديد إجازة عمله كل عام.

ثانيا: لا تصرف الشيكات أو سندات القبض، أو غيرها مما يتعلق بالمعاملات التجارية والمالية، لأي يهودي، ما لم يثبت بالبراهين القاطعة، أنه ربح هذه الأموال بدون غش ولا احتيال.»[1]. ومما اعتمد عليه المدققون الفرنسيون لنفي زعم وجود هذا النداء خلو الوثائق الفرنسية العائدة للحملة الفرنسية على مصر من أي اشارة أو وثيقة تشير أو توثق زعم وجود مثل هذا النداء، سواء الوثائق العائده لوزارة الخارجية أم الوثائق العائدة لوزارة الحربية؛ وعندما قمنا بترجمة المقال المنشور في الموسوعة اليهودية والذي سيأتي مكانه في القسم العائد للمسألة اليهودية في فرنسا، والعائد لتاريخ اليهود في فرنسا، والمحرر من قبل كتاب وباحثين يهود هم: Joseph Jacobs, Israel Lévi, Isaac Broydé، سنجد أن هذا المقال المنشور في الموسوعة اليهودية في فقرته العائدة لوضع اليهود في فرنسا زمن نابليون بونابرت قد خلا من أي إشارة لمثل هذا النداء، بل أشار إلى أن نابليون بونابرت كان من أصحاب الميول المعادية لليهود وسن العديد من التشريعات التي حدَّت من حرياتهم بعدما كانت الجمعية الوطنية قد منحتهم العديد منها، وأن مهام اللجنة التي أمرنابليون بتشكيلها عام 1806م من الوجهاء اليهود كانت مهامها الإجابة على اثني عشر سؤالاً حول كيف يمكن تحسين أوضاع اليهود في فرنسا ولم يكن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين أحد البنود المطروحة على طاولة البحث كما خلت الموسوعة اليهودية نفسها من أي إشارة لذلك[2].

☆ ☆ ☆

(1) صليبا لويس، من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دار ومكتبة بيبليون، جبيل لبنان، 2007، فصل: لورنس يبرهن اختلاق النداء ص: 62 و63.

(2) انظر القسم العائد للمسألة اليهودية في فرنسا زمن نابليون.

لكن الأستاذ محمد حسنين هيكل يورد لنا في كتابه «**المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**» بنسخته العربية نص بيان ينسبه لنابوليون بونابرت وجه فيه نابوليون إلى اليهود دعوة إلى المجيء إلى فلسطين تتوافق مع نص سوكولوف ويشير في الهامش إلى أن الدكتور أحمد حسين الصاوي قد قام بتصوير المستندات العائدة لحملة نابوليون على مصر والتي وجدت في وثائق وزارة البحرية الفرنسية ويضفي على ما جاء في هذا البيان بأنه يشكل رؤية إستراتيجية من نابوليون حول المنطقة ولكنه لا يقول لنا بالشكل الصريح أنه استقى البيان من الوثائق التي صورها الصاوي لمستندات الحملة التي قام بها نابوليون على مصر.[1]

لكن حين يذكر الأستاذ هيكل البيان بالنص الكامل ومن ثم يذهب إلى تفسير وتعليل سبب صدوره عن نابوليون ويقول بأنه يشكل رؤية إستراتيجية فهذا يعني أن نص النداء عنده لم يعد مجالاً للأخذ والرد، وأن المصدر هو وثائق الحملة الفرنسية التي وجدت في وزارة البحرية الفرنسية والتي قام على تصويرها الدكتور أحمد حسين الصاوي، وهذا يبت نهائيا ويحسم أمر صحة ووجود وصدور البيان عن نابوليون يونابرت.

☆ ☆ ☆

أما نص البيان الكامل الذي أذاعه الأستاذ محمد حسنين هيكل[2] في كتابه السابق الذكر فهو:

(1) هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق، ط:1، 1996، ص: 33.

(2) هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق، ط: 1، 1996، ص: 32 ـ 33.

«من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين - وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعياء ويوئيل - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيدالله (كلمة إسرائيل في اللغة العبرية تعني أسير الله أو عبد الله) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه، إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم.... لا بد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألفي سنة. إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز.

إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به، ويمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه، قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها.

يا ورثة فلسطين الشرعيين.

إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها، تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

إنهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفاً لأسبرطة وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة.

سارعوا! إن هذه هي اللحظة المناسبة - التي قد لا تتكرر لآلاف السنين - للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة إلهكم يهواه، طبقاً لعقيدتكم، وافعلوا ذلك في العلن وافعلوه إلى الأبد.

بونابرت»

اعتادت المصادر العربية بأن تنسب الفشل والهزيمة لنابليون أمام أسوار عكا، والواقع ليس هناك من دراسة عسكرية عربية كان موضوعها هذه الحملة على فلسطين، وليس هناك من دراسة عسكرية عربية موضوعها دراسة وتقصي أوضاع الحملة العسكرية لنابليون أمام عكا بالصورة العلمية، ولا أدري إذا ما الكاتب المؤرخ الفرنسي لوي مادلين في كتابه «**نشوء وزوال إمبراطورية نابليون**» قد قام بتحليل للأمر، ولكن جلّ ما يتناقل حول الموضوع هو لكتّاب غير محترفين بالعلوم العسكرية، وأنا هنا لا أريد أن أبحث هذا الموضوع بالصورة العلمية فهو موضوع طويل وأنا لست مؤهلاً لذلك البحث وهو جدير بأن يكون موضوعاً لبحث مستقل لمن هم سيتخصصون بالعلوم العسكرية، وليت المعاهد العسكرية العربية بفروع دراساتها العليا تقوم بذلك خاصة وأن الأستاذ محمد حسنين هيكل يقول في الجزء الأول من كتابه «**المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**»، بنسخته العربية، بأن الوثائق العائدة لهذه الحملة وجدت في خزائن وزارة البحرية الفرنسية وهناك صورة عنها متوفرة لدى الدكتور أحمد حسين الصاوي ويصل تعدادها إلى عشرين ألف وثيقة، ولكن جلّ ما أريد أن أرويه هو ما قاله د. خضر خضر في كتابه «**تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1789 ـ 1914)**» من أنه في الزمن الذي كان نابليون أمام أسوار عكا «سيقوم تحالف ثان في أوروبا ضد فرنسا، وستضطر حكومة المديرين لإعلان الحرب من أجل الدفاع عن المناطق التي احتلتها، كذلك لحماية حدودها الوطنية. والهزائم الأولى التي ستلحق بالقوات الفرنسية ستسمح لأنصاره بالمطالبة بعودته من مصر للدفاع عن الثورة، مع ما رافق ذلك من دعاية مؤيدة له تقول بأنه ما كان لهذه الهزائم أن تحصل لو كان بونابرت موجوداً في ميدان المعركة.

وفي مصر سيحالفه الحظ أيضاً عندما سيقاتل العثمانيين في أبي قير، وينتصر عليهم بسهولة فائقة في 25 تموز 1799. وبعد الفوز، الذي هلل له

أنصاره داخل فرنسا، سيعود نابليون ومعه بعض المقربين، إلى باريس في تشرين أول 1799م، حيث سيستقبل هناك استقبال الأبطال الفاتحين.»[1].

☆ ☆ ☆

ما نسب من نداء إلى نابليون بالنسبة لليهود، إن صح هذا الأمر، والأستاذ محمد حسنين هيكل يعتمده ويقول بأنه يشكل رؤية استراتيجية، كان الشرارة الرسمية الأولى من الدول الغربية الاستعمارية، وفق ما تدعيه الحركة الصهيونية، لتبني حملة استعمار استيطاني يهودي ومن ثم صهيوني في فلسطين، وهي إحدى الحلول للمسألة اليهودية في أوروبا التي اقترحتها الحركة الصهيونية في مرحلة ما قبل تكوينها الرسمي في مؤتمر بازل الأول عام 1897 م، وهي تعتمد على إحياء ما جاء في العهد القديم من وعد من يهوه لإبراهيم ومن ثم لموسى ومن ثم ليشوع بمنحه أرض الكنعانيين موطناً له «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». وربما كان هذا الطلب من اليهود في فرنسا، في حال ثبتت صحة هذا الإجتماع مع نابليون، كان نابليون يراه ويرتضيه كحلّ للمسألة اليهودية في أوروبا وهو يشير إلى رحيلهم عن أوروبا، لكنني لم أقع على وثيقة تؤيد ما أقول غير البيان الذي أتينا على تلخيص له وأورده سوكولوف وهو يشير بصورة غير مباشرة لذلك دونما التصريح الكامل به. غير أن المؤرخ اليهودي إيلي ليفي أبو عسل يقول «بأن علماء التاريخ من فرنسيين وإسرائيليين أجمعوا من عهد بعيد على التسليم «بأن فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين لتجديد إنشائها، كانت في طليعة المرامي والمشاريع الاجتماعية السامية التي كانت تجول بمخيلة نابليون الوقادة، ويطمح إلى تحقيقها حيال المسألة الشرقية... وكان هذا العبقري... يتوق وجداً إلى بلوغ هذا المأرب لاستمالة اليهود إليه،

(1) خضر د. خضر، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1789 ـ 1914)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، دون تاريخ، ص: 57.

واكتساب ودهم إذا قدر له الحظ . . . وأن النداء الذي وجهه نابليون فلا اعتراض أنه لا يتنافى مع آراء حكومته ولا نزاع في موافقتها له . . .»[1] وهذا يؤكد ما يتوهمه الصهاينه ويلفقوه على الشخصيات الكبيرة في العالم، ولكن وفقاً للتدقيق فإن أبا عسل يعتمد فيما يرويه على ما جاء في كتاب سوكولوف المنشور عام 1919 م وأضاف إليه ما يحب ويشتهي، وكتاب أبي عسل نشر في عام 1934، وأبو عسل يفتخر في الكتاب بأنه ينتسب للحركة الصهيونية، فما ينسبه لنابليون غير جدير بأن يؤخذ مأخذ الجد وما هو معروف عنه يناقض ذلك، والموسوعة اليهودية تؤكد تماماً عكسه كما سنأتي عليه لاحقاً وهذا ليس بالمغالطة التاريخية الوحيدة في كتاب إيليا أبي عسل.

☆ ☆ ☆

(1) أبوعسل إيلي ليفي، يقظة العالم اليهودي، مرجع سابق، ص:99، 100، حلاق د. حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 ـ 1909، ط: 1978، جامعة بيروت العربية 1978، ص: 45 و46.

الفصل الثالث

أفكار وطموحات ومشاريع واقتراحات يهودية

لم تدفن دعوة نابليون بونابرت عند أسوار عكا المستلهمة من البيان اليهودي ليهود فرنسا بعد اجتماعهم به في فرنسا، إن صح ما نسب إليه، سواء من نداء، أم من اجتماع، وهما بنصهما يتناقضان مع ما عرف عنه من سياسة تجاه اليهود كما أتينا عليه سابقاً، بل ظلت تتفاعل خلال القرن التاسع عشر بأشكال متعددة من خلال القادة الصهاينة ووصول البعض منهم إلى مراكز القرار سواء في فرنسا أم في بريطانيا التي أصبحت حامية لليهود في المشرق العربي وحاملة لمطالبهم ولطموحاتهم في الاستيلاء على فلسطين وجعلها وطناً قومياً لهم.

«ولقاء دور بريطانيا في إنقاذ العرش العثماني حصلت على امتياز «حماية» يهود الإمبراطورية العثمانية. وبموجبه كلف نائب القنصل البريطاني في القدس باعتبار حماية اليهود من مهام الدولة، وتزويد الخارجية البريطانية بأخبار السكان اليهود في فلسطين. واستجابة للمطالب البريطانية المعززة بمداخلات المصرفيين اليهود أصدر السلطان عبد المجيد سنة 1849 «فرماناً» أجاز لليهود امتلاك الأراضي في فلسطين، منهياً بذلك الحظر الذي تواصل منذ هزيمة ثورة المكابيين عام 135 م. . . .»[1]

(1) فرسخ عوني، التحدي والإستجابه في الصراع العربي ـ الصهيوني . . .، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان 2008، ص: 20.

يقول د. حسان علي حلاق في كتابه «**موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية**»: «.. إن بريطانيا كانت تهتم بضرورة تأمين مواصلاتها إلى الهند عن طريق استمرار نفوذها في بلاد الشام، لذا اقتضت مصالحها الاستعمارية، إيجاد شعب بديل في فلسطين، يتوافق وجوده مع مصالحها،وقد ظهرت نداءات يهودية في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، تطالب بالعودة إلى فلسطين، كالنداء الصادر عن جيمس بيشينو (James Bacheno) في كتاب «**إرجاع اليهود ـ أزمة جميع الأمم**» الصادر عام 1800م حيث طالب البريطانيين باستخدام نفوذهم «لدى الباب العالي كي يتخلى الأتراك عن ذلك الجزء من ممالكهم الذي منه اليهود، ويعيدوه إلى أصحابه الشرعيين، وبذلك يؤدي عملاً لا مثيل له في سماحة النفس ...» ... وعقد في أوائل القرن التاسع عشر اجتماعاً يهودياً في بريطانيا بدعوة من حاخام لندن والسير موسى مونتفيوري حيث جمعا فيه ما يقرب من 130,000 جنيه إسترليني لتنفيذ مشروع عودة اليهود إلى فلسطين. وأثناء الحكم المصري لفلسطين وسوريا 1831م ـ 1841 م سعى عديد من الحاخامات اليهود مع مونتفيوري للحصول من محمد علي باشا على صك إيجار على مدى خمسين عاماً لفلسطين لكن هذه المساعي فشلت بالوصول لهدفها رغم توسط وزير خارجية بريطانيا بالمرستون «Palmerston» بذلك.لكن مونتفيوري استطاع الحصول على أرض وبناء أول حي سكني خارج أسوار مدينة القدس، واقتنى عام 1855 م بالقرب من يافا «بيارة» جعلها لتدريب اليهود على الزراعة أقيم عليها فيما بعد «حي مونتفيوري» فكان مشروع السير موسى مونتفيوري من أوائل المشاريع الاستيطانية اليهودية في فلسطين في المنتصف الأول من القرن التاسع عشر وكان الهدف منه إنقاذ اليهود من الاضطهاد في بلدان شرقي أوروبا وروسيا.[1] أما الأستاذ عوني فرسخ فيشير في كتابه السابق إلى «إنشاء القنصل الأميركي في القدس واردور كريستون سنة

(1) أي جزء من حل للمسألة اليهودية في أوروبا.

1852 مستعمرة زراعية معتبراً إياها البداية الأولى ل «فلسطين الجديدة حيث ستقيم الأمة اليهودية وَتزدهر».»[1]

وبخروج محمد علي باشا من سوريا عام 1841 م عادت فلسطين للسلطة المركزية العثمانية وعاد وزير خارجية بريطانيا بالمرستون «Palmerston» يضغط على الباب العالي من خلال سفيره لديه لمنح اليهود أرض فلسطين وإجلاء وطرد السكان المسلمين منها وإسكان اليهود مكانهم[2]. وتعددت بعد ذلك المشاريع والضغوطات اليهودية من خلال بريطانيا على الباب العالي وكان منها مشروع لورانس أوليفانت Laurence Oliphant الذي دعا فيه إلى استعمار سورية الجنوبية في كتابه «أرض جلعاد» الصادر عام 1880م وسافر إلى الآستانة، بتشجيع من «أحباء صهيون» التي ينتمي إليها، لحمل السلطان عبد الحميد الثاني على منح اليهود مساحات من الأراضي في شرق الأردن وسوريا الجنوبية بموجب براءة تخولهم تنفيذ الاستعمار والاستيطان هناك وجعل شعاره العلني «تجديد شباب تركيا بواسطة اليهود وتحت إشراف بريطانيا»[3] ولكن جهوده مع السلطان عبد الحميد الثاني بشأن فلسطين لم يكن من نصيبها النجاح شأن جهود د. تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة فيما بعد، وفي عام 1896، قبيل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897م، صدر كتاب هام للدكتور تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» دعا فيه إلى حل المسألة اليهودية المستفحلة في أوروبا عن طريق إقامة دولة مستقلة لليهود تشكل وطناً قومياً لليهود في العالم[4] وإقامة مؤتمر لقادة اليهود يجتمعون فيه ليتداولوا في كيفية الوصول للهدف المنشود، وكان لهذا الكتاب أثر كبير على تطور المسألة اليهودية لاحقاً.

(1) فرسخ عوني، التحدي والإستجابة في الصراع العربي ـ الصهيوني...، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان 2008، ص: 20.

(2) أي جزء من حل للمسألة اليهودية في أوروبا.

(3) حلاق د. حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 ـ 1909، ط: 1978، جامعة بيروت العربية 1978، ص: 46 ـ 52.

(4) يشير وايزمن في مذكراته بصورة صريحة إلى أن المكان المفضل والمختار والمدعوم بموافقة الإنجليز وعند هرتزل كان أوغندة.

الفصل الرابع

قناة السويس وأثرها الاستراتيجي على صراع الدول الغربية في الشرق الأوسط

يقول المؤرخ محمد رفعت، وزير التربية والتعليم المصري السابق، في كتابه «**تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية**» حين يتحدث عن بوابات البحر المتوسط ـ قناة السويس: «قال هيرودوت في تاريخه يصف مصر «إنها بلاد مصطنعة والنيل هو الذي اصطنعها» ونحن نقول إن المسألة المصرية في تاريخها الحديث إنما هي من صنع قناة السويس حتى إن السياسيين الآن ليتحيرون أيهما أكثر أهمية وأعظم خطراً بالقياس إلى السياسة العالمية ـ مصر كلها أم القناة وحدها.»[1]. ونحن لا نجاوب الصواب إذا ما شملنا مع مصر منطقة المشرق العربي.

«في سنتي 1855 م و1856 منح الخديوي سعيد عقدي الامتياز المجحفين بحق مصر إجحافاً عظيماً لشركة قناة السويس المساهمة وعند إقفال الاكتتاب كانت الأسهم والتي عددها 400000 سهم وقيمة كل سهم 500 فرنك فرنسي، موزعة على الشكل التالي أكثر من نصف الأسهم بيد الفرنسيين وتأتي مصر في المكان الثاني بعد فرنسا إذ كانت تملك أقل من نصف الأسهم ولكن باسم الوالي

(1) رفعت محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف مصر، 1959، ص146.

لا باسم الحكومة، وتليها إسبانيا وإيطاليا وهولندة[1]. ...، واستنكفت بريطانيا عن الاشتراك في الاكتتاب بل وقفت معارضة له وحاولت إيغار صدر الباب العالي لمنع الموافقة على منح الامتياز لشركة القناة[2]. وفي سنة 1858 أسس دليسبس الشركة العالمية «Compagnie Universelle du Canal Maritime de Sue» وفي عام 1869م قام الخديوي إسماعيل بافتتاح قناة السويس التي أصبحت أهم وأخطر مجرى مائي في العالم فزادت بافتتاحها وبجودها من أهمية وخطورة موقع المشرق العربي كعقدة للمواصلات بين الغرب والشرق الأقصى وبالنسبة للمصالح الاستعمارية الغربية في هذه المنطقة». ويضيف المؤرخ محمد رفعت: «غير أنه لم تكد تمضي ست سنوات على افتتاح القناة حتى طرأ على الشركة حادث كان له الأثر في مركز القناة ومستقبلها، ذلك أن الحكومة الانجليزية[3] اشترت من الخديوي إسماعيل أسهم القناة التي كانت لمصر إذ ذاك 176602 سهماً بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات تقريباً... وبذلك أصبح ما يقرب من نصف أسهم الشركة بأيدي الحكومة الإنجليزية وأضحت إنجلترا تتمتع في القناة بنصيب الأسد، وجعل الناس يتوقعون لهذا الامتياز أخطر النتائج، فقال بعضهم في إحدى المجلات الفرنسية «إن شراء إنجلترا لأسهم القناة عمل سياسي بحت. وإذا لم يكن معناه استحواذ إنجلترا على أرض مصر فهو الخطوة الأولى في سبيل تحقيق هذا الغرض إذ يستحيل على إنجلترا بعد الآن أن تترك مصر وشأنها»[4].

☆ ☆ ☆

ويوضح د. حسان علي الحلاق في نفس كتابه السابق الذكر: «.. هذا ويتمثل التعاون البريطاني ـ الصهيوني في عملية شراء أسهم قناة السويس حيث ساهم رئيس الوزراء البريطاني، اليهودي دزرائيلي في إتمام الصفقة لا كتوظيف

(1) رفعت محمد، تاريخ ... نفس المرجع، ص: 147.
(2) رفعت محمد، تاريخ ... نفس المرجع، ص: 148.
(3) في الواقع ملكة بريطانيا آنذاك.
(4) رفع محمد، تاريخ... نفس المرجع، ص: 150.

مالي، ولا كصفقة تجارية، وإنما كعملية سياسية. وقد موّل هذه الصفقة المتموّل اليهودي البارون «روتشيلد» وبعدها أرسل دزرائيلي (يهودي الأصل تعمد) إلى الملكة رسالة يوضح فيها «بأنك ستحصلين سيدتي على أربعة ملايين جنيه إسترليني»!... آل روتشيلد اليهود وحدهم يستطيعون تلبية مثل هذا الطلب. وقد تصرفوا تصرفاً رائعاً، فقدموا المال بفائدة جد زهيدة... لأنه كان لبيت روتشيلد ثقة متناهية بدزرائيلي والحكومة البريطانية... وبعد إتمام الصفقة في 25 تشرين الثاني 1875م أصبحت بريطانيا وملكتها أصحاب كلمة نافذة في إدارة القناة... وأصبح دزرائيلي صاحب سيادة مطلقة في بريطانيا، وقد استطاع هذا اليهودي (المرتد للدين المسيحي) أن يرسم سياسة الاستعمار والصهيونية لمن تبعه من السياسيين البريطانيين فانتهجوا نهجه وتبعه فيما بعد كبلنج وروزبري وتشمبرلن وملز وبلفور وكرزن» ويضيف د. الحلاق بعدها قائلا: «ورأت بريطانيا أن من يملك فلسطين يمكنه أن يهدد منطقة القناة، ووصل هذا الشعور إلى مرحلة الخوف حين بدأت المشروعات الألمانية تظهر واضحة جلية في المنطقة العربية من الامبرطورية العثمانية، ..... وقد كان للبرلمانيين اليهود في انجلترا نفوذ قوي وأثر كبير في توجيه سياسة بريطانيا في المشرق العربي، ففي الثمانينات من القرن التاسع عشر كان اليهود في انجلترا قد احتلوا مناصب عديدة في مجالسها البرلمانية وتمثلوا بآل روتشيلد وملشات وإسحق (الغالبية كانوا قد أعلنوا عمادتهم ولكنهم بقوا على ولائهم لمعتقدهم اليهودي في السر...»

وهناك تقرير الماني رسمي رفع إلى غليوم الثاني عام 1888 يشير إلى هذه الوجهة في السياسة الألمانية بالصيغة التالية: «لا يزال الشرق المنطقة الوحيدة البعيدة عن سيطرة الدول الأوروبية المباشرة، .....، وإمكاناته الإقتصادية والبشرية من السعة بحيث تجعله حقلاً مثالياً للاستعمار الألماني، لذا وجب أن نجد للسيطرة عليه قبل أن تمتد إليه يد الغير، لقد نالت فرنسا قسطها من العالم الإسلامي في أفريقيا الشمالية وأفريقيا الغربية، ونالت بريطانيا نصيبها منه في مصر والسودان وأفريقيا والهند، كما نالت روسيا المناطق الإسلامية الواقعة على

البحر الأسود وفي القفقاس، وللشعب الألماني الحق كله ليداعي بنصيبه من هذا العالم، والدول الأوروبية تحاول اليوم أن تتقاسم ما تبقى من الأمبرطورية العثمانية فيعطى العراق لبريطانيا، وأرمينيا لروسيا مع القسم الشرقي من آسيا الصغرى، وتمنح سورية لفرنسا وطرابلس الغرب لإيطاليا. وعلى ألمانيا بالاتفاق مع النمسا أن تحبط هذه المساعي بجميع الوسائل السلمية وغير السلمية، ومن هذه الوسائل التغلغل الاقتصادي في المنطقة، والعمود الفقري لهذا التغلغل أن ينشأ خط حديدي يتصل بسوريا والعراق عبر آسيا الصغرى، وعلينا ضماناً للنجاح أن نقترب من الشعوب التركية والعربية، وأن يكون فتحنا لهذه البلاد فتحاً أدبياً واقتصادياً يصون مصالحنا بصورة أكيدة.»[1]

وإثر الأزمة المالية في مصر قامت بريطانيا باحتلالها عام 1882 م فوقف Cozelette Edward ادوارد كوزليت اليهودي الشهير يقول: «إن احتلال مصر قد وحّد بين مصالح الامبرطورية في الشرق، ومصالح اليهود في فلسطين.» وتبرز أهمية قناة السويس بالنسبة للصهيونية بعد خضوعها لبريطانيا، فيما يطالعنا به زانغويل Zangawill من أنه: «الآن وليس في أي وقت آخر هو فرصة إسرائيل، فهناك تغييرات سياسية كثيرة. فإننا لن نصبر اليهود بالعودة إلى فلسطين بعد أن نقلت قناة السويس العالم إلى أبواب فلسطين.»[2]

☆ ☆ ☆

والمؤرخ العربي محمد عزة دروزه في كتابه **«القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها»** يستعرض لنا علاقة الإنكليز ومنطقة المشرق العربي فيقول: «.. عادت ثانية في القرن السادس عشر بعد أن استولى العثمانيون على البلاد العربية وأدخلوها في نطاق مملكتهم العظمى، حيث استطاع الانكليز أن ينالوا

(1) اميل خوري ود. عادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، دار النشر للسياسة والتاريخ 1961، ج4، ص: 113.

(2) حلاق د. حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 ـ 1909، ط: 1978، جامعة بيروت العربية 1978، ص: 58 و59.

بعض الامتيازات التجارية والملاحية في سواحل البلاد العربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وحيث استطاعوا ارتياد البحر الأحمر والخليج العربي والشواطئ العربية الواقعة على البحر الهندي وإنشاء بعض المراكز التجارية والملاحية عليها.

وقد كانت هذه الصلة ضيقة المدى في بدء أمرها ولكنها ظلت مستمرة وتطورت واتسعت بمرور الزمن والأحداث حتى شغلت ذلك الحيز الواسع. وكان من أهم أسباب ذلك ما يسمى في سياسة انكلترا بطرق المواصلات الإمبراطورية، حيث غدت هذه السياسة بعد أن تمكنت انكلترا في الهند جوهرية وتقليدية وجعلتها تشتد في اهتمامها للبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الهند وسواحلها ومعابرها وطرقها ومراكزها، وجميع البلاد العربية الواقعة في هذه المساحة فكانت موضع الاهتمام الشديد هي الأخرى بطبيعة الحال.»[1]

☆ ☆ ☆

وتشير الإحصاءات بأن فلسطين شهدت موجات يهودية متلاحقة بتشجيع من بريطانيا وخصوصاً بعد حوادث 1881 و1882 في روسيا وما تم فيها من تنكيل باليهود المقيمين في روسيا بسبب من اتهامهم بالاشتراك بقتل إمبراطور روسيا الكسندر الثاني وهجرة ما يقرب من ثلاثة ملايين من اليهود الروس من روسيا إلى العالم الجديد في القارة الأميركية[2]، ولم يكن نصيب فلسطين منها بأكثر من 30,000 وكان نصيب فلسطين وفقاً للمصادر الإسرائيلية تكاثراً لليهود في فلسطين من عدد 24,000 في عام 1882 م إلى 50,000 في عام 1900 م إلى 85,000 في عام 1914 م و56,000 للفترة بين 1916 م ـ 1919 م، بعد ذلك أخذت الدعوة لإنشاء

(1) دروزه محمد عزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، العصرية صيدا ـ بيروت، ج:1، ص: 5 و6.

(2) انظر الباب الرابع الفقرة العائدة لتاريخ المسألة اليهودية في روسيا القيصرية في محور المسألة اليهودية للفترة التي تعود إلى ما بعد عام 1881 ـ أي عهد الكسندر الثالث.

وطن قومي لليهود، بعدما تبناها د. تيودور هرتزل اليهودي النمساوي الهوية ورئيس ومؤسس الحركة الصهيونية العالمية في مطلع القرن العشرين عام 1897م في بازل سويسرا، ومن بعده الدكتور حاييم وايزمن منحىً تنفيذياً جديداً بعد أن وضعت يدها بريطانيا على فلسطين عام 1917 م.

☆ ☆ ☆

رؤية استراتيجية للغرب الامبريالي المستعمر حول المشرق العربي وإقرار دعمه وتبنيه لحل المسألة اليهودية من خلال الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بعد أن وضع يده على المغرب العربي

كتب نابليون بونابرت وهو في منفاه في جزيرة سانت هيلانة إلى الجنرال جورجود يقول: «ما فتئت الدولة العثمانية منذ اضمحلت أحوالها توجه التجريدات العسكرية ضد المماليك من غير أن تحرز عليهم فوزاً، إذ كانت تنتهي التجريدة بالفشل والإنكسار. وقد أفضت هذه الحروب إلى تسوية تخوّل المماليك حق الإستمرار على مباشرة السلطة والحكم مع إدخال تعديلات طفيفة وقتية عليه. والذي يقرأ بالتفات تام تاريخ الحوادث التي توالت على مصر في المائتي عام الأخيرتين (يقصد منذ عام 1600)، يوقن أنه لو عهدت إلى وال من أهل البلاد كما هو الحال في ألبانيا، بدلاً من أن تعهد إلى إثني عشر ألفاً من المماليك لاستقلت المملكة التي تتألف من أمة تخالف غيرها مخالفة كلية بعقليتها وأهلها ولغتها، وتاريخها، وشملت مصر وبلاد العرب وشطراً من بلاد أفريقية كما استقلت مراكش من قبل.»[1]

☆ ☆ ☆

---

(1) عوض د. لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث، من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، مدبولي ـ القاهرة، ط:4، 1987، ج: 1، ص: 55.

وكتب ماكس نورداو مخاطباً الإنجليز قائلاً: «نحن نعلم ما تنتظرون منا ـ أنتم تريدون منا أن نحمي قناة السويس. علينا أن نؤمن طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأوسط. نحن على استعداد لإنجاز هذه المهمة الشاقة، لكن يتوجب عليكم السماح لنا بأن نصبح قوة قادرة على القيام بواجبها.»[1]

☆ ☆ ☆

وفي عام 1902 كتب السير هنري كامبل بانرمان (Sir H. Campbell Bonnermon) زعيم حزب الأحرار البريطاني وهو الذي أصبح في عام 1905 رئيساً لوزراء المملكة المتحدة يقول: «إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات الظاهرة والمغمورة، وتسيطر على ملتقى طرق العالم...وهي موطن الحضارات الإنسانية والأديان. ويجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ولغة واحدة وآمال واحدة. وليس هناك أي حاجز طبيعي يعزل القوم عن الاتصال ببعضهم... ولو حدث واتحدت هذه الأمة في دولة واحدة في يوم من الأيام لتحكمت في مصير العالم ولعزلت أوروبا عنه ولذلك يجب زرع جسم غريب في قلب هذه الأمة يكون عازلاً من التقاء جناحيها ويشتت قواها في حروب مستمرة، ورأس جسر ينفذ الغرب لتحقيق مطامعه.[2].)» ويكتب تيودور هرتزل مفلسف الصهيونية وصاحب كتاب «الدولة اليهودية» 1896 م والمتوفى في عام 1904 م من جهته في كتابه ص 96: «ستكون الدولة اليهودية جزءاً من المتراس الأوروبي ضد آسيا، ومخفراً متقدماً للحضارة ضد البربرية» ويقول في خطابه في بازل في المؤتمر الأول للصهيونية 1897 م «إنه لمن مصلحة الأمم المتحضرة أكثر فأكثر وللحضارة بشكل عام أن تقام محطة متمدينة على أقصر طريق يؤدي إلى آسيا. المحطة هي فلسطين، ونحن اليهود حماة رايات المدنية مستعدون

(1) العظم صادق جلال، دراسات يسارية في المسألة الفلسطينية، الطليعة ـ بيروت، ط:1 1970، ص:36.

(2) الأنصاري د. محمد جابر، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، عالم المعرفة، عدد 35، 1980، ص: 104.

للتضحية بممتلكاتنا وأرواحنا من أجل قيامها.. الصهيونية تسعى لضمان وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين معترف به علناً وآمن وشرعي»[1].

☆ ☆ ☆

وتشير بعض المصادر إلى أنه «في عام 1905 عقد مؤتمر في لندن بصورة رسمية وسرية بعد سقوط حكومة المحافظين التي كان يرأسها «أرثر بلفور» وقد استمرت جلسات المؤتمر حتى عام 1907، وكان قد دعا إليه حزب المحافظين، وقدمت توصيات إلى حكومة الأحرار برئاسة «هنري كامبل بانرمان» وكان هدف المحافظين إقناع رئيس الوزراء الجديد بالعمل لتشكيل جبهة استعمارية من الدول الأوروبية وهي: المملكة المتحدة ـ بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، البرتغال، بلجيكا، وهولندا، وذلك لمواجهة التوسع الاستعماري الألماني ولتحقيق بعض الأهداف التوسعية في أفريقيا وآسيا. وبالفعل فقد تأسست لجنة عليا مختصة في الشؤون الاستعمارية مؤلفة من الدول المشاركة، واجتمعت في لندن عام 1907، وكانت تضم جماعة من كبار علماء التاريخ والاجتماع والاقتصاد والزراعة والجغرافية والبترول. ـ من أعضاء اللجنة العليا: البروفيسور إدوارد جيبن مؤلف كتاب انهيار وزوال الإمبراطورية الرومانية، ولوي مادلين مؤلف كتاب: نشوء وزوال إمبراطورية نابليون، والبروفسور ليستر، ولسنج، وسميث، ودثرتنج وزهردوف ـ وجاء في كتاب **الظروف التاريخية للهجرات اليهودية** للأستاذ هشام الدجاني أنه: «قد أقامت اللجنة في المنطقة العربية فترة كافية من الزمن خلصت بعدها إلى التقرير الخطير الذي صدر في عام 1907.[2] ـ وانتهى المؤتمر عام 1907 إلى ضرورة توطيد الاستعمار في المناطق التي تسيطر عليها الإمبراطوريات المشتركة في المؤتمر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، توطيد سيطرة بريطانيا في

(1) برير الأب مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الصهيوني، ترجمة أحمد خليل زياد منى، قدموس للنشر وللتوزيع، ط: 2، 2000، ص: 151، 153.

(2) نصر شمالي وهشام الدجاني، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، المستقبل ـ دمشق، 1990، ص: 52.

أفريقيا والهند والشرق الأقصى، وإيطاليا في ليبيا، وفرنسا في المغرب وجزر المحيط الأطلسي، وانتهى المؤتمر أيضاً إلى قرارات تقضي بضرورة التوسع في مناطق أخرى أسيوية وأفريقيه، والواقع إن المؤتمر استعرض الأخطار التي يمكن أن تنطلق من تلك المستعمرات فأستبعد قيام مثل هذه الأخطار في كل من الهند الشرق الأقصى وأفريقيا والمحيط الأطلسي والهادي نظراً لانشغالها بالمشاكل الدينية والعنصرية والطائفية، وبالتالي بعدها عن العالم المتمدن. وتوصل مؤتمر لندن 1907 بالنتيجة إلى أن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية إنما يكمن في المناطق العربية من الدولة العثمانية لاسيما بعد أن أظهرت شعوبها يقظة سياسية ووعياً قومياً ضد التدخل الأجنبي والهجرة اليهودية والحكم التركي أيضاً. وأوضح تقرير المؤتمر أهمية المنطقة العربية باعتبارها نقطة التقاء بين الشرق والغرب، وزاد من أهميتها وجود قناة السويس كأهم ممر مائي لأوروبا. ورأى المؤتمر خطورة الشعب العربي على المصالح الاستعمارية نظراً لتوافر عدة عوامل يملكها: وحدة التاريخ واللغة والثقافة والهدف والآمال، واحتمال تزايد عدده من 35 مليون إلى مئة مليون نسمة خلال قرن من الزمن، ثم إن إمكانية وعوامل الوحدة وانتشار التقدم العلمي والفني والثقافي متوفر لدى الشعب العربي، وفي الوقت الذي ستتم فيه هذه الاحتمالات ستحل الضربة القاضية على الإمبراطوريات الاستعمارية وأخيراً انتقل التقرير إلى الوسائل لدرء الخطر المحتمل من المنطقة العربية فدعا الدول الاستعمارية إلى العمل على استمرار وضع هذه المنطقة متأخراً، والعمل على إيجاد التفكك والتجزئة والانقسام، وإنشاء دويلات مصطنعة تابعة لتلك الدول وخاضعة لسيطرتها وأوصى التقرير بشكل خاص على محاربة إتحاد هذه الجماهير العربية أو ارتباطها بأي نوع من أنواع الاتحاد الفكري أو الروحي أو التاريخي، وبضرورة إيجاد الوسائل العلمية القوية لفصلها عن بعض ما أستطاع إلى ذلك سبيلا. وفي التواصي العاجلة التي قدمها مؤتمر لندن الاستعماري لرئيس الوزراء كامبل بانرمان أكد المؤتمرون ضرورة فصل الجزء الأفريقي من المنطقة العربية ـ عن جزئها الآسيوي وضرورة

إقامة دولة عازلة ـ Buffer State ـ إذ إنّ إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة.»[1] وكانت هذه المقررات سرية للغاية.

☆ ☆ ☆

وحول صحة إنعقاد مؤتمر كامبل بانرمن كان هناك الكثير من الشك ووصل بالبعض إلى حد القول بأن ما يقال حول انعقاد هذا المؤتمر هو وهم ليس إلا، وهو مبني على قصة مفادها لقاء تم بين محام فلسطيني ورجل هندي التابعية في الطائرة، قام الرجل الهندي بالرواية ونقلها عنه المحامي الفلسطيني وكلاهما مجهولان.وقد قام الدكتور أنيس الصايغ بالتدقيق في أوراق السير كامبل بانرمن لمدة خمسة عشر يوماً فلم يجد شيئاً يثبت إنعقاد المؤتمر، وأنا أنقل هذا الرأي عن الأستاذ الباحث صقر أبو فخر من مركز الدراسات الفلسطينية من حديث خاص كان لي معه وكان نشره في أحد كتبه.

ولكن سواء صح إنعقاد المؤتمر أم كان مجرد وهم، وسواء كان مؤتمراً أم مجرد لجنة إستشارية، فإن ما تناقل عنه من وجهة نظر وطروحات لا تتناقض مع تفكير السير كامبل بانرمن من جهة، والحياة والأحداث السياسية اللاحقه كانت شديدة التوافق مع ما جاء فيه من رأي ومن تصرف وتخطيط لبريطانية وللدول الأوروبية ذات الصلة بالمنطقة خلال النصف الأول من القرن العشرين.

☆ ☆ ☆

في ذلك الحين وضع الغرب الأوروبي استراتيجيته تجاه ما يجب أن يقوم به في مستقبل بلاد المشرق العربية التي كانت آنذاك تحت السلطة العثمانية لأن

(1) حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية ص 115، 116؛ وحسان علي حلاق موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص221، 222، 223.

المغرب العربي كان قد أصبح تحت احتلاله، ففرنسا كانت قد وضعت تحت احتلالها كل من المغرب والجزائر وتونس، وإيطاليا قد احتلت ليبيا، وبريطانيا احتلت مصر، لذلك لم يكن هناك حاجة لبحث الوضع في المغرب العربي واقتصر البحث على المشرق العربي، وبعد ذلك وضع موضع التنفيذ قراره الاستراتيجي بتقسيم المشرق العربي وفصله عن القسم الأفريقي وبصورة خاصة مصر، بلد قناة السويس، بما لها من ثقل على صعيد الأمة العربية.

☆ ☆ ☆

فبعد قرارات مؤتمر هنري كامبل بانرمان، إن صح إنعقاد المؤتمر أو صح تقرير اللجنة، والتي صدرت عن الدول العظمى آنذاك تداعت الأمور التنفيذية لهذه الإستراتيجية التي تحكم تعامل الغرب مع المنطقة العربية حتى يومنا هذا، وقاد هذا التنفيذ المملكة المتحدة مع إطلاع الولايات المتحدة الأميركية على ما أقر وهي التي بدأ نجمها في مطلع القرن العشرين يصعد ويحل نفوذها في أماكن نفوذ المملكة المتحدة ـ بريطانيا ومعها فرنسا في المنطقة وفي العالم.

وهكذا إذا أنعمنا النظر فيما نسب من قرارات لمؤتمر هنري كامبل بانرمان نستطيع أن نفسر ونفهم القواعد الثابتة التي تحكم حقيقة سياسة وتصرف الغرب الأوروبي ومعه الولايات المتحدة الأميركية مع المشرق العربي بصورة خاصة وسبب الوعود التالية التي صدرت عنه لاحقاً وهي تتلخص بالنقاط التالية:

1 ـ تقسيم المشرق العربي وشرذمته إلى دول صغيرة ومتناحرة والمحافظة على فرض بقائه بهذه الشرذمة والتي تجلت فيما بعد بإتفاقية سايكس ـ بيكو وما قام به الانتداب الفرنسي والانتداب البريطاني بعد زمن الحرب العالمية الأولى من تقسيم المشرق العربي إلى دول عديدة.

2 ـ خلق قاعدة استعمارية استيطانية صهيونية تكون خاضعة له بما تحتاجه من دعم لوجستي وتلعب دور حاجز غريب مرتبط به على أرض فلسطين يحول دون جمع المشرق العربي في آسيا بالقسم الأفريقي وذلك بتبنيه رسمياً

للاستعمار الاستيطاني الصهيوني على أرض فلسطين، وتجلى ذلك بدعوة بريطانية للحركة الصهيونية والدكتور حاييم وايزمن لفلسطين لإقامة الوطن القومي اليهودي فيها والحرب العالمية الأولى لم تضع أوزارها بعد.

3 ـ رضاء الحركة الصهيونية بهذه الإستراتيجية الغربية وتبنيها لما خططه لها وذلك وفق ما صرح مؤسس الحركة الصهيونية وفيلسوفها تيودور هرتزل «علينا أن نكون جزءاً من سور للدفاع عن أوروبا في آسيا، مركزاً أمامياً للحضارة ضد البربرية».

4 ـ إثارة النعرات المحلية الدينية والإثنية في المشرق العربي لتثبيت هذه الشرذمة واستحالة لمّ الشمل والعودة إلى الوحدة السياسية لشعب المنطقة.

5 ـ جعل هذه الدولة المزروعة والغربية قاعدة حربية له، تهدد الشعب العربي وتقض مضجعه، وتستنزف مقدراته بحروب محلية محدودة بين الفينة والأخرى.

وهكذا تكون كل التصرفات والوعود التي صدرت عن الغرب في بداية القرن العشرين ليست سوى التنفيذ العملي لما اتفق عليه في مؤتمر لندن عام 1907 بين الدول الفاعلة آنذاك إن صح انعقاده، ولكن على الوجه الأكيد صح وتحقق ما نسب إليه من معلومات على أرض الواقع في المشرق العربي.

☆ ☆ ☆

وهكذا نستطيع أن نفهم ونفسر مضمون اتفاقية سايكس بيكو (Sykes-Picot) في سنة 1916 وهي التي حملها معه بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية لنسنغ ـ Lansing في 18 أيار 1917 أثناء زيارته لأميركا، ومضمون وعد بلفور الذي صدر في 2 تشرين الثاني 1917 قبل خمسة أيام من تاريخ دخول القوات البريطانية إلى فلسطين (غزة ويافا) والذي تم في 7 تشرين الثاني 1917 ليبدأ من تاريخه الانتداب البريطاني مهمته في الوفاء بوعده بإنشاء وطن قومي لليهود أو إنشاء القاعدة الاستعمارية الاستيطانية

الصهيونية ووضع الحل للمسألة اليهودية التي عانت منها أوروبا موضع التنفيذ والذي يتضمن بجزء منه تهجير اليهود من أوروبا إلى المشرق العربي، ومن ثم كتب فرانكفورتر ـ Frankfurter ـ بالنيابة عن المنظمة الصهيونية للرئيس الأميركي ولسون وكتب إليه الرئيس ولسون مجاوباً أنه لم يخطر في باله أن هناك حاجة إلى إصدار بيان يؤكد فيه التزامه بما جاء بوعد بلفور، وبرسالة الرئيس الأميركي ولسون هذه يكون الغرب بكامل أعضائه قد تبنى الإستراتيجية الغربية تجاه المشرق العربي والتي أقرت في مؤتمر لندن في عهد السير هنري كامبل بانرمان عام 1907 م، أو على وجه الدقة التي نميت إلى قرارات أقرت في هذا المؤتمر إن صح انعقاده.

☆ ☆ ☆

بريطانيا تبدأ دون إبطاء بإقامة دولة إسرائيل ـ الوطن القومي لليهود، في أرض الهجرة الجديدة، وتحت العلم البريطاني على أرض فلسطين بتاريخ 7 تشرين الثاني عام 1917م

خلصت بريطانيا العظمى كل الإخلاص لما قدمته من وعود للحركة الصهيونية، ولما وافقت عليه كحل للمسألة اليهودية التي كانت تلم بأوروبا، وللقرارات التي نسبت لمؤتمر لندن (قرارت لجنة كامبل بانرمن)، ولوعد بلفور، وهو عبارة عن رسالة وجهها وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 تشرين الثاني 1917 م إلى اللورد روتشيلد اليهودي الصهيوني البريطاني ونصه:

«وزارة الخارجية

2 تشرين الثاني 1917م

عزيزي اللورد روتشيلد:

يسعدني كثيرا أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك، التصريح التالي تعاطفاً مع أماني اليهود الصهاينة، الذي رفع إلى مجلس الوزراء ووافق عليه.

تنظر حكومة جلالة الملك بعين الرضى إلى إنشاء وطن قومي للعرق اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف، وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم فعل شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين، أو بالحقوق أو الأوضاع

السياسية التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى. إني أكون مديناً لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الإتحاد الصهيوني.

المخلص

آرثر جيمس بلفور.»[1]

☆ ☆ ☆

واعترف بلفور أن روتشيلد و وايزمن وضعا، بناء لطلبه، المسودة الأولى للوعد[2].

يقول الدكتور حاييم وايزمن في مذكراته: «كانت مقابلتي الأولى مع لويد جورج في 3 كانون الأول عام 1914 إلا أنه ينسى هذا في مذكراته، ويزعم أن معرفته بي تبدأ في عام 1917 حين بدأت عملي في وزارة الذخائر كخبير كيماوي. ويزعم فوق هذا أن الحكومة البريطانية التي كان يرئسها في سنة 1917 قطعت وعد بلفور لليهود مكافأة لي... أنا .. على ما قدمت من خدمات في منصبي كخبير كيميائي.»[3]

☆ ☆ ☆

وجاء في كتاب د. الياس شوفاني الموجز في تاريخ فلسطين السياسي:

«... بناء على تعهداتها للحركة الصهيونية، ولكي تضمن دعم الولايات المتحدة لمشاريعها، سارعت الحكومة البريطانية إلى إرسال لجنة صهيونية إلى فلسطين، في ربيع سنة 1918 م، بينما نصفها الشمالي لم يحتل بعد، للتنسيق مع الإدارة العسكرية في تهيئة الأوضاع لإنشاء «الوطن القومي اليهودي» فيها، ولتوجيه نشاط المؤسسات الصهيونية نحو هذه الغاية، وبالسرعة القصوى، من

(1) شوفاني الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، ط: 3 2003، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص: 342.

(2) PRO FO371/3058, in Ingrams 1972:9.

(3) وايزمن حاييم، مذكرات حاييم وايزمن، بقلمه، دار الفنون ـ بيروت، ط: 1 2006، ص: 29.

جهة أخرى.... وكانت لجنة المندوبين برئاسة حاييم وايزمن... وعينت حكومة لندن أورمسبي ـ غور، ضابط ارتباط بين اللجنة والإدارة العسكرية في فلسطين، كونه ضابطاً في الجيش البريطاني معروفاً بميوله الصهيونية.... ومن مصر توجهت اللجنة إلى فلسطين، وراحت تتصرف بناء على تفويض من حكومة لندن، كحلقة اتصال بين الإدارة العسكرية والمستوطنين الصهيونيين، وكمرشد لتلك الإدارة بشأن ما يتوجب عمله للتسريع في تجسيد وعد بلفور. وبمؤازرة الإدارة العسكرية، شكلت اللجنة دوائر متعددة لشؤون السياسة والدعاية والزراعة والاستيطان والهجرة والإحصاء والتجارة والعمل والمال. وبذلك أصبحت في الواقع سلطة موازية للإدارة العسكرية، بل ومتناقضة معها (دولة داخل دولة). وكان على رأسها في البداية حاييم وايزمن، ثم خلفه الدكتور إيدار، ومن بعده مناحم أوشكين.. وتقلب عدد من الجنرالات على الحكم العسكري في فلسطين فبداية تولى الجنرال كلايتون منصب المدير العسكري.. فعين الكولونيل ستورز حاكماً للقدس في كانون الأول من عام 1917 م. ثم جرى استبدال كلايتون بالجنرال موني في 5 نيسان 1918، الذي نحي عن منصبه تحت ضغط المنظمة الصهيونية بعد أن وجه إلى سلوكها نقداً شديداً لضيق ذرعه بفجاجة تصرف أعضاء لجنة المندوبين الصهاينة. وفي آب عين الجنرال واطسن خلفاً لموني، لكنه لم يكن أوفر حظاً، فاستبدل في كانون الأول 1919م بالجنرال بولز، الذي لم يعجب لجنة المندوبين الصهيونية أيضاً. وبسحبه من منصبه وتعيين هربرت سامويل في تموز 1920 م مندوباً سامياً في فلسطين، انتهى عمل الإدارة العسكرية، وبدأت الإدارة المدنية»[1]

وفي 11 آب 1919 م وجه بلفور إلى وزير الخارجية اللورد كريزون مذكرة يقول فيها: «إن الدول الكبرى الأربع ملتزمة بالصهيونية. والصهيونية، سواء

(1) شوفاني الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، ط: 3 2003، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص: 368 وما بعدها.

أكانت صائبة أو خاطئة، حسنة أم سيئة، تضرب بجذورها في عادات قديمة قدم الدهر، وفي الحاجات الحالية، وفي الآمال المقبلة، وهي أكبر أهمية بكثير من رغبات وتحاملات السبعمائة ألف عربي الذين يقطنون الآن تلك الأرض القديمة... وأياً كان مستقبل فلسطين، فهي ليست الآن أمة مستقلة وليست في سبيلها لأن تصبح كذلك....» وكانت تلك المذكرة الموجهة لوزير الخارجية بسبب معارضته لتوجهات اللورد بلفور تجاه سياسته في فلسطين وتجاه نص صك الانتداب.

☆ ☆ ☆

وفي عام 1921 انتقلت مسؤولية الحكومة البريطانية عن فلسطين من وزارة الخارجية إلى وزارة المستعمرات التي كان يشغلها تشرشل.

رسم وزير المستعمرات سياسة حكومته تجاه فلسطين في ما سمي فيما بعد «مذكرة تشرشل «في أول تموز/ يوليو 1921 م، فأكد وعد بلفور و«العلاقة التاريخية» لليهود بفلسطين وأن وجودهم فيها «حق وليس منّة» وأن الهجرة ستخضع لقدرة فلسطين على الاستيعاب.

ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني فيما بعد، قد حدد في مذكراته وبوضوح أكبر، ليس طبيعة الدولة اليهودية المرجوة فحسب، وإنما حجم سكانها ومساحة أراضيها حيث يقول: «إذا أتيح لنا في حياتنا ـ وهو ما سيقع حتماً ـ أن نشهد مولد دولة يهودية، لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً، تقوم تحت رعاية التاج البريطاني، وتضم نحو ثلاثة ملايين، أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سوف نشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المطامح الحيوية للإمبراطورية البريطانية.»[1]

☆ ☆ ☆

(1) نصر شمالي وهشام الدجاني، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، دار المستقبل، 1990 آذار، ص: 54.

وجاء في كتاب **التاريخ اليهودي العام** للدكتور صابر طعيمة أنه في أوائل عام 1915 م كتب هربرت صامويل عضو الوزارة بعنوان «مستقبل فلسطين» إلى الحكومة البريطانية برئاسة اللورد أكسفورد رسالة اقترح فيها هجرة ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين تحت الحماية البريطانية ومما قال فيها: «ونكون قد أوجدنا بذلك دولة جديدة موالية لبريطانيا بجوار قناة السويس». وبقوله هذا كان ينطق بما نسب من خطط سابقاً إلى مؤتمر لندن (لجنة كامبل بانرمن) عام 1907.

☆ ☆ ☆

كان تعيين هربرت صامويل مندوباً سامياً على فلسطين بمثابة رسالة صريحة من حكومة لندن إلى الأطراف المعنية جميعها، تؤكد التزامها بوعد بلفور، وإصرارها على تنفيذه. ويورد المؤرخ صبري جريس في كتابه **تاريخ الصهيونية 1862م ـ 1948** م وصف حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك تعين ساموبل: «كنت مسؤولاً بصفة رئيسية عن تعيين هربرت ساموبل في فلسطين.. ولم يكن هناك شخص يعمل من أجل تعيين هربرت ساموبل، أو يسر لهذا التعيين أكثر مني أنا. لقد كان هربرت ساموبل صديقاً لنا وعمل معنا بولاء منذ اللحظة الأولى، وقد قبل هذا المركز الصعب بناء على الطلب المدعم بمساعدتنا المعنوية. إنه صموئيلنا، إنه نتاج يهوديتنا.» فلقد كان هربرت ساموبل عضواً عتيقاً وعاملاً في المنظمة الصهيونية العالمية وهي التي رشحته لمنصب المندوب السامي البريطاني على فلسطين. ويروي د. صابر طعيمة في كتاب **التاريخ اليهودي العام** أن: «هربرت صامويل البريطاني الصهيوني سافر إلى الولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الأولى واتصل بالقاضي براندس، وهو الذي كان مرشحاً لرئاسة الحركة الصهيونية خلفاً لهرتزل، وفرانكفورتز، واستطاع الثلاثة بضغوطهم وتعبئتهم للقوى اليهودية الأميركية أن يقحموا الولايات المتحدة الأميركية في الحرب العالمية الأولى سنداً لبريطانيا وعوناً لها ومنذ هذا التاريخ بات محققاً إمكانية العمل المثمر لكل من

الصهيونية والاستعمار البريطاني في حالة تعاون مشترك بينهما تحقيقاً للأماني التي وجدت عند كل منهما . . .»[1]

☆ ☆ ☆

في عهد هربرت صامويل الذي كان معظم مستشاريه ومعاونيه أعضاء في الحركة الصهيونية العالمية، ومن توالى من بعده من المندوبين الساميين على فلسطين، طوعت القوانين لصالح الوكالة اليهودية الصهيونية تحت إشراف لجنة المندوبين الصهيونية بما يتوافق بالسماح للهجرة اليهودية بالاستقرار في فلسطين ووهبها الأراضي العمومية، وغضت السلطات البريطانية النظر عن تهريب السلاح إلى المنظمات العسكرية الصهيونية، في حين حظرت على المواطنين العرب حمل أي سلاح للدفاع عن حقوقهم وحياتهم، فتصاعد عدد اليهود في فلسطين عام 1917 من 56,000 ألف إلى 680,000 في عام 1947 وكان تعداد العرب في عام 1917 م 700,000 نسمة وفي عام 1947 م 1,237.000 نسمة وفق إحصاءات الأمم المتحدة؛ وهكذا تكون بريطانيا، بموافقة الولايات المتحدة الأميركية، قامت بالاستيلاء على الأرض الفلسطينية وهي من سلم وشرع للحركة الصهيونية استيلاءها على فلسطين، وذلك في ظل حكمها لفلسطين بين 1917م ـ 1948 م، والحقيقة العلمية الثابتة أن الحركة الصهيونية بأجنحتها وحدها لم تستطع أن تبني وطناً قومياً لليهود ولم تستطع أن تستولي على فلسطين في مطلع القرن العشرين ولكن من أقام الوطن القومي لليهود في فلسطين السليبة هي بريطانيا والغرب تنفيذاً وتخطيطاً وحماية وتمويلاً كحل للمسألة اليهودية في أوروبا، وليس الحركة الصهيونية العالمية، ونحن نضيع البوصلة حين نظن غير ذاك، ولا بد لنا من التأكيد مرة أخرى أن قرار وتنفيذ إقامة مستعمرة استيطانية صهيونية في فلسطين هما إرادة وقرار استعماريان غربيان قلباً وقالباً أُخذا في مؤتمر لندن عام 1907 م أو بناء لتوصية لجنة كامبل بانرمن، وتم تنفيذهما على

(1) طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل ـ بيروت، ط: 1، 1975، ج: 2 ص: 119.

أيدي بريطانيا زمن انتدابها على فلسطين وغادرتها يوم تأكدت أن الحركة الصهيونية لم تعد بحاجة إلي وجودها كحامٍ لها.

☆ ☆ ☆

في نهاية عام 1947 تحقق ما كان قد تنبأ به اللورد سيدنهام في مجلس العموم البريطاني حين مناقشته لصك الانتداب البريطاني على فلسطين وذلك حين قال منبهاً: «إن الضرر الناجم عن إلقاء شعب أجنبي على شعب عربي ـ والعرب في كل مكان بالمنطقة الخلفية ـ قد لا يعالج أبداً. . . فما فعلناه بتنازلنا لا للشعب اليهودي وإنما لقطاع متطرف صهيوني، هو أننا بدأنا قرحاً نازفاً في المشرق، ولا أحد يدري إلى أي مدى سيمتد هذا القرح.»[1] والغريب أنّ مجلس اللوردات صوت آنذاك بإلغاء وعد بلفور من نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين لكن مجلس العموم هو الذي ثبته، فتبنته الحكومة البريطانية آنذاك وأصبح الأساس لسياستها الرسمية تجاه فلسطين.

☆ ☆ ☆

(1) شوفاني الياس، الموجز.. مرجع سابق ص: 385، نقلاً عن الأمم المتحدة، منشأ القضية الفلسطينية وتطورها 1917 ـ 1988 (نيويورك 1990) ص: 38.

الفصل السابع

التكليف الدولي من عصبة الأمم للمملكة المتحدة - بريطانيا - بإنشاء مستعمرة استيطانية صهيونية بفلسطين، وبعدها إسباغ الشرعية الدولية على وجودها بقرار من الأمم المتحدة رقمه 181 (د ـ 2)

لم تبق مقررات مؤتمر لندن (لجنة كامبل بانرمن) ولا وعد بلفور حبراً على ورق كما يقول المثل العامي، ولكن التنفيذ العملي لها ظهر قبل صدور نص صك الانتداب على فلسطين، ومنذ وضعت القوات البريطانية أقدامها على أرض فلسطين بتاريخ السابع من تشرين الثاني من عام 1917، وأصبح ما قامت به شرعياً وموافقاً عليه من الشرعية الدولية بمضمون نص صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم والذي تمت صياغته على يد الحكومة البريطانية بعد ذلك. فلقد أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين في 24 تموز/ يوليو 1922، وفي صلبه تصريح وعد بلفور، وبذلك تحدد اتجاه تطور الأحداث القادمة في فلسطين وفقاً لما خطط له الغرب ومعه الصهيونية العالمية في مؤتمر لندن. فلقد جاء في ديباجة الصك: «.. ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضاً على أن تكون الدول المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في يوم 2/ 11/ 1917، وأقرته الدول المذكورة لمصلحة إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين .. ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد ...»

ومنح الصك بريطانيا السلطة التامة في التشريع والإدارة، و«جعلها مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي»، وفقاً لما جاء في ديباجة هذا الصك واعترف الصكّ بالوكالة اليهودية «كهيئة عامة لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود وتساعد وتشترك في ترقية البلاد» وكلف الصكّ إدارة الانتداب تسهيل «هجرة اليهود في أحوال ملائمة» وأن تشجع، بالتعاون مع الوكالة اليهودية «استيطان اليهود بكثافة في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية وشرح بان الوكالة اليهودية هي المنظمة الصهيونية وأن نظامها وتأليفها يصلحان لهذا الغرض»[1]

☆ ☆ ☆

ونظراً إلى أن الولايات المتحدة الأميركية لم تكن عضواً في عصبة الأمم، فقد وقعت مع بريطانيا في العام 1925 اتفاقية أضفت صفة رسمية على موافقة الولايات المتحدة على تنفيذ صكّ الانتداب على فلسطين مع العلم بأن الكونغرس الأميركي كان قد أقر قراراً بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام 1922م. وجاء في كتاب **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي** أيضاً: «... لم تشارك الولايات المتحدة في مؤتمر سان ريمو، ولا حتى في معاهدة سيفر أو لوزان، لكنها وافقت رسمياً على وعد بلفور، عبر قرار مشترك لمجلس الشيوخ والنواب في 30 حزيران/ يونيو 1922، ووقعه الرئيس هاردنغ (20 أيلول/ سبتمبر 1922 م)....، ودخل الانتداب البريطاني على فلسطين في الاتفاق الأنكلو ـ أميركي في 3 كانون الأول/ ديسمبر 1924 م، إذ ضمنت الولايات المتحدة امتيازات لشركات أميركية، أهمها امتياز للتنقيب عن النفط في النقب، لشركة ستاندارد أويل. وفقط بعد حصول الشركة على الامتياز المذكور، تعهدت

(1) نص صك الانتداب في وثيقة الأمم المتحدة ص 103 ـ 110.

واشنطن بالموافقة على نص ميثاق الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم والذي يتضمن في متنه وعد بلفور ....»[1]

☆ ☆ ☆

وهكذا أصبح هناك بتاريخ 24 تموز/ يوليو عام 1922 قرار دولي من عصبة الأمم بإيجاد القاعدة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية بفلسطين كحل للمسألة اليهودية وهذا أغرب قرار من الشرعية الدولية، فلقد منح من لا يملك الأملاك العمومية للدولة إلى مغتصب ومعه حق إقامة دولة له في أرض شعب آخر وعلى تراب أرضه القومية، وأقام حجة هذا المنح على ما جاء من أسطورة في الكتاب المقدس في العهد القديم مر عليها أكثر من ثلاثة آلاف من السنيين وهذا من أغرب ما جاء في التاريخ الحديث، أوليس هذا اغتصاباً من الشرعية الدولية للحقوق العربية، ألا يذكرنا هذا بالقول: «سرقة امرىء في غابة جريمة لا تغتفر وسرقة أملاك شعب آمن مسألة فيها نظر».

☆ ☆ ☆

في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947 صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية أيدته 33 دولة وعارضته 13، وامتنعت عن التصويت عشر دول، وبذلك أصبح المشروع التقسيمي لفلسطين يحمل الرقم 181 (د ـ 2) وساوى بين المغتصب وصاحب الحق، وكان ذلك بعدما شهدت أروقة الجمعية العامة، كما شهدت شبكة الاتصالات الدبلوماسية في العالم، نشاطاً محموماً قادته الولايات المتحدة الأميركية لتأمين أغلبية الثلثين، واستخدمت وسائل الترهيب والترغيب والرشوة لبلوغ الهدف. ونص القرار على أن تنهي بريطانيا وجودها في فلسطين بحلول 1أب/ أغسطس 1948 وهكذا أصبغت الشرعية الدولية قانونية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على أرض فلسطين، وأصبحت القاعدة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية حقيقة

(1) شوفاني الياس، الموجز ... مرجع سابق، ص: 368.

مائلة تقوم على الفصل بين المشرق العربي ومصر وهو الذي فتته الانتداب الفرنسي والبريطاني إلى دول شتى مقيماً عليها من كان له عوناً على استتباب سلطانه عليها، وأصبح المشرق العربي مشرذماً يتنازعه صراع العائلات المالكة والموالية للغرب والتي نصبها الانتداب على مقدرات البلاد.

☆ ☆ ☆

«ويوم 14 أيار 1948 كان المندوب الأميركي في الأمم المتحدة يلقي كلمته في الجمعية العامة للأمم المتحدة داعماً السياسة الرسمية المعتمدة الداعية لوضع فلسطين تحت رعاية مجلس الوصاية. فدعي (المندوب الأميركي) على عجل لتلقّي مكالمة هاتفية. فغادر قبل انتهاء كلمته وتبيّن فيما بعد أن الولايات المتحدة عكست موقفها وقررت الاعتراف بإسرائيل.

وكان كلارك كليفورد، مستشار ترومان، قد أبلغ دين راسك بهذا الموقف الذي لم يخفِ ما انتابه من إرباك بسبب ما يخلفه هذا القرار الذي يعكس الموقف الرسمي المعلن في الأمم المتحدة وما أبلغوه رسمياً لبعض مندوبي الدول العربية مثل كميل شمعون وفارس الخوري ومحمود فوزي وعيسى نخلة (وهذا فلسطيني) (علاقات الولايات المتحدة لسنة 1948 ص: 744).

وتجاه هذا التناقض «الفضيحة»، سرت أشاعة في واشنطن مفادها أن موظفي البعثة الأميركية سيستقيلون جماعياً احتجاجاً على التعليمات المتناقضة وما سببته من حرج. فطلب وزير الخارجية، جورج مارشال، من السيد دين راسك معالجة الموضوع وتهدئة الخواطر. (المرجع السابق ص: 993).[1]

وفي مقدمة كتاب **«الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، وطأة 3000 عام»** للكاتب اليهودي الدكتور إسرائيل شاحاك، والتي كتبها الكاتب الأميركي، غور فيدال، روى بأنه «أواخر الخمسينات، أخبرني ناقل الأقاويل، الذائع الصيت،

(1) صاغية فخري، اتفاق 17 ايار، صادر، بيروت، دون تاريخ، ص: 11 وما بعدها.

والمؤرخ بين الحين والآخر، جون ف. كندي، كيف كان هاري ترومن، منبوذاً من الجميع عندما تقدم لترشيح نفسه للرئاسة عام 1948. فكان أن جاءه صهيوني أميركي إلى القطار الذي كان يستخدمه لتنقلاته في حملته الإنتخابية، حاملاً معه حقيبة تحتوي على مليوني دولار عداً ونقداً. «لهذا السبب كان اعترافنا بإسرائيل على هذه الدرجة من السرعة».

... ولسوء الحظ، فقد نتج عن الإعتراف المتسرع بإسرائيل كدولة، 45 عاماً من التشويش الفتاك، وتدمير ما ظن رفاق الدرب الصهيونيون أنه سيغدو دولة تعددية - تكون وطناً للسكان الأصليين من مسلمين ومسيحيين ويهود، ووطناً مستقبلياً لمهاجرين مسالمين من اليهود ألأوروبيين والأميركيين، ووطناً للذين تظاهروا منهم بالاعتقاد أن وكيل العقارات الأكبر في السماء، قد وهبهم وإلى الأبد، أراضي يهودا والسامرة. وبما أن العديد من المهاجرين كانوا من الإشتراكيين الجيدين في أوروبا، فلقد افترضنا بأنهم لن يسمحوا للدولة الجديدة بأن تتحول إلى دولة يحكمها رجال الدين وبأن السكان الأصليين الفلسطينيين يمكنهم العيش معهم كمساوين لهم. ولكن هذا لم يقدر له أن يحصل.»[1]

☆ ☆ ☆

بعدها أصبحت الدولة الصهيونية اليهودية تعرف بدولة «إسرائيل» عضواً رسمياً بهيئة الأمم المتحدة، وظلّت بمظلة الحماية الغربية الكاملة في وجه الحق العربي والعدل الدولي. والغرب منذ شرع بإنشائها يحمي مخالفاتها وجرائمها ضد العرب بالفيتو في المحافل الدولية على كل قرار يدين جرائمها وهذا الوضع ما يزال ماثلاً أمام أعيننا لليوم للأسف.

☆ ☆ ☆

وفي 15 أيار/ مايو 1948 أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين بعدما كانت

(1) شاحاك إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط: 4 1997، ص: 13.

الحركة الصهيونية بلسان ديفيد بن غور يون[1] في 15 أيار \مايو 1948 أعلنت قيام دولتها إسرائيل على أرض فلسطين، وصرح في عام 1948 وزير الطيران الأميركي مقولته المشهورة بأن إسرائيل هي حاملة الطائرات الأميركية التي لا تغرق فكان بذلك التصريح يصور بصورة جلية مدى العلاقة والارتباط بين الغرب الامبريالي وإسرائيل.

☆ ☆ ☆

(1) Matti GOLAN, Shimon Peres, Nicolson, London, 1982, p21.

الفصل الثامن

موقف الغرب من دولة إسرائيل منذ وجدت حتى يومنا الحاضر

ومنذ ذلك التاريخ المشؤوم الواقع في 15 من أيار 1948 أصبح الغرب كَلِفَاً وبالصورة العلنية ليس فقط بأمن دولة إسرائيل، التي كانت فكرة إنشائها جزءاً من الحل للمسألة اليهودية في أوروبا، وبعد أن حرص على تكوينها وإقامتها على أرض فلسطين، ولكنه كلف حتى أقصى الحدود بتزويدها بكل وسائل العيش من عسكرية وأسلحة متطورة واقتصادية ودعائية.... إلى نهاية السلسلة حتى أصبحت إحدى الدول النووية في العالم والتي لا تخضع لأي مراقبة دولية.

في البدء كلفت الدول الأوروبية وهي تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبريطانية وإيطاليا وألمانية الغربية والولايات المتحدة بتزويدها بما يؤمِّن تفوقها العسكري على العرب مجتمعين وفي النهاية أصبحت الولايات المتحدة هي المتعهد الرئيس لها سلاحاً واقتصاداً وحماية وتوجيهاً وتدريباً... وغطاء لكل ممارساتها المجرمة تجاه الشعب العربي من العقاب الدولي....إلخ.[1]

وفي استعراض بسيط لتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي العسكري نجد أن

(1) من أجل الإطلاع على تفاصيل التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل عبر الزمن يمكن مراجعة كل من كتاب: القوات المدرعة الإسرائيلية عبر أربع حروب، لمحمود عزمي، أو كتاب: الاستراتيجية العسكرية للحروب العربية ـ الإسرائيلية، د. هيثم الكيلاني.

في حرب 1956 قامت بريطانيا وفرنسا بتزويد إسرائيل بما تحتاج إليه من سلاح وذخيرة لقيامها بالحرب على مصر، وفي حرب 1967 وحرب 1973 قامت الولايات المتحدة بتأمين تفوقها على العرب بما يلزمها من سلاح وذخيرة ومعلومات وتشير وثائق حرب تشرين 1973 إلى أنَّ الولايات المتحدة قامت بتزويد إسرائيل أثناء المعارك الحربية بالعتاد الذي بلغ مقداره ما يقارب 23 ألف طن وصلت لإسرائيل جواً و33 ألف طن وصلت لإسرائيل بحراً[1]، ومن ذلك الزمن أصبح السلاح الإسرائيلي سلاحاً أميركياً وإنْ أنتج داخل إسرائيل، وجلّ الحروب التي خاضتها إسرائيل لاحقاً هي حروب بسلاح أميركي المصدر عدة وعديداً وذخيرة، ونحن ما نزال نذكر خط التموين اليومي بالذخيرة من الولايات المتحدة باتجاه إسرائيل عام 2006 أثناء حربها على لبنان، لتقذف به المواقع اللبنانية مرتكبة أعظم الجرائم بشاعة ضد الإنسانية في عصرنا الحاضر، وآخرها ما قامت بإلقائه على غزة من قنابل فسفورية عام 2008، فخلال مجمل أيام القتال سواء في لبنان أوفي غزة كان هناك خط تموين للذخيرة بالطائرات من الولايات المتحدة إلى إسرائيل.

☆ ☆ ☆

يقول د. غسان سلامة وزير الثقافة السابق في لبنان وممثل السكرتير العام للأمم المتحدة سابقاً في كتاب **السياسة الأميركية والعرب**: «.. احتضنت الولايات المتحدة، كما لم تفعل أي دولة أخرى في العالم، المشروع الصهيوني في حلته الإسرائيلية المعادية. فجعلت من عدو العرب الأساسي، مجتمعاً مدججاً بالسلاح الحديث، يتموّن من الترسانة الأميركية بحرية مطلقة تقريباً. بل أصبحت الإدارة الأميركية تبدو أحياناً وكأنها رهينة الأفضليات والرغبات الصادرة عن تل أبيب.»[2]

---

(1) هيكل محمد حسنين، حرب اكتوبر 731.
(2) سلامة د.غسان، السياسة الأميركية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:1، 1982، ص: 7.

ويقول الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر وهو عرّاب اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل في كتابه **دم إبراهيم رؤية إلى الشرق الأوسط**: «.. وبالرغم من خلل الدبلوماسية الأميركية لصالح إسرائيل فإن الولايات المتحدة ما تزال تعتبر من قبل القادة العرب الذين سوف يقرون بوجود إسرائيل، القوة الخارجية الأكثر قبولاً لديهم والتي ستجلب للمنطقة ثباتاً جديداً وتدفع خطوة تالية نحو التوفيق بين الخصمين ....» وينتهي قائلاً: «.. إن أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، غالباً ما حددت وأعلن عنها، ولكن غالباً ما أسيء فهمها. فهي سهلة التعداد لكن صعبة الإنجاز:

- ضمان أمن إسرائيل وجيرانها العرب والعيش في سلام
- استقلالية كل شعب وعدم التدخل الخارجي في أموره.
- منح فلسطينيي الضفة الغربية وقطاع غزة حقوقهم الشرعية بما فيه حق تقرير المصير.
- لبنان مستقل ذو سلطة موحدة مع انسحاب جميع القوى الأجنبية
- استبعاد الشرق الأوسط من المواجهة بين القوى العظمى.
- الحد من التدخل السوفييتي في شؤون المنطقة.
- وضع حد للحرب بين العراق وإيران وإعادة حدودهما القومية الرسمية.
- الرخاء الاقتصادي والحياة الكريمة لشعوب المنطقة.»[1] وكان هذا الكلام عام 1985 لكن خلفاءه من الرؤساء الأميركيين حافظوا على تذكر الجزء الأول من البند الأول فيما يختص بأمن إسرائيل وسمحوا لذاكرتهم بأن تتناسى الباقي.

☆ ☆ ☆

---

(1) كارتر جيمي، «دم إبراهيم رؤية إلى الشرق الأوسط»، ترجمة سامي جابر، دار المروج، 1986، ص: 39، 40.

وفي 27 من كانون الثاني من عام 2009 وبعد فقط سبعة أيام من توليه السلطة كرئيس للولايات المتحدة يصرح الرئيس براك أوباما بالفم الملآن أن مصالح الولايات المتحدة ومصالح إسرائيل هي واحدة، وفي رد له على سؤال لأحد الزعماء اليهود الأميركيين في تاريخ 13 من تموز عام 2009 خلال اجتماعه بهم ««لماذا تضغط الإدراة (الأميركية) على إسرائيل ولا تمارس الضغط على الطرف الآخر؟» فأجاب أوباما بأنه يمارس «ضغطاً شديداً» على الجانب العربي، و«لأسفي وسائل الإعلام تضخِّم موضوع الجدالات التي هي جدالات داخل العائلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.»[1]. وبعد هذا التصريح ليس هناك من ضرورة لمزيد من القول حول علاقة الغرب مع إسرائيل.

☆ ☆ ☆

(1) جريدة السفير لبنان، الصفحة الأولى، تاريخ 17، تموز، 2009.

الفصل التاسع

خلاصة هذا المحور

وتلخيصاً لهذا المحور نستطيع أن نوجز الحقائق الماثلة اليوم التالية:

1 ـ إن الغرب مجتمعاً قام على التخطيط لشرذمة المشرق العربي وتفتيته لدول متعددة، وجعلها تدور في فلكه، وقام على تنفيذ ما خططه، وأصبغ عليه الشرعية الدولية، وهو وراء المحافظة على بقاء الوطن العربي مشرذماً.

2 ـ إن الغرب أيضاً قام على إنشاء قاعدة استيطانية من الشعب اليهودي والمنتمي للحركة الصهيونية على أرض فلسطين، كحلٍّ للمسألة اليهودية في أوروبا، وهو ما يزال المسؤول عن هذه القاعدة ببقائها حية بتمويلها بالمال والسلاح والحماية الدولية، وهو الذي يحميها من العقاب على ما تقوم به من جرائم بشعة تجاه الشعب العربي سواء في فلسطين أم في مناطق الجوار.

3 ـ إن الغرب ما يزال يرى أن مصالحه موحدة مع إسرائيل في المنطقة وإذا كان هناك من اختلافات فهي لا تعدو «خلافات العائلة الواحدة» وهي تحتاج لوجود هذه القاعدة في المنطقة، أو هذه الحاملة للطائرات التي لا تغرق.

☆ ☆ ☆

الباب الثاني

المسألة اليهودية؛ إشكاليات محورية

☆ ☆ ☆

من هو اليهودي، التراث الديني اليهودي، الطقوس،
تهمة طقس الدم، الاختلاف العقائدي،
أزمة التاريخ اليهودي القديم.

☆ ☆ ☆

الفصل الأول

من هو اليهودي ومن هو الشعب اليهودي

I

يقول سبينوزا: «أن تكون يعني أن تفعل، وأن تعرف يعني أن تفعل.»
ويقول ماركس: «حتى الآن قام الفلاسفة بتفسير العالم. ومن الآن وصاعداً المطلوب هو تغييره.» ونحن العرب نتعثر في خطانا للفعل والتغيير، والسبب لأننا لم نعرف، ولم نفسر حتى الآن جوهر الأزمة التي شرعت رياحها في مطلع القرن التاسع عشر عندما وقف نابليون أمام أسوار عكا ووجه نداءه إلى يهود العالم، كما يؤكد محمد حسنين هيكل، وبعدها حطت بثقلها وبوجودها الكارثي على صدورنا منذ نهاية منتصف القرن العشرين، وأعني قيام الأزمة المعاصرة بين العرب وكل من الغرب وإسرائيل، وذلك رغم العديد من المؤلفات التي سطرت والكتب التي نشرت عن هذه الأزمة. وفي سبيل المساهمة في كشف اللثام عن العناصر المكوِّنة لهذه الأزمة كان ما سطر في الباب الأول وكان موضوعه هو المسألة اليهودية تقرع أبواب العالم العربي، والآن هذا هو الباب الثاني عن اليهود، واليهودية، والمسألة اليهودية، وهو العنصر الذي استعمله الغرب في إنشاء إسرائيل وهو جوهر ولب الموضوع والأزمة. فلِمَ كانت هذه القصة؟ وما هي الدوافع والمبررات الموجبة لها على جانب من يُدعى باليهودي بعد أن رأينا الموجبات على الجانب الغربي؟.

إن العالم الثالث عامة يعاني من هجرة ونزوح العقول فيه إلى العالم المتقدم فلما رحل اليهود من العالم المتقدم، وساعدهم الغرب ولم يزل على رحيلهم إلى العالم الثالث ليستقروا في منطقة ليست من المناطق التي يتوفر فيها الخير الكثير من الثروات الطبيعية حتى إنها من البقاع التي تندر فيها المياه العذبة وتعتبر فيها مياه الشرب جوهرة نادرة ومن العملة الصعبة!.

إنّ توافق مصالح الغرب مع مصالح الحركة الصهيونية واستعماله لها ولمن يتبعها من الجاليات اليهودية في العالم لتحقيق مصالحه وإستراتيجيته التي أقرها أو نسبت إلى لجنة كامبل بانرمن أو إلى المؤتمر المنعقد في لندن عام 1907م. كما رأينا سابقاً في الباب الأول، لا تعني أن هناك تطابقاً في كل المصالح وكل الأهداف بين الاثنين، بل إننا لا نجانب الواقع إذا ما قلنا أن صحبتهما ليست في الحقيقة بأكثر من رفقة على الدرب، ففي الحقيقة هناك لكل منهما موّال مختلف يغنيه لوحده، ورؤية للموضوع أشد ما تكون مختلفة الواحدة عن الأخرى، وإن توافَق الهدف الأخير بينهما كحل للأزمة المقيمة فيما بينهما ولما يعانونه منذ زمن طال أمده، فإن كان هناك في متناول اليد حل يتوافق ومصالح الجميع وينهي المشكل فلِمَ لا يوضع موضع التنفيذ؟.

إذن، لا بد لنا من أجل معرفة من نواجه على أرضنا العربية اليوم في فلسطين، من دراسة تاريخية تحليلية للطرف الثاني، وهو ما لا يوجد بوضوح لليوم في التراث الثقافي العربي للأسف، ونعني لكل من الشعب العبراني - اليهود، والديانة اليهودية، والمسألة اليهودية، والأزمة بين الغير وجاليات اليهود المنتشرة في العالم، وخصوصاً في أوروبا شرقها وغربها، والحركة الصهيونية، بأصولها، وبأهدافها، وهي التي كانت صدىً للأزمة المستفحلة بين الغرب كمجتمع يؤمن بالديانة المسيحية وفق دستور الإيمان الذي قنن في مجمع نيقية في عام 325م وما أتى من بعده وجاليات اليهود المؤمنة بالناموس الموسوي الكتابي والشفاهي وشريعة التلمود، ومحاولة الغرب ومحاولات مفكري اليهود إيجاد حل لهذه الأزمة التي عاشت أكثر من ألفي سنة، ومعها دراسة للكيان

الإسرائيلي في فلسطين، كدولة، وكمجتمع، وكإمكانيات حياة، والقائمة اليوم في فلسطين وهي التي صدرها الغرب إلينا حلاً لأزمته، وتهجيراً وترحيلاً للمسألة اليهودية من أوروبا إلى العالم العربي، واهتمام الغرب بعدم عودة هذه المسألة إليه من خلال استمرار إسرائيل على الأرض العربية في فلسطين بدعمه لها مادياً وعسكرياً، وإسرائيل الثانية (تعداد اليهود اليوم 13 مليوناً وفق بعض المراجع 5,393,000 في إسرائيل، 5,275,000 في الولايات المتحدة الأميركية، والباقي في أنحاء العالم)[1] غير المعلنة والقائمة اليوم على أرض الولايات المتحدة الأميركية، والأخيرة هي الأكثر قوة وفاعلية، وهي التي شكلت وتشكل حائط الدعم الأساسي لإسرائيل الأولى القائمة على أرض فلسطين، وهما اللتان تحرصان على أن لا تؤدي بهما أهدافهما الخاصة إلى الوقوع في التناقض، أولاً فيما بينهما، وثانياً مع الغرب، أوالوصول إلى حدود الافتراق إما فيما بينهما أو مع العالم الغربي، رغم أنه في خلال الممارسة،كما سنرى، قد وقعتا في كثير من الأحيان بذلك التناقض، أولاً فيما بينهما، وثانياً مع الغرب. يقول إسحاق دويتشر، وهو مفكر يهودي ماركسي من أصل بولوني هاجر من بولونيا وسكن في انجلترا، في مقال له تحت عنوان «**مناخ إسرائيل الروحي**» نشر في صحيفة The Reporter في عدد نيسان ـ أيار من عام 1954: «. . . بأية مقاييس عادية، يعتبر الاقتصاد الإسرائيلي مفلساً، فصادراتها تغطي تكلفة جزء صغير فقط من الواردات. ومعظم العجز يدفع من جيوب اليهود الأميركيين المتضخم ومن المعونة الأميركية . . .»[2] وهذا الدعم الأميركي الظاهر منه والمستور وبالرغم من مرور خمس وخمسين عاماً على زمن تحريره لهذا المقال لا يزال المورد الهام والعنصر الاقتصادي الرئيس للكيان الصهيوني رغم ما أنشأ من صناعات مدنية وعسكرية حديثه فيها، ويقول الكاتب الصحافي اليهودي ج. ج. غولدبرغ

(1) مستقبل المشروع الصهيوني، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، العدد :57، آب 2008، ص: 36.

(2) اسحاق دويتشر، دراسات في المسألة اليهودية، دار الحقيقة ـ بيروت، 1971 ط:1، ص: 113.

في كتابه القوة الخفية داخل المؤسسة اليهودية الأميركية «اجتازت المنظمات الأميركية اليهودية نطاقاً واسعاً من الآراء حول العلاقات الإسرائيلية العربية، وحقوق الفلسطينيين، ومبادلة الأرض بالسلام. لكنهم يشتركون في تقليد طويل يتعلق برفض التشكيك في القرارات السياسية للحكومة الإسرائيلية. وقد وافق مؤتمر الرؤساء منذ نشوئه على وضع انقساماته الدائمة جانباً، على أساس أنّ واجب اليهود الأميركيين هو بكل وضوح وبساطة دعم إسرائيل.»[1] ووفق المصادر الإقتصادية يبلغ اليوم عام 2009 الدين العام في إسرائيل ما يقارب 150 مليار دولار أميركي رغماً عن الدعم الدولي لها في كل الميادين.

☆ ☆ ☆

II

عديدة الإشكاليات أمام من يتصدى لفهم وللكتابة عن موضوع اليهود والشعب اليهودي والديانة اليهودية.

التاريخ المقدس لمن يعتنق الديانة اليهودية هو العهد القديم؛ وهي ديانة كانت في بدايتها ديناً خاصاً بإبراهيم وعائلته ومن ثم حصرت بعائلة يعقوب وسلالته، ويبدأ تاريخها في واقع الأمر عند يعقوب حفيد إبراهيم الذي دعي فيما بعد بإسرائيل، ويتوقف التاريخ المقدس عن متابعة أخبار باقي سلالة إبراهيم؛ وكل أنبياء إسرائيل بعد يعقوب هم من سلالة أسباط إسرائيل أي من سلالة أولاد يعقوب، وهناك فارق بين الشعب العبراني والشعب الإسرائيلي، الأول يعني كل من انحدر من سلالة إبراهيم، وهو يشمل سلالة ولده من هاجر إسماعيل وسلالة ولده من سارة إسحاق وسلالة أولاده من قطورة وهم زِمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشُوحا، والشعب الإسرائيلي يعني من انحدر فقط من سلالة

(1) ج. ج. غولدبرغ، القوة الخفية داخل المؤسسة اليهودية الأميركية، ترجمة خالد حداد، الذاكرة بيروت، ط: 1، 2000، ص: 15.

يعقوب ـ إسرائيل، والتاريخ المقدس لا يهتم ولا يستمر بإيراد تاريخ سوى تاريخ الأخير. والشعب الإسرائيلي الذي هو سلالة أسباط إسرائيل ـ يعقوب، وبعد يعقوب فرزت أسباطه فكان سبط أللاّويين سبطاً مفروزاً للكهنوت، وسبط يهوذا سبطاً مفروزاً للملك والعلاقة بين هذه الأسباط ليست بعلاقة ود ومحبة ولكنها علاقة تنافس ومشاحنة وعداوة. وداود، أول من وحد شعب إسرائيل أي سلالة يعقوب تحت ملك واحد، ولم يستطع اعتلاء الملك على مجموع أسباط إسرائيل بسلام، وبعد وفاة ولده سليمان، الذي قضى على أخيه الكبير لأدو نيا ليصفو له ملك أبيه، وبعده انقسم ملك ولده رحبعام فكانت مملكة يهوذا وينضوي تحت ملكها سبط يوسف أي سبطا بنيامين ويهوذا، وانفرزت البقية من الأسباط وهي عشرة لمملكة مستقلة هي مملكة إسرائيل، ولم تكن العلاقة بين المملكتين بعلاقة محبة، وبعدها سقطت مملكة إسرائيل وسبي شعبها، وبعدها تبعتها لنفس المصير الثانية وسبي شعبها أيضاً. لهذا أول إشكالية تطالع الباحث في بحثه في الجاليات التي تعتنق الديانة اليهودية هي تعريف وتحديد من هو اليهودي؟ وما هو أصل الجاليات اليهودية المتواجدة في بلاد العالم اليوم؟ هل كل من يعتنق الديانة اليهودية في العالم ينحدر في أصله من سلالة أسباط يعقوب ـ إسرائيل؟ وهل هناك من ثبت تاريخي على ذلك سوى الإدعاء؟ وما هو أصل اليهود الخزر أو الأشكيناز؟ وهل عبر التاريخ يوجد أناس من غير سلالة أسباط يعقوب ـ إسرائيل اعتنقت الديانة اليهودية وفقاً لإحدى مذاهبها وأصبحت تعد في تعداد اليهود اليوم؟ وما هو نوع الارتباط الآخر، إن وجد، الذي يجمع بين أعضاء هذه الجاليات المنتشرة في أصقاع العالم كأقليات بالإضافة لموضوع المعتقد الديني؟ وما هو المقياس ومن هي السلطة التي تعطي براءة في أن هذا الشخص هو يهودي أم لا؟ وهل الدخول في المعتقد الديني اليهودي أمر متاح؟ وهل الخروج منه أيضاً أمر متاح؟ فلقد مارس اليهود عبر الزمن التقية، أي إعلان الإيمان بدين وممارسة الديانة اليهودية في السر، فهل هؤلاء أهل التقية يعدون من اليهود؟ والمذاهب التي تعتبر نفسها متفرعة من الديانة اليهودية عديدة

عديدة، منها القديم ومنها الحديث، فهل كل معتنقي هذه المذاهب ينضوون تحت راية شعب اليهود؟ وهل هذه المجموعات المعتنقة للديانة اليهودية بمذاهبها العديدة هي أمة واحدة؟ وكيف هي العلاقة بين مختلف هذه المذاهب اليهودية؟ فهل يعترف كل منها بالآخر؟ أم هناك صراع فيما بينها وكل منها ينكر يهودية الآخر بل تصل الملاحقة لبعضهم البعض إلى حد استباحة كل منهم لدم الآخر، وذلك ما كان من محاولة الفريسيين القضاء على باقي المذاهب اليهودية المعادية للتلمود ولو بالصورة الدموية؟ وهناك من اليهود من لا يؤمن إلا بالتوراة الكتابية (السامريون مثلا) وينكر التوراة الشفاهية التي بموجبها وسنداً إليها حرر التلمود فأين موقعهم من اليهود؟ وهل هم يتفردون دون باقي أمم العالم في خاصية أنه يكفي وجود وحدة المعتنق الديني، إن سلمنا بوجودها، بين كل هذه المجموعات ليتشكل عبر آلاف السنيين أمة واحدة؟ فإن صح هذا لماذا ليست كل أوروبا التي يجمعها وحدة المعتقد الديني بأمة واحدة وفق المعتقد القومي؟ أو كل العالم الإسلامي أمة واحدة. . . . . . إلخ؟

الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته الصادرة عام 1999 م.، وهي التي نالت جائزة أفضل كتاب لمعرض الكتاب في القاهرة لذلك العام، عن اليهود واليهودية والحركة الصهيونية وإسرائيل، حاول الإجابة على هذه الأسئلة بموسوعته، فخط سبعة أجزاء ومعها جزء ثامن خاص بالهوامش وكل واحد منها يحتوي على ما يقرب من خمسمائة صفحة واستغرق عمله ما يقرب من ربع قرن يعاونه العديد من الباحثين والمعاونين ولم يستطع أن يلم بكامل الموضوع بالصورة التفصيلية وتسرب منه عديد من النقاط التي لم يقاربها، وغفل وأسقط توثيق ما يورده من معلومات في الموسوعة لما يحوزه من مساحة وجهد.

وهناك موسوعة معروفة ومشهورة هي الموسوعة اليهودية العالمية Jewish encyclopedia التي صدرت بين عام 1901 و1906م. من قبل Funk and Wagnalls في اثني عشر مجلداً حاولت أن تجيب على هذه الأسئلة أيضاً وتسرب منها أيضاً الكثير من النقاط، وهي ما سنعتمد على ما نشرته من

أبحاث حول تاريخ اليهود الإجتماعي في بحثنا المسألة اليهودية من الناحية التاريخية، وذلك سعياً منا بان نجعل اليهود بأنفسهم يتكلمون عن قضيتهم، ولكي نفهم قضية صاحب القضية من خلال ما حرره من مرافعات، دفاعاً، وعرضاً لقضيته؛ وثانياً لأن هذه الأبحاث غير مغمسة كثيراً بالصلف اليهودي، أو بالشطط والإدعاء الذي في غير مكانه خاصة بعدما قويت شوكتهم من خلال تزلمهم للقوى الغربية، وأصبحوا يستظلون مظلة القوى العظمى في العالم، وهذه الأبحاث تتمتع بالمواصفات العلمية للبحث العلمي من جهة التوثيق بالصورة الخاصة، لكن يغيب عنها في كثيرمن الأحيان مناقشة صحة معلومات المصدر الذي تنقل عنه وتتضمن المبالغة حين تتحدث عن نكبات اليهود.

والدكتور كمال سليمان الصليبي، تخصص في قراءة النصوص التاريخية، فتوجه نحو التاريخ القديم لليهود فأصدر العديد من الدراسات العلمية الجادة والممتعة في الموضوع أشهرها **«التوراة جاءت من جزيرة العرب»** أثار فيه موجة عارمة في الحقل السياسي والثقافي ملخصها أن أرض التوراة الجغرافية هي في منطقة عسير من الجزيرة العربية وليس في فلسطين.

ولا بد لنا من أن نشير أخيراً إلى أنَّ موضوع اليهود واليهودية حساس، ومملؤ بالمطبات، وما خط عنه تلون بما يصبغه به كاتبه، فيضحى الوضع أمام الباحث والكاتب المحايد صعباً بسبب ما يجب أن يؤخذ من حذر تجاه ما يقرأ.

إذن، إن أردنا أن نبحث بالعمق في كل إشكاليات الموضوع الواردة أعلاه وما يتبعها من مواضيع وأسئلة، وهو أمر ضروري ولازب لكي نعلم موضوعنا، نخرج أنفسنا عن نطاق ما نريد إذاعته من خلال هذه الدراسة المخصصة بالصورة الرئيسة نحو دراسة المسألة اليهودية، فكيف الخروج من هذا المأزق؟ وما العمل؟

الأمر الأول ليس هدفنا أن ندرس كامل الموضوع اليهودي بكل عناصره، فهناك العديد من الدراسات والموسوعات التي توجهت نحو ذلك كما جاء

سابقاً، ونحن لا نريد إضافة واحدة لها، ولكن هدفنا من هذه الدراسة هو فهم المسألة اليهودية بكامل عناصرها وهي التي أدت إلى قيام كيان إسرائيل على الأرض العربية في فلسطين، وكانت وراء الأزمة المعاصرة في وطننا العربي، فلقد رحلت ما يسمى بالمسألة اليهودية من أوروبا واستوطنت في الوطن العربي بعد قيام كيان إسرائيل على الأرض العربية، وسنستعين في سبيل إيضاح ذلك بالعديد من الدراسات التي نهض عليها العديد من الكتاب كل في ميدان من الميادين.

لهذا فإننا في بحثنا تجاوزنا البحث في معظم هذه الإشكاليات السابقة وسلمنا بيهودية من يعتبر نفسه أنه يهودي، وسنتتبع في بحثنا أخبار جاليات من اعتبروا أنفسهم ينضوون ضمن مجموعات المؤمنين بالمعتقد الموسوي، وهم موضوع الأزمة، وبالصورة الموجزة والعامة ووفقاً لما يقتضيه الموضوع؛ وسنترك لمن يحب التوسع في الموضوع ومعرفة الإجابة على كل الإشكالات الواردة سابقاً أن يعود لإحدى المراجع التي ذكرت سابقاً أو الموسوعات المشهورة فهي حوت الكثير الكثير حول الموضوع. بيد أننا مجبرون، رغماً عن ذلك، على تناول عدد من الإشكالات المحورية لضرورتها لفهم ما نحن بصدده لاحقاً في بحثنا حول اليهود واليهودية والمسألة اليهودية والحركة الصهيونية بصورة خاصة وإسرائيل، فهذه الإشكالات هي التي تحكمت بالعديد من المعتقدات والمواقف النابعة عنها والتي وجهت، سير التاريخ، وتصرف الأوروبيين شرقاً وغرباً حول إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، ومعها الأحداث السابقة والمعاصرة في المشرق والعالم العربي، نحو وجهة معينة.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني

إشكالية التراث الديني الكتابي والشفاهي للديانة اليهودية

☆ ☆ ☆

ليس هناك من ديانة معروفة تماثل الديانة اليهودية في حجم تراثها الديني الكتابي والشفاهي الرسمي. إذ إنَّ الديانة اليهودية لم تتوقف عن النمو وعن التلقي للتعاليم الدينية عبر الزمن؛ فهي لا تعترف أن التواصل بين الله أو يهوه، جل جلاله، وشعبه المختار - شعب إسرائيل قد انقطع أو توقف، ولا تعترف في أن زمن الأنبياء قد انتهى، بل اليهود ينتظرون المشيح المخلص أن يأتي ليخلص هذا العالم كما جاء في سفر دانيال من أسفار الأنبياء «... يفصل مسيح ولا يكون له خطيئة أو سلف ...»؛ أما المشيح الذي أتى فهم ينعتونه بأنه المسيح الكذاب. وجاء في كتاب اليهود في العالم القديم للدكتور مصطفى كمال عبد الحليم والدكتور فرح راشد: «... الديانة اليهودية ديانة متطورة وليست ثابتة عند وضع معين على مر العصور، فهي تتشكل ويزيد فيها التراث المكتوب، كما تتعدل فيها العبادات والشعائر بحسب الظروف، و.. الديانة اليهودية تركت الباب مفتوحاً بعد موسى لدخول نصوص مقدسة، لها ما للتوراة من القدسية، مثل: أسفار الأنبياء، وكتب الحكمة، ثم إنهم كتبوا بعد ذلك المشنا، والتلمود البابلي، والأورشليمي التي نالت ما نالت التوراة من القيمة والاهتمام من

اليهود...»[1]؛ ونحن إذا سلمنا بأن إبراهيم عاش في بداية الألف الثاني قبل الميلاد هذا يعني أن الديانة اليهودية قد مضى على تأسيسها ما يقرب من أربعة آلاف من السنين زخرت فيها التعاليم الشفاهية والكتابية. والكتب المخطوطة لهذه التعاليم هي العهد القديم وهو كتاب يصل إلى أكثر من ألفي صفحة من القطع الكبير بترجمته العربية وسوف نأتي على دراسة تفصيلية لإشكاليته حين نتحدث عن تاريخ اليهود القديم، والتلمود وهو الكتاب المفسر لتعاليم العهد القديم وللناموس الشفاهي والمدعو بالتعاليم الشفاهية (التلمود يعني كتاب تعاليم ديانة وآداب اليهود) ويشتمل على المشنا المثنى أي الشريعة المكررة أو التفسير، والمدراش أي المدارس أي مناهج الشريعة المكررة أو منهاج التفاسير، والجمارة أي الخلاصة، إذ إنَّ الكهنوت اليهودي يتبنى أن موسى تلقّى ناموساً وتعاليم شفاهية بالإضافة للوصايا العشر المكتوبة بإصبع من نار على ألواح حجرية. والتلمود هو التعاليم الشفاهية المفسرة والمتواترة للتعاليم الكتابية من خلال رجال الكهنوت اليهودي الفريسيين الذين صادروا ومنعوا وجود الطوائف اليهودية الأخرى بالقوة، وهو مجموعة من المجلدات تصل مع التفاسير في طبعتها الإنجليزية إلى ثلاثين مجلداً وفقاً لبعض الترجمات مثل[2] Soncino وهي تقع في اثني عشر ألف وثمان مئة صفحة دون المقدمة والهوامش والمعاجم المساعدة ومرفقاتها من مستندات، وهي نادرة سابقاً، ونصها متحرك عبر الزمن مع بقاء اسمها كما هو التلمود البابلي أو التلمود الأورشليمي، وكان في السابق من الصعوبة بمكان الحصول عليها لكبر حجمها وغلو ثمنها، وهناك ترجمات أخرى عديدة، والآن هذه الترجمات هي بمتناول القارئ على شبكة الإنترنت على العديد من المواقع، ولكن ندرتها في السابق دفع بالكتاب والمتحدثين عن

---

(1) للدكتور مصطفى كمال عبد الحليم والدكتور فرح راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم..، ط: 1، 1995، ص: 11.

(2) There are about 12,800 printed pages in the Soncino Talmud, not counting introductions, indexes, glossaries, etc.. (Soncino Talmud - cover).

الديانة اليهودية من خلال تعاليم شريعة التلمود إلى الاعتماد على أقوال الرواة من الغير، فأصبح الكلام المتداول، بعد التواتر، مطلقاً على عواهنه وعرضه لترداد ما ليس بدقيق ومجزأ، ولا نجانب الواقع إذا قلنا ما تناقله الناس عن التلمود إلى اليوم ينطبق عليه ما جاء في كتاب الطبائع الفرنسي Les Caractères للكاتب الفرنسي La Bruyère فهذا الأخير يروي لنا بأن حنا سأل حنين عن رأيه بكتاب بطرس الأخير فأجابه بأنه تافه وغير ذي قيمة ومليء بالأخطاء والانحرافات و.و.الخ، فسأله هل قرأته؟ فقال لا ولكن جواد قال ليوسف بان جورجي قال له بأن عزير.... هو كذلك. وثانياً في حال الحصول على التلمود، وهذا ليس بالأمر المتاح بسهولة سابقاً، لما يحتاجه ويستغرقه من وقت طويل للدراسة والقراءة، والقلة في العالم من قام بذلك حتى من اليهود أنفسهم، ولذا يقول الناشر للنسخة الإنكليزية التي ترجمها مايكل رودكنسون بأن خير مدافع عن التلمود هو ترجمته للغات الحية وتسهيل معرفة ما فيه ونشره بين الناس، فالناس بطبعهم أعداء لما جهلوا؛ وكمثال حي على ما نقول نورد نبذة مما جاء في كتاب سوسنة سليمان في أصول الأديان للكاتب الطرابلسي نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل توفي عام 1887 م: «ثم ما أضافه كتبة اليهود وربيبتهم (أي معلميهم) وحكماؤهم إلى كتاب العهد العتيق من الشروح الكثيرة والتفاسير العديدة سمي مجموعها التلمود وهو مؤلفات مؤلفين كثيرين في أعصار مختلفة ومجموعها يبلغ عشرين مجلداً كبيراً بين متون وشروح قال بعض المؤلفين ممن يوثق بمعارفهم وصدقهم إن في هذا المجمع أقوال حكم وتعاليم جيدة صالحة غير انه مشحون حكايات وخرافات تفسد ما فيه من الصلاح والنفع ذكر بعضها فقال: منها ما رواه بعض حكمائهم عن طير يسمونه باريهني انه طير عظيم الحجم لم يبق منه على الأرض إلا بعض أفراده إذا بسط جناحيه تخسف الشمس خسوفاً تاماً ومرة سقطت بيضة من عشه فكسرت ثلاث مئة شجرة من شجر الأرز وغرقت ستين ضيعة. وأن رجلاً اسمه ربا حفيد حنا رأى ضفدعة على حجم ضيعة فيها ستون بيتاً فجاءت حية وبلعت الضفدعة ثم جاء غراب وأكل الحية

والضفدعة مثل ما تبلع حبة عنب وطار وحط على شجرة قال الربي يابا بن صموئيل لو لم أشاهد ذلك بنفسي لما صدقت... الخ «[1] ومن الأمثلة الأخرى ما جاء في كتاب **بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود** في أنه من تعاليم التلمود: «... الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب. ـ النطفة المخلوق منها باقي الشعوب هي نطفة الحصان. ـ الأجانب كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب... ـ الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة.. إلخ.»[2] لكن كلا الكتابين السابقين لا يشير إلى المكان الذي أتت فيه هذه الأقوال في التلمود، وذنب الأول أقل من ذنب الثاني إذ الأول يبرئ نفسه منها ويلقي بصدقها على من وثق بأقواله وهو مجهول لنا، أما دار الفنون ممثلة بالأستاذ سالم علي قشور نجده في تصديره للكتاب يصرح: «مع أنني قرأت أكثر من تحذير ضد من يتجرأ على طبع هذا الكتاب، وأنه سوف يتعرض لكثير من المشاكل أقلها القتل.. وكذلك الأمر قرأت لبعض الكتاب أن نصوص الكتاب فيها شيء من الخرافة وعدم الدقة التاريخية.!!!..» (ص: 4) وهو يوثق دراسة أخلاق اليهود حسب الكتاب المقدس العهد القديم فيورد لنا بعد كل قول مكانه من العهد القديم ويسرد لنا سيرة الحصول على بروتوكولات حكماء صهيون، ولكنه عندما يتحدث عن تعاليم التلمود يورد أقوالاً خطيرة أتينا على نبذة منها وينهي ما نشره عن التلمود بقوله: «.. بعد أن ذكرنا مما ورد في تلمود هم الشيطاني من فقرات قليلة ضئيلة ولكنها تدمغهم بالكفر والانحراف والإلحاد والجهنمية إلى يوم الدين.. إلخ» دون أي توثيق، للأسف، فلا يذكر لنا أين أتت هذه الأقوال في التلمود، وهذا مؤسف حقاً بأن تصدر مثل هذه الأقوال الخطيرة عن دار نشر غيورة ومحترمة مثل دار الفنون ويذكيها الأستاذ سالم علي قشور دونما أي سند، وهذا نموذج مما يستعمله العدو ضدنا ليشهر بنا

(1) نوفل نعمة الله نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، دار لحد خاطر طبعة 1987، ص: 105 و106.

(2) بروتوكولات حكماء صهيون، دار الفنون في بيروت، طبعته الثالثة عام 2002، ص: 30.

في أننا نتبع... الخ دون تبصر منا، وكمثال أخير على ما نقول وينطبق عليه ما قلناه سابقاً للأسف هو ما جاء في كتاب **تاريخ اليهود العام** للدكتور صابر طعيمة عن التلمود نورد نبذة مما جاء فيه في الجزء الثاني من الصفحة 111 (ط: 1، إصدار دار الجيل عام 1975) ود. صابر طعيمة باحث أكاديمي معروف له العديد من الكتب ويعلم كل العلم ما يتوجب عليه فعله وللأسف ورغماً عن ذلك يقول: «.. ولقد بلغ الغباء الديني والتعصب العنصري عند القوم (يقصد اليهود) وهم يسجلون تفاسير ديانتهم ومعتقداتهم حداً يفوق كل صور الخرافة الأسطورية فمن الأخبار التي حواها التلمود عن قداسة وعظمة الحاخامات اليهود «... إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله وقد وقع الاختلاف يوماً بين الله وبين علماء التلمود في مسألة وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربيين واضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور».... إلخ.»[1] ويورد أيضاً أقوالاً أخرى ينسبها إلى التلمود ولكنه دائماً، الدكتور صابر طعيمة، لا يقول لنا أين وردت هذه الأقوال في التلمود، ولا من أين استقاها، ولذا هذا الكلام السابق عن التلمود، وهو دون توثيق، يصبح مضللاً، ومضراً، ومسيئاً، وغير ذي قيمة، لأنه ورد دونما توثيق له، ولا نعلم إذا ما كان صادقاً فيما يرويه عنه أم لا.

جاء في كلمة ناشر التلمود بترجمته الانكليزية التي خطها مايكل رودكنسون حول ما تعرض له التلمود عبر الزمن: «.. كان مصير التلمود هو مصير اليهود. فحالما ولد كان محاطاً من قبل الأعداء. تأريخه الكامل كان الكفاح ضدّ الاضطهاد والتهجم. التشهير والتشويه كانا دائماً مصوبين عليه منذ بداية نشأته بمعنى منذ تطوير المشنا Mishna كان محاصراً بأعداء من الصدوقيين والسامريين Sadducees، Boëthusians، وطوائف أخرى،(أي كان محاربا من قبل بعض الطوائف اليهودية) بدون الحاجة لذكر وإضافة الحكومة الرومانية.

(1) طعيمة د. صابر، تاريخ اليهود العام، دار الجيل بيروت، 1975، ط:1، ج :2، ص: 111.

وبعدما ثبتت شريعته جهد القراؤن Karaites (طائفة يهودية) لتحْطيمه أو التقليل من شأن تأثيره، ومنذ ذلك الوقت أخضع التلمود إلى تجربة صعبة وثابتة ودائمة. رغم ذلك يمكن استعارة ما جاء من كلمات أشعيا [xliii. 2] وجعلها وصفاً لما مر على التلمود: «عندما أنت تمر خلال المياه، أنا سأكون معك؛ وخلال الأنهار، لن تطفحك المياه؛ وعندما تعبر من خلال النار، أنت لن تكون محروقاً؛ ولن يوقدك اللهب.» هناك، على أية حال، نقطة واحدة خاطئة تتعلّق بهذا التشبيه (يقصد الحرق فلقد حرق التلمود مراراً من قبل العديد من الناس.[1]). لكن اليهودي تقدّم؛ والتلمود بقي وجوده وتأثيره ثابتاً....» ويصور في مقطع آخر أزمة التلمود مع الغير «.. والأعداء (أعداء التلمود) عندهم عادة التهجم عليه باستعمال العبارات أو الأحكام منفصلة ومنقطعة عن سياقها، وبالرغم عن هذه الطريقة المضللة لم يمكنهم أن يثبتوا شيئاً صحيحاً عليه؛ وفي الحالتين كان الجهل قاتلاً. كم منهم قرأ التلمود بالكامل ومن خلال ذلك كان مؤهّلاً إلى مقاضاته بما يستحق؟ هل من الحق مهاجَمته بدون معلومات كافية عنه؟ إنه برهان الجهل والظلم القول بوجود عيب فيه في الوقت الذي نحن غير مؤهلين ولا قادرين على إعطاء الشهادة الصحيحة عنه؟.» ويضيف أخيراً واصفاً التلمود «.. إن ألتلمود هو أشد أعداء الخرافات والتعصب مرارة.».[2] ولقد حصلت مؤخراً على نسخة الكترونية من الترجمة الإنكليزية الوارد ذكرها للتلمود، والتي أنشأها مايكل رودكنسون، وهي تشمل عشرة أجزاء وتبلغ عدد صفحاتها 3225

---

(1) THE HISTORY OF THE TALMUD, MICHAEL L. RODKINSON, Volume I. (XIX)., BOSTON, THE TALMUD SOCIETY, introduction,. 1981, P:1.

«From the time of Pope Innocent III., the Talmud was burned at the stake in nearly every century from the 11th to the 18th, in Italy, France, Germany, Spain, and many other countries, and in the 18th, also in Poland by the Frankists, by Bishop Dembovski, where copies were dragged through the streets of the city, tied to horses' tails and then delivered to the executioner to be burned at the stake in Kamenetz, Lemberg,».

(2) رودكنسون مايكل، التلمود البابلي، مؤسسة نشر التلمود الجديدة بوسطن، كلمة الناشر، 1903ط2، ص: 12، 13 و14.

صفحة بحجم 4أ وبحرف قياس 8 وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة 50 سطراً، أي إذا ما حولتها للحجم العادي بحرف قياس 14 وعدد الأسطر 25 وهو الحجم الصالح للقراءة تصبح ما يقرب من 12000 صفحة على الأقل، ومن المرجح بأن من يصل بقراءته إلى النهاية يكون الزمن الذي مضى كفيلاً بنسخ ما بقي في الذاكرة مما قرأه في البداية، وبعد تصفح سريع لها لتكوين فكرة بدائية عن الكتاب وجدت أن الصيغ التي كتب فيها أقرب ما تكون إلى الصيغ القانونية ووجدت أبوابه تنضوي تحت عناوين هي: البذور، أعياد، النساء، أضرار، تضحيات، وتنقيات؛ وبمرور سريع على بعض الفقرات تنادى إلى ذهني ما خطه حجة الإسلام الغزالي في موسوعته إحياء علوم الدين من تفاصيل ومن تقنين لكيفية ممارسة المؤمن للشريعة الإسلامية في الطهارة و...الخ والفارق أن كتاب الغزالي رغماً عن مرجعيته الإسلامية لم يسبغ عليه المسلمون أياً من القدسية الدينية بعكس التلمود عند بعض الطوائف من اليهود الذي أصبح له من القدسية عند بعضهم ما لقدسية إسفار التوراة؛ والناشر يورد بأن المترجم قد أسقط من الترجمة ما هناك من حشو وزيادات هامشية مضمنة فيه، وأنا بتصفحي السريع له لم أقع على أقوال غريبة فيه، وبالرغم من ذلك فإنني أتحفظ وأقول في أن تكوين رأي علمي واضح وكامل حول ما حوى التلمود يحتاج فهم وقراءة موسوعة كاملة، وهي تحتاج لوقت ولجهد وصبر كبير لما فيها من صعوبات، في اللغة، ومفردات، ومعتقدات، وأفكار، وهي جافة وليست بجذابة ومسلية، وهذه القراءة بالرغم من أهميتها وإن كانت من ضمن اهتماماتي لكن العمر والوقت لا يسمحان بها، هذا بالإضافة إلى أنَّ الكتابة الجادة عن التلمود تحتاج لتكوين مجموعة من الباحثين المتخصصين بفنون وعلوم عديدة، وليس فرداً، ليكون ما يكتب ذا قيمة علميه، وليت إحدى الجامعات تقوم على تكوين فريق من دارسي الدكتوراه والماجستير يصرفون جهدهم نحو التلمود فيشبعونه دراسة وتمحيصاً لنصبح مطلعين عليه بصورة علمية وعن طريق كلام ذي قيمة علمية، فلقد طال الزمن الذي نتداول فيه نحن العرب الأساطير والأوهام حول هذه الموسوعة

الدينية ومعتنقيها وما أحوجنا نحن العرب اليوم لفهم موضوعي لهذا الأمر فلقد آن لنا أن نكون موضوعيين فيما نتبناه من رأي حول الآخر؛ وأعتقد أن ما أتينا على ذكره يكفي لتصوير أزمة التراث الديني اليهودي مع نفسه أي فيما بين طوائفه ومع الغير. ويبقى لي كلمة أخيره وهي أنه ما يبدو أن هناك اليوم تياراً مستنيراً بين حاخامات اليهود ومفكريهم في العالم يريد أن يضع حداً للأساطير التي نسجت حول كتاب التلمود فرأوا أن خير طريقة هو وضع نصه المترجم الكامل في اللغات الحية على شبكة الانترنت طوع بنان من يشاء دونما مقابل.

وهكذا بعد استعراضنا السابق يكون قد اتضح لنا بأن الإلمام بالتراث الديني الكتابي اليهودي هو اختصاص بحد ذاته ويستغرق زمن حياة المرء بكاملها للتوصل إلى الإطلاع عليه أولاً، وفهم كامل لكل التراث ثانياً، وهو معباً بوجهات النظر المتضاربة. هذا إذا ما أضفنا لهذا التراث الديني متابعة تاريخ تكوين وانتشار المجموعات البشرية المؤمنة باليهودية في العالم في مختلف مذاهبها وأحجامها، نعلم مدى سعة هذا الجانب من المعلومات ومدى الجهد الذي يتطلبه. وأيضاً إذا ما أضفنا أمراً أخر هو ضرورة تعلم اللغة العبرانية القديمة والآرامية والسريانية واليونانية لكي يقرأ هذا التراث باللغة الأصلية التي كتب بها،



The Babylonian Talmud, Book 1:
Tract Sabbath, tr. By Michael L. Rodkinson, [1903],

لكي يكون الرأي دقيقاً فيما يذهب إليه، وهكذا يتبين لنا مدى صعوبة التصدي لهذا ألأمر.

إن موضوع اليهود واليهودية والتراث الديني اليهودي بحر شاسع، شواطئه مترامية الأطراف، ولجحه عاتية الأمواج، وهو مليء بالحساسيات والصعوبات الجمة والتي لا تعد ولا تحصى ويحتاج لفهمه الاطلاع على تفاصيل ما أتت به الحضارات الإنسانية القديمة، والحديثة، وما تركته من تقاليد، وفلسفة، ومعتقدات دينية،ودنيوية، وأسطورية، فهو ينطلق مع انطلاق الحضارة الإنسانية ويواصل مسيرته ليومنا هذا.

الفصل الثالث

إشكالية الطقوس الدينية اليهودية

تعتبر الديانة اليهودية أولى الديانات السماوية الموحدة التي تدعو إلى الإيمان بخالق واحد خلق العالم بما عليه، هو الله جل جلاله (يهوه)، «في البدء خلق الله السموات والأرض . . . .» يبدأ سفر التكوين، وما جاء فيها من تفسير حول الخلق لم تناقضه الديانات السماوية التي أتت من بعدها بل اعتمدته في أدق تفاصيله .والمعروف عند الناس عن هذه الديانة هو الناموس الكتابي أو الوصايا العشر، ولكن ما هو غير معروف عند الغالب من الناس، بسبب من انغلاق هذه الديانة ومعتنقيها عن الغير، هو ما حوته هذه الديانة من الطقوس الخاصة بها،وهي التي كانت السبب الرئيس وراء تجنبهم وتجنب الناس الاختلاط ومعاشرة من يؤمن بها، حتى أن كاتبي مقال اليهود في روما في الموسوعة اليهودية: Joseph Jacobs Schulim Ochser يذكران بأن بعض الرومان أعتقوا عبيدهم من اليهود بعد سوقهم إلى روما عند تدمير الهيكل في أورشليم بسبب من طقوسهم الدينية الخاصة.[1]

لقد تتابعت طقوس الديانة اليهودية بإملاء إلهي ومن الإله مباشرة، وفقاً لما تؤمن به هذه الديانة، لكن هذا الإملاء الإلهي كان يتوجه من الإله نحو فرد ليؤمن

---

(1) Jewish Encyclopedia, art.: Jews In Rome.

بما أملي عليه، وبأحسن الحالات كانت عائلته هي التي تؤمن معه بما يؤمن به. كان هكذا الأمر بالنسبة لإبراهيم، «لا تخف يا أبرام، أنا ترس لك، وأجرك عظيم جداً.» (تك، 15: 1) أول من تلقى الدعوة الإلهية بالنسبة لهذه الديانة، ولكل من أفراد سلالته الذي يذكر التاريخ المقدس بأنه تلقى عهداً أو وصية من الرب. والنقطة الثانية أن هذه الطقوس تحتوي من التفاصيل الدقيقة والوصف التفصيلي لها مما يصعب الالتزام بها ويكفي المرء لكي يطلع على جزء منها بأن يطالع سفر الأحبار من الكتاب المقدس هذا إذا لم نأتِ على ذكر التلمود وشريعته. والنقطة الثالثة أن هذه الطقوس عالجت ناحيتين مهمتين ترتبطان بحياة المؤمن اليومية وهما الطهارة والنجاسة والحلال والحرام، وهذا الطقس الأخير يشمل طقوس الزواج، والأكل، والمعاملات الدنيوية وهناك اليوم موقع خاص Sabbath أو Chabak يهتم بالإجابة عن أسئلة الزائرين في أمور الحلال والحرام يديره حاخامات اليهود؛ وقد وصلت الشرائع اليهودية في التفاصيل إلى الإجابة على السؤال هل البيضة التي تبيضها الدجاجة يوم السبت، وهو يوم الراحة، حلال أكلها أم حرام؟ وهل يجوز قضاء الحاجة يوم السبت؟ أو إذا ما أردت الإحسان لفقير وقف أمام باب بيتك يوم السبت كيف لا تكون مذنباً وإحسانك لا يحتسب عملاً قمت به يوم الراحة؟ هل تمد يدك خارج حدود باب البيت حاملاً فيها ما تريد وهبه أم يمد الفقير يده ويأخذ ما تريد إعطاءه إياه من داخل خط البيت أم... لأن العمل يوم السبت محرّم وهذا الإحسان يعتبر عملاً في بعض الأشكال، وهذا المثل الأخير هو موضوع الفقرة الأولى من الفصل الأول من المشنا[1]. ويذكر شيمون بيريز رئيس جمهورية إسرائيل اليوم في مذكراته أنه في طفولته في بولونيا كان من المتشددين دينياً، وأعتقد أنه ما يزال دينياً ومعه صهيونياً، وقام على تهشيم الراديو الذي كان يوجد في منزلهم بعد عودته مع جده من الكنيس صباح يوم السبت، وكان الراديو شيئاً نادراً والقلة يستطيعون

(1) التلمود البابلي بترجمته الإنجليزية السابقة، الفصل الأول المشنا ج: 1 ص: 1.

الحصول عليه في ذلك الزمن بسبب غلاء ثمنه، وكان ما أتى به بسبب أن الراديو كان يذيع بعض الأغاني بصوت عال ومسموع يوم الراحة السبت، وبعدها لم يعد أحد في بيتهم يجرؤ على فتح الراديو الجديد يوم السبت،[1] والنقطة الرابعة هي أن هناك طقوساً خاصة بكيفية التعبد والتكفير عن الخطايا قام عهد الربابنة أي المعلمين أو الحاخامات، يقابلها في التراث الإسلامي الأئمة، على تطويره وبصورة خاصة عند بعض المذاهب اليهودية وخاصة فريق من الحسيديين Hasidim على الأغلب، وفق بعض المصادر، وهي تعني بالعبرية الأتقياء أو الرحماء، وأصبحت تصنف ضمن الطقوس المنحرفة اجتماعياً وأخلاقياً، مما جعل الذين يؤمنون بها، عرضة للملاحقة القانونية والشعبية خلال العصور وجَرَّت على اليهود، دونما استثناء الكثير من الويلات، وهي العنصر الرئيس الذي دعا الناس إلى التخوف ممن يعتنقون الديانة اليهودية بغض النظر عن المذهب والطائفة التي ينتمون إليها من باب تجريم الكل بذنب الجزء. وإذا أردنا أن نورد كامل هذه الطقوس السابقة لتوجب علينا إملاء سفر كبير يحوي دون مبالغة آلاف الصفحات أو لكنا نعيد كتابة التلمود ومعه العهد القديم.

ولكن بما أن هذه الطقوس تلعب دوراً محورياً في تحرك أعضاء هذه الديانة أثناء حياتهم، لذا فإننا سنورد بعضاً منها وبخاصة التي تمثل ركيزة أساسية في إيمان المؤمن ولعبت دوراً هاماً في العلاقة بين اليهود ومعتنقي الديانات الأخرى، واستمر اعتناقها من اليهود إلى زماننا الحاضر.

☆ ☆ ☆

من الطقوس الأساسية والتي أمليت من الرب على الكليم وهي محورية في هذا الدين:

أول طقس من الطقوس هو الختان وأتى نصه في التاريخ المقدس: لمّا كلّم الله إبراهيم قائلاً: «وأنت فاحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك مدى

(1) Golan, Matti, Shimon Peres, 1982, p:1.

أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كل ذكر منكم. تختنون في لحم قلفتكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم .. ولأي أقلف من الذكور لم يختن في لحم قلفته، تفصل تلك النفس من ذويها، لأنه قد نقض عهدي.» (تك،إصحاح 17 أي 9 إلى 14).

والطقس الثاني هو الذبيحة ونصه: وامتحن الله إبراهيم «فقال له:«يا إبراهيم». فقال: «ها أنذا». فقال: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه، إسحق، وأمض إلى أرض الموريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال ألذي أريك».... فلما وصلا إلى المكان الذي أراه الله إياه، بنى إبراهيم هناك المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه وجعله على المذبح فوق الحطب. ومد إبراهيم يده فأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً «إبراهيم إبراهيم!» قال:«ها أنذا» قال: «لا تمد يدك إلى الصبي ولا تفعل به شيئاً، فإني عرفت أنك متّقي الله، فلم تمسك عني ابنك وحيدك». فرفع إبراهيم عينيه ونظر، فإذا بكبش واحد عالق بقرنيه في دغل. فعمد إبراهيم إلى الكبش وأخذه وأصعده محرقة بدل ابنه.» (تك، إصحاح 22، آي 1 إلى 13).

ولكن بدءا من موسى أصبحت الدعوة من الرب تتوجه نحو الكليم ليبلغ الرسالة لقومه: «وكلم الرب موسى وهارون في أرض مصر قائلاً: «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور، وهو لكم أول شهور السنة. كَلِّما جماعة إسرائيل كلها ومُراهم أن يتخذوا لهم في العشر من هذا الشهر، كل واحد حملاً بحسب بيوت الآباء لكل بيت حملا.... حملٌ من الضان أو الماعز تأخذونه، ويبقى محفوظاً عنكم إلى يوم الرابع عشر من هذا الشهر، فيطبخه كل جمهور جماعة لإسرائيل بين الغروبين.. ويأخذون من دمه ويجعلونه على قائمتي الباب وعارضته على البيوت التي يأكلونه فيها، ويأكلونه مشوياً على النار، بأرغفة فطير مع أعشاب مرة يأكلونه. لا تأكلون شيئاً منه نيئاً ولا مسلوقاً، بل مشوياً على النار مع رأسه وأكارعه وجوفه. ولا تبقوا شيئاً منه إلى الصباح، فإن بقي شيء منه فأحرقوه بالنار.».... سبعة أيام تأكلون فطيراً. في اليوم الأول ترفعون الخمير من

منازلكم، فإن كل من أكل خبزاً خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تفصل تلك النفس من إسرائيل. ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس، وفي اليوم السابع محفل مقدس، لا يعمل فيهما عمل، بل ما تأكله كل نفس هو وحده يصنع لكم...... وتحفظون هذا اليوم مدى أجيالكم فريضة أبدية. في الشهر الأول، في اليوم الرابع عشر منه في المساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادي والعشرين من الشهر مساء. سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم، فإن كل من أكل خميراً، تفصل تلك النفس من جماعة إسرائيل ....» (خر إصحاح 12، آي 1 إلى 21)

والطقس الثالث هو الذبائح في سبيل التكفير عن الذنوب أو الذبائح السلامية، أي المؤمن في حال السلام مع الله، والفارق أن الذبائح للتكفير عن الذنوب لا يجوز الأكل منها بل تُحرق مَرْضاةً لله ولكن الذبائح السلامية تقسم بين الله والكهنة والمضحي أي مقدم الذبيحة.

لكن نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل يقول في كتابه **سوسنة سليمان في أصول االعقائد والأديان**: «ثم بعد أن افتتح طيطس القيصر الروماني أورشليم وأشعلت العساكر الرومانية النار في ذلك الهيكل العظيم وهدمته إلى أساساته تفرق اليهود على ما ذكرنا وبطلت الذبائح والمحرقات وتلاشى ذكر الكهنوت....» (ص:103،ط:1987). واعتمد نوفل في ذلك على ما جاء في سفر دانيال الإصحاح التاسع: «... ويأتي رئيس فيدمر المدينة والقدس. بالطوفان تكون نهايتها، وإلى النهاية يكون ما قضي من القتال والتخريب وفي أسبوع واحد يقطع مع الكثيرين عهداً ثابتاً، وفي نصف الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة....» (دا، 9، آي 16 إلى 18)

وهناك العديد من الطقوس الأخرى كطقوس الفصح، والزواج، والتكفير عن الذنوب، و... الخ ولكن أخطر هذه الطقوس هو ما يسمى Blood Libel طقس الدم عند بعض الطوائف اليهودية والذي يحتاج إلى دم بشري طازج، غالباً دم طفل مسيحي، لأجل صنع فطير عيد الفصح وصنع الرماد المقدس الذي

يستعمل أثناء ممارسة عقود الزواج،ويوم الرماد، وشعائر أخرى، ونحن سنفرد له فقرة خاصة لما كان له من أهمية على العلاقة بين اليهود في العالم والغير، ولما جلب عليهم، من البغض، والويلات من الناس في أوروبا والعالم، وهو السبب الرئيسي، أو أهم العناصر، وراء نشوء الأزمة المزمنة بين الغير واليهود في أنحاء العالم، ونشأة ما أصبح يسمى بالمسألة اليهودية المتفاقمة.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع

إشكالية طقس الدم Blood Libel

يشكل الدم عنصراً رئيساً في عهد الإيمان والتعبد الديني اليهودي والطقوس المتوجبة على المؤمنين التي تفرضها الديانه ليمارسها الأتقياء. فأول طقس من الطقوس اليهودية التي تفصل النفس عن ذويها هو عدم الختان، والختان هو «علامة عهد في الجسد» (تك، آي13) أو عهد دم بين الذكر في قلفته مع الله، «وابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم من جيل إلى جيل» (تك، آي 12)، وعدم الختان للذكر «يفصله عن ذويه،» (تك،أي 14) ومستنكفه هو موضع «نقض عهد مع الله» (تك، آي 14)، وكان قرار إلغاء الختان في المسيحية بمثابة مفرق رئيس بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية، واعتبر اليهود هذا الإلغاء للختان من قبل المسيحيين تغيراً وإيقافاً وإلغاء للناموس الموسوي وفصلاً لهم لخارج الديانة اليهودية ونقضاً للعهد مع الله، إذ إنه في بدء الدعوة المسيحية كانت تعتبر الديانة المسيحية من ضمن الطوائف اليهودية. وكانت «... نصوص العهد القديم التي عدها المسيحيون زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحد وسموها «الشريعة والأنبياء»، وفقاً للاصطلاح اليهودي في تلك الأيام.» (الكتاب المقدس العهد الجديد، المشرق، 1991، ص: 7)

والذبيحة التي تذبح تبركاً أو تكفيراً «يقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشونه على المذبح الذي عند باب خيمة الموعد من حوله» (أح، أي 5)؛ وفي

التكفيرية تحرق ويحرق دمها في قدس الأقداس، وفي عيد الفصح يدهن «بدم الضحية عارضة وقائمتا باب المنزل،» وتعبير صراخ الدم أو وقوع دم القتيل على. . ، تعابير مألوفة في الأدب اليهودي.

وطقس الدم Blood Libel، يستلزم دماً بشرياً طازجاً من طفل مسيحي فإن لم يتوفر فلمسيحي أياً يكن، فإن لم يتوفر فلمسلم، ينكره اليهود في العلن، ولكن ثبت بالدليل القانوني في أكثر من مكان في العالم أن بعض الطوائف اليهودية تمارسه وبصورة خاصة فرقة من الفرقة الحسيدية أو الخاسيدية (الأتقياء أو الرحماء) منها على الأغلب. وفي الموسوعة اليهودية العالمية ليس هناك من فقرة تحت عنوان طقس الدم Blood Libel ولكنها توجد تحت عنوان آخر هو تهمة الدم Blood accusation عالجت الموسوعة فيها تاريخ وتفاصيل هذا الطقس، ونحن سنعتمد على ما جاء تحت هذا العنوان في هذه الموسوعة، وبالإضافة لهذا البحث هناك بحث آخر موسع في موسوعة الويكبيديا وفي الموسوعة البريطانية بالإضافة لبعض المراجع العربية التي أوردت بالتفصيل، نقلاً عن مراجع عديدة عربية وأجنبية، ومحاضر تحقيقات قضايا عديدة في أوروبا والتحقيقات في قضية مقتل الأب توما الكبوشي وخادمه إبراهيم عمار في دمشق عام 1840 م التي نشرها عام 1927 الدكتور أسد رستم في مجموعة الوثائق التاريخية المتعلقة بتاريخ سوريا في زمن إبراهيم باشا من سنة 1247 ـ 1255 هجري وهي نقلاً عن سجلات المحكمة الشرعية بدمشق ونشرت في الجزء الخامس منها بصور زينكوغراف عن أوراق المحاضر الرسمية، وكتاب الأطفال ولائم دموية على مائدة اليهود للكاتب سليمان سليم البواب عام 1996م. ونشرت أيضاً في كتاب شارل لوران المعنون باسم تاريخ سوريا وأيضاً ألحقت بكتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود لكاتبه روهلينج ترجمة د. يوسف حنا نصر الله وكتاب صراخ البريء لحبيب فارس.

جاء في الموسوعة اليهودية مقال تحت عنوان Blood accusation كتبه: Richard Gottheil Hermann L. Strack Joseph Jacobs بأن: «تهمة الدم هي

تعبير للدلالة على الاتهام الذي يوجه نحو اليهود إن لم يكن لكلهم، ففي كل الأحوال، لبَعض الطوائف اليهودية التي تَطلّب وتستخدم دماً مسيحياً للأغراض التي تعود إلى العلاقة الوثيقة مع الطقوس اليهودية. وفي سبيل الحصول على هذا الدم، يرتكب اليهود الاعتداء، والتهجم،وقتل من يقع ضحية لهذا الهجوم».

وجاء فيها أيضاً حول تاريخ ظهور هذا الموضوع أنه: «في مجادلة انفعالية ليوسف Josephus ضدّ النحوي الإسكندري[1] أبيون قام هذا الأخير باتهام اليهود بقيامهم سنوياً بتسْمين يوناني في المعبد، ومن ثم يقومون بتضحيته وقتْله، وأكل أعضائه الداخلية، وإقسام قسم العداوة ضدّ كلّ اليونانيين.» وشيء مماثل لهذا الأمر هو ما جاء مؤكداً للسابق في بيان لديموقريطس Democritus حفظه مؤلف القواميس اليوناني Suidas (القرن العاشر) بأنه: «كلّ سبع سنوات يمسك اليهود غريباً، ويعرضونه للتضحية، يقْتلُونه بتمزيق لحمه إلى قصاصات».

وجاء في كتاب سقراط «Hist. Eccles.» أن هناك بعض اليهود السكارى، الذين قتلوا عرضياً فتىً مسيحياً، قد شنقوا في سخرية جزاء لعملهم في Haman في Purim، ومن المريب والمشكوك به أن يكون هذا الحدث وراء نشوء طقس الدم الأسطوري.»

ونضيف أنه لا يوجد، في العهود القديمة ولا أثناء القرون الوسطى، أثر لمثل هذا الاتهام ضد اليهود.

لكن سليمان سليم البواب في كتابه السابق يخصص فصلاً كاملاً أمتد على مدى خمس وأربعين من الصفحات يذكر لنا فيها حوادث قتل اليهود للمسيحيين، أطفالاً وكباراً، وتصل الفقرات في هذا الفصل إلى 133 فقرة أورد في كل منها تفاصيل إما حادث أو حوادث حصلت في بلد من بلدان العالم، ونقل فيها معلوماته عن مصادر عديدة ولكتاب عديدين هم: (فينتسيتس كتاب 27

(1) «Contra Ap.,» ed. Niese, ii. 8, Apion 95),

و29، وشلبشبك، وإيزنمينيغير المجلد 2 والمجلد 12، ومايموس، وكتاب الإجراءات الجنائية ضد اليهود، وفاليم، ونيوفيت، والحاخام بيطال، وإدوارد دايمون، ومصطفى طلاس، وحسن ظاظا، وديفو، وكباريني) ومما جاء فيه أنه في القرن الرابع الميلادي وفي عهد القيصر قسطنطين طرد اليهود من بعض المقاطعات الروسية لصلبهم طفلاً صغيراً في يوم الجمعة الحزينة، ويذكر أيضاً أنه في القرن الخامس ميلادي وفي سورية عام 419 م أقدم اليهود على صلب عدد من الأطفال المسيحيين، وقد تم تنفيذ حكم الإعدام بالجناة.كما أصدر الإمبراطور أوسودوسي أمراً منع اليهود بموجبه من الاحتفال بحرق الصليب في أعيادهم الدينية، ومن بناء معابدهم في أماكن معزولة. وفي القرن السابع الميلادي وفي عهد القيصر فوكا طرد اليهود من مدينة إنطاكية السورية لأنهم قتلوا بوحشية الأسقف أنستاسي، وعدداً من الأطفال الصغار. (البواب، ص: 90).

أما الموسوعة اليهودية فتذكر أن الحالة الأولى التي وجه الاتهام فيها لليهود بقتل طفل مسيحي لأغراض طقسية كانتْ تلك التي حدثت في سنت وليام في نوروش Norwich في عام 1144. طبقاً لوثيقة اكتشفت مؤخراً تم إيضاح هذا الحادث وفقاً للتالي: (Jessopp and James, «St. William of Norwich»), Cambridge, 1899 تم توضيح اختفاء الولد من قبل يهودي مرتد، هو ثيوبولد من كامبردج، وهو يفيد بأنه حدث بسبب مؤامرة عالمية من اليهود الأوروبيين، الذين اختاروا وجوب التضحية السنوية بطفل مسيحي في عيد الفصح.»

وكان هناك حادث في في Narbonne وNorwich.. وكان هناك تهم مماثلة في Gloucester في 1168، وفي St Bury وإدموندز في عام 1181، وفي Winchester في عام 1192 ولم يظهر دليل على من ارتكب هذه الجرائم فيها. لم يحاكم أو يعاقب أحد من اليهود على الجرائم السابقة، ولكن الإشاعةَ الشعبيةَ ضد اليهود اعتبرت كافية لاعتبار من قتلوا بأنهم في عداد شهداء الكنيسة. وفي كانون الأول من عام 1235، قتل خمسة من أطفال هيس ناسو، طحان يستقر على مقربة من مدينة فولدا، ونتيجة لهذا الحادث أربعة وثلاثون يهودياً ويهوديات

ذبحوا من قبل الصليبيين. أتهم اليهود بالعمل، وسيقوا إلى التعذيب وقيل بأنهم اعترفوا بأنهم قتلوا الأطفال لكي يحصلوا على دمهم لأغراض الشفاء (كان يعتقد في الأزمنة القديمة والقرون الوسطى بأن دم الأطفال يشفي من أمراض الغيبوبة أو الصرع والجذام وإمراض عديدة أخرى ويحمل قوة خارقه على فعل ذلك الشفاء، ومغاطس الدم البشري عرفت في أيام مصر الفرعونية كترياق للشفاء من البرص). لكن من الضروري الأخذ بالاعتبار الملاحظَات التالية: 1 ـ أن التقارير تقولُ بعدم وجود شهود كانوا حاضرين أثناء الاعتراف. 2 ـ أن الاعترافات انتزعت خلال التعذيب لذا فهي عديمة القيمة. 3 ـ بأن هذه الاعترافات تتكلّم عن النية الوحيدة لتحصيل علاج ولم تحتوِ على أي إشارة إلى المراسيم الطقسية. 4 ـ على أثر ذلك قام الإمبراطور الألماني، فريديرك الثّاني بدعوة عدد كبير من العلماء وبصورة خاصة أولئك اليهود المتحوّلين إلى المسيحية من كلّ أنحاء أوروبا، ، لكي يحل المسألةَ كلياً، وذلك للحصول على جواب لسؤال: هل اليهود بحاجة لدم مسيحي لمراسيم عيد فصحهم؟ وكان الجَواب بأن: «لا القدماء ولا العهد الجديد يذكرون شيئاً عن شهوة اليهودي للدم الإنساني؛ بل بالعكس، يذكر بشكل واضح في التوراة، وفي قوانين موسى، وفي الأنظمة اليهودية في التلمود، كلها تصر بأنّه يجب أن لا يدنس اليهود أنفسهم بالدم. وعند من تذوق الدم الحيواني ممنوع فبالتأكيد لا يستطيع تذوق دم من البشر وذلك: 1 ـ بسبب رعب الشيء. 2 ـ لأنه محرّم بالطبيعة. 3 ـ بسبب الرابطة الإنسانية التي أيضاً تشد اليهود بالمسيحيين. 4 ـ لأنهم لا يخاطرون بحياتهم بشكل أحمق.» وهكذا حكم الإمبراطور: «لهذه الأسباب قرّرنا، بالموافقة العامّة للأمراء والحكماء، تبرئة يهود المنطقة من الجريمة الخطيرة التي اتهموا بها، والإعلان عن أن بقية اليهود في ألمانيا براء من كل شك.»

هذا الحكم لم يكفِ لتبرئة اليهود في ألمانيا من الشك العام عند الناس تأثراً بحادثة فولدا.

وهكذا أصبحت القضية السابقة علامة بارزة في التاريخ، فمنذ ذلك الزمن

أصبح الاتهام أكثر تكراراً في البلدان الأخرى. وبحدود عام 1247 م. أجريت محاكمة في البلدة الصغيرة Valreas (فاوكلوس، فرنسا)، أظهرت بأنّ قضاة الاستقصاء سمعوا عن اتهام لجريمة الدم موجّهٍ ضدّ اليهود. وفي يوم الأربعاء الواقع في 27 آذار وهو اليوم السابق لعيد الفصح هناك بنت بعمر سنتين وجدت ميتة في خندق البلدة المائي، وكان هناك جروح على جبهتها، ويديها، وقدميها. والحقيقة بأنّ الطفلة كانت قد شوهدت سابقاً في الغيتو (حي اليهود والسكن فيه مقصور على اليهود) وهذا كان حجة كافية لربْط الجريمة وإيقاع الذنب على اليهود. حوكم اليهود، وبعد أن عذبوا، اعترفوا بارتكاب ما اتهموا به. احد المتهمين، على سبيل المثال، اعترف معلناً أن اليهود رغبوا الاحتفال والمشاركة في عيد فصح السّبت، وبموجب عادة سنوية تقوم الجاليات اليهودية الكبيرة وخصوصاً في إسبانيا، بشراء مسلم لغرض الاحتفال بالفصح حينما المسيحي لا يمكن أن يحْصل عليه.

يظهر من هذا الاعتراف بأنه مستند على الإشاعة التي وضعتْ سابقاً من قبل المرتد ثيوبولد من كامبردج بالارتباط مع قضية وليام من Norwich. وواحد من المعترفين أيضاً أعلن بأنّه، خَوْفاً من كشف الأمر، صب يهود Valreas دمّ الطفل في البالوعة. وفي نفس السنة 1247 أشتكى يهود ألمانيا وفرنسا إلى البابا إينوسنت Innocent الرّابع. بأنّهم اتهموا باستخدام قلب طفل مسيحي في احتفال المشاركة أثناء مهرجان عيد الفصح. (jewish ency.,art. blood accusation)

وهكذا توالى الأمر نفسه عبر القرون وفي بلاد مختلفة، وهناك سجل لتحقيقات رسمية اعترف فيها المتهمون بفعلتهم، ووصفوا طريقة حصول الجريمة، لكننا نمتنع عن إيرادها لما فيها من وصف وحشي مقزز. ونحن أيضاً لا نريد أن نذكر كل هذه الأحداث التي أصبحت معروفة مراجعها لدى الباحثين ومن يرغب بمعرفة كامل التفاصيل العديدة والتي حصلت خلال قرون عديدة أيضاً نحيله على كتاب سليمان سليم البواب السابق الذكر أو على الموسوعة اليهودية العالمية، أو على موسوعة الويكيبيديا Wikipidia مادة طقس الدم Blood

Libel، ولكنا نورد مقطعاً مما جاء في مقدمة الترجمة العربية لكتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود التي كتبها الشيخ مصطفى الزرقا فهو يقول: «لمّا كنا أطفالاً في مدينة حلب موطني الأول من بلاد الشام كنا نسمع الأمهات يمنعن أولادهن الصغار من الخروج خارج البيوت وحدهم، ويحذرنهم بأن اليهود يخطفون الأطفال خفية ويأخذونهم إلى حيث يستنزفون دماءهم . . .» (ط:2، 1988، ص:3) وهذا يصور ما كان يشيع من جو عام لدى الناس حول اليهود حيثما حلّوا حتى في المناطق التي أعطتهم حسن المعاملة، ولكن استكمالاً للموضوع لابد لنا من الإجابة على بعض التساؤلات وسننقل الإجابة عليها من سجل التحقيقات الرسمية التي أجريت بحادث مشهور وهو مقتل القس توما الكبوشي وخادمه إبراهيم عمار عام 1840 في دمشق على أيدي اليهود وهي منشورة كما قلنا سابقاً في مجموعة د. أسد رستم الوثائقية ومن بعض التحقيقات الأخرى التي أجريت على جرائم أخرى.

■ **أولها لماذا يمتنع اليهود عن دفن قتلى الأطفال المسيحيين ويرمونهم دون طمس الحادث بدفنهم؟**

والجواب جاء على لسان «احد المعترفين في جريمة كراسنوا ستافتسي فلقد ورد في اعتراف احد المتهمين في جريمة قتل طفل مسيحي صغير أن تعاليم الديانة اليهودية تحرم دفن المسيحيين بعد قتلهم. وعن إحدى النساء المسيحيات (بعد أن اتهمت بخطف طفل صغير وتسليمه لليهود ثم إلقاء جثته في الغابة) قالت المرأة: إن سيدتها اليهودية أخبرتها أن السماء ستلعنهم وسيهلك جميع اليهود إذا دفنوا جثة القتيل.» (البواب ص:101 نقلاً عن ايزنمينغير وآخرين).

■ **ما هو دافع اليهودي لقيامه بالقتل؟**

الجواب عن لسان إسحاق هراري وهو أحد المتهمين المشاركين في جريمة مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار: «حقيقة أحضرنا الأب توما عند

داود باتفاقنا معاً وقتلناه لأخذ دمه. وبعد أن وضعنا في قنينة الدم أرسلناه إلى الحاخام موسى أبى العافية. وكنا نصنع ذلك اعتقاداً بأن الدم ضروري لإتمام فروض ديانتنا.» (الكنز المرصود...، ص: 133)

والنقطة الأخرى التي لابد من أن نجيب عليها أيضاً هي السؤال الذي سأله المحقق للحاخام موسى أبي العافية في قضية مقتل الأب توما الكبوشي وخادمه إبراهيم عمار:

■ **سؤال: لماذا ينفع الدم وهل يوضع في الفطير وهل يعطى لكل الشعب؟**

الجواب: على لسان الحاخام موسى أبي العافية - ينفع الدم لوضعه في الفطير الذي لا يعطى عادة إلا للأتقياء من اليهود وكان يرسل بعض اليهود دقيقاً إلى الحاخام يعقوب العنتابي وهو يعجنه بنفسه، ويضع فيه من الدم سراً بدون أن يعلم أحد بالأمر ثم يرسل من الفطير لكل الذين كانوا يرسلون الدقيق. (البواب ص: 246)

والنقطة الأخيرة هي ما هو شعور من يرتكبون ويشاركون في القتل وفي طقس الحصول على الدم البشري؟. أيضاً سنجيب بما جاء في نفس التحقيق وعلى لسان الحاخام موسى أبي العافية.

■ **سؤال: أحقيقة بأن سليمان الحلاق كان قابضاً على الأب توما عند ذبحه؟**

الجواب: على لسان الحاخام موسى أبي العافية - إنني نظرتهم كلهم حول الأب توما (داود هراري، إسحاق هراري، يوسف هراري، يوسف لينيوده، الحاخام موسى أبي العافية، الحاخام موسى بخور، يودا سلونكلي، سليمان الحلاق، خادم داود هراري) وعند ما صار ذبحه كانوا كلهم مسرورين لأنهم كانوا يتممون فرضاً دينياً. (البواب ص:247)

أما عن استعمال الدم عند الزواج فالعروسان يصومان من المساء إلى المساء عن كل شيء، وبعد عقد الزواج يناولهما الحاخام بيضة مسلوقة فيأكلانها بعد أن يغمسها برماد الكتان المشرب قبلاً من دم المسيحي. أما هذا الرماد فهو

محفوظ عند الحاخامات، وهو الذي يحفظون فيه الدم المسيحي لأنه بعد استنزاف هذا الدم تبلل قطعة الكتان حتى تتشربه وتحرق بعد ذلك ويحفظ رمادها في حقاق وترسل من بلاد إلى بلاد، حيث لا يمكن لليهود في كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم.

وفي ختان الطفل اليهودي في اليوم الثامن من ولادته، يأخذ الحاخام كأس خمر ممزوج بنقطة من الدم المسيحي، ويضيف إليها نقطة من دم الطفل المختون، ويمزج الخمر مزجاً قوياً ويغمس خنصره في الكأس ويدخله في فم الطفل مرتين قائلاً لدى كل مرة: قد قلت لك، إن حياتك هي دمك.

وفي اليوم التاسع من شهر تموز وهو اليوم الذي يقيم فيها اليهود مظاهر الحزن على خراب أورشليم، كل يهودي ملزم بدهن جبهته من جهة الصدغين برماد الكتان المحروق بعد لثه بالدم المسيحي ويأكل بيضة ملوثة بقليل من هذا الرماد وهذا الأكل يطلقون عليه اسم: سايادا مافاليس (البواب ص: 51) وهناك استعمالات أخرى لهذا الرماد ولكننا نكتفي بما أوردناه.

■ **أما من هي الطوائف اليهودية التي تمارس هذه الطقوس السابقة وما هو النص الديني الذي فرضها؟.**

بشأن النص الديني الذي يفرض ممارسة هذا الطقس فإنني لم أستطع أن أحصل من مصدر موثوق على جواب شافٍ للسؤال ولا بد لي من التنويه بما ذكر في الموسوعة اليهودية من نفي لوجود أي نص ديني في كل التراث الديني اليهودي، ومن ضمنه التلمود والبقية، يحض المؤمنين كهنة وأفراداً على ممارسة هذا الطقس. والموسوعة اليهودية تشير أيضاً بأن التلمود بقي صامتاً تجاه هذا الموضوع في حين أنه كان من الممكن بأن يشير ببنان الاتهام أو الشك نحو طائفة القرائيين اليهودية (فرقة معادية لليهود الفريسيين ومعادية للتلمود وشريعته.) ويتهمهم بأنهم يمارسون مثل هذا الطقس،

وأما بشأن الطوائف التي تمارس هذا الطقس فلقد أتى في قضية مقتل

الطفل فيدور يميليانوف من مدينة فيليج في 23 نيسان عام 1823، أنه جاء عن لسان المدعي العام أن جميع اليهود في فيليج ينتمون إلى طائفة المتناهدين أو الحاسيدين Hasidis، وهناك يهودي متنصِّر اسمه نيوفيت، ذكر في كتابه أنَّ هذه العادة الوحشية البشعة التي نتحدث عنها (طقس الدم) يختص بها الحاسيدون وحدهم. (البواب ص: 169) ولكن بعد مراجعتي في الموسوعة اليهودية لبحث الحاسيدين Hasidis ولكتاب الدكتور جعفر هادي حسن اليهود الحسيديم لم أجد شيئاً في تعاليمهم يمت لطقس الدم بصلة ولم أصل إلى معرفة ما هي الطوائف التي ينتمي إليها اليهود في دمشق وحلب وبيروت والتحقيق الذي أجري في قضية القس توما وخادمه لم يُشِرْ إلى طائفة المتهمين ولا إلى مذهب الحاخام موسى أبي العافية الذي أعلن اعتناقه الأسلام بعد الحادثه أو الحاخام العنتابي ولكن التحقيق يفيد بأن اليهود في القدس وبغداد ودمشق كانوا يتعاونون فيما بينهم على الحصول على الرماد المقدس وزجاجات الدم، وقول الشيخ مصطفى الزرقا السابق كان ينطبق على ما يقوم به الأهالي من تنبيه لأولادهم في دمشق وبيروت.

ولا بد لي من أن أذكر ما جرى لي من حديث مع الباحث الأستاذ صقر أبو فخر من مركز الدراسات الفلسطينية من أن مركز الدراسات الفلسطينية لم يستطع أن يسجل أيّاً من الشكاوي من الأهالي في فلسطين تعود إلى ممارسة طقس الدم من قبل اليهود في فلسطين بل يذهب إلى القول بأن الأمر هو من أساسه غير صحيح وتعود هذه التهمة إلى العداوة السياسية الواقعة فيما بين المسيحيين واليهود وقد ذكر ذلك في أحد كتبه.

وأنا أعتذر من القراء إذا ما تسببت بخدش إحساسهم وشعورهم بهذا البحث، فهذا الطقس وما نتج عنه من تهمة كان وراء التسبب بالمسألة اليهودية في أوروبا والعالم كما سنرى لاحقاً، وبسببه أرادت الشعوب الأوروبيه التخلص من المجموعات اليهودية، ليس بسبب كرهها لهم كبشر أو معاداة للسامية، ولكن بسبب اتهام ما تقوم به بعض الفرق اليهودية من طقوس دينية ممجوجة،

فأخذ الكل بذنب الجزء، وممارسة اليهود لهذا الطقس وضع السكان بحالة من الرعب والخوف على أولادهم خشية خطفهم وسقوطهم ضحايا في أيدي اليهود القاطنين في مدنهم.

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس

إشكالية الإيمان اليهودي والإيمان المسيحي

تنشعب العلاقة بين الكهنوت اليهودي بمختلف طوائفه من اليهود وتابعيه من المتبني في معتقده المعتقد الموسوي الكتابي والشفاهي من جهة، ويسوع الناصري، ومعه من آمن به وبدعوته في حياته وبعد صلبه وفق الأناجيل، ورسائل الرسل إلى شعبتين.

الشعبة الأولى هي الأزمة بين الكهنوت اليهودي بمن ضم من الفريسيين والصادوقيين وخلافه من جهة وما جاهر به يسوع الناصري بأنه «ملك اليهود»، وما تعنيه وما ترتب على هذه المجاهرة، وهي التي كانت وراء محاكمته أمام المجلس ـ السنهدرين والكهنوت اليهودي الفريسي والصادوقي في أورشليم القدس الشريف، وحكمهم عليه بالإعدام والموت صلباً وفقاً لما روته الأناجيل الأربعة الرسمية في المسيحية، إنجيل متّى، وإنجيل يوحنا، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإصرارهم على السلطة المدنية بتنفيذ ذلك القتل صلباً كما جاء في الأناجيل السابقة أيضاً.

والشعبة الثانية هي الفارق العقائدي الذي فرق الفريق الذي آمن بيسوع الناصري، بأنه المسيح المنتظر، وفقاً لما أتت به أسفار الأنبياء،عن المعتقد الديني اليهودي المقنن تبعاً للتعاليم الموسوية الكتابية والشفهية.

(درجت العادة لدى بني إسرائيل منذ بداية الملك عندهم بأن يكرس كل واحد من ملوكهم لخدمة الله عند تبوئه العرش عن طريق مسح رأسه بالدهن، بحيث يصبح «مسيحاً للرب» ولذلك أصبح لقب «المسيح» يطلق على ملوك إسرائيل وخاصة ملوك يهوذا من سلالة داود.)[1].

☆ ☆ ☆

وجاء في سفر الخروج (الإصحاح 30) عن زيت المسحة: «22 وكلم الرب موسى قائلاً: 23 وأنت فخذ لك من أفخر البلاسم: من المر القاطر خمس مئة مثقال، ومن الدراصيني الطيب مثل نصفه، أي مئتين وخمسين مثقالاً، ومن قصب الذَّريرة مئتين وخمسين، 24 ومن السَّليخة خمس مئة مثقال، بحسب مثقال القدس، ومن زيت الزيتون هيناً. 25 واصنع ذلك زيتاً للمسحة المقدسة، عطراً معطراً صنع عطار، فيكون زيتاً للمسحة المقدسة. 26 وامسح به خيمة الموعد وتابوت الشهادة 27 والمائدة وجميع آنيتها والمنارة وآنيتها 28 ومذبح البخور ومذبح المحرقة وجميع آنيته والمغسل وقاعدته. 29 وقدسها فتكون قدس الأقدس، كل ما مسها يكون مقدساً. 30 وامسح هارون وبنيه وقدسهم ليكونوا لي كهنة. 31 وكلم بني إسرائيل قائلاً: هذا يكون لي زيتاً للمسحة المقدسة مدى أجيالكم. 32 لا يسكب على جسد إنسان ولا تصنعوا مثله في تركيبه، إنما هو مقدس، فيكون مقدساً لكم. 33 أي إنسان ركب مثله أو جعل منه على غير كاهن يفصل من شعبه.»

☆ ☆ ☆

وجاء في إنجيل متّى (الإصحاح 26) «1 ولما أتم يسوع هذا الكلام كله، قال لتلاميذه: 2 تعلمون أن الفصح يقع بعد يومين، فابن الإنسان يسلم ليصلب. 3 واجتمع حينئذ عظماء الكهنة وشيوخ الشعب في دار عظيم الكهنة، وكان يدعى قيافا. 4 فأجمعوا على أن يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه، . .»

(1) الصليبي د. كمال، البحث عن يسوع، ط:1، 1999، الشروق للنشر ص: 18.

وجاء أيضاً في إنجيل متّى (إصحاح 27) «1 ولما كان الفجر عقد جميع عظماء الكهَنة وشيوخ الشعب مجلس شورى في أمر يسوع ليحكموا عليه بالموت[1]. ثم أوثقوه وساقوه وسلَّموه إلى الحاكم بيلاطس. 11 ومثل يسوع في حضرة الحاكم، فسأله الحاكم: «أأنت ملك اليهود؟» فقال يسوع: «هو ما تقول». 12 وكان عظماء الكهنة والشيوخ يتهمونه فلا يجيب بشيء. 13 فقال له بيلاطس: «أما تسمع بِكَمْ من الأمور يشهدون عليك؟ «فلم يجبه عن أي منها حتى تعجب الحاكم كثيراً. 20 ولكن عظماء الكهنة والشيوخ أقنعوا الجموع بأن يطلبوا برأبا ويهلكوا يسوع. 21 فقال لهم الحاكم: «أيهما تريدون أن أطلق لكم؟» فقالوا: «برأبا». 22 قال لهم بيلاطس: «فماذا أفعل بيسوع الذي يقال له المسيح؟» قالوا جميعاً: «ليصلب!» 23 قال لهم «فأي شر فعل؟». فبالغوا في الصياح: «ليصلب!». 24 فلما رأى بيلاطس أنه لن يستفيد شيئاً، بل ازداد الاضطراب، أخذ ماء وغسل يديه بمرأى من الجميع وقال: «أنا بريء من هذا الدم، وأنتم شأنكم فيه» 25 فأجاب الشعب بأجمعه: «دمه علينا وعلى أولادنا!» 26 فأطلق لهم برأبا، أما يسوع فجلده، ثم أسلمه ليصلب. 35 فصلبوه ثم اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. وجلسوا هناك يحرسونه. 37 ووضعوا فوق رأسه علة الحكم عليه كتب فيها: «هذا يسوع ملك اليهود».»

☆ ☆ ☆

وجاء في إنجيل مرقس (الإصحاح 15) «1 وما إن كان الفجر حتى اجتمع عظماء الكهنة للشورى مع الشيوخ والكتبة والمجلس كله، ثم أوثقوا يسوع وساقوه وسلموه إلى بيلاطس. 2 فسأله بيلاطس: «أأنت ملك اليهود؟» فأجابه:

(1) جاء في هامش الترجمة اليسوعية: «كانت سياسة روما العامة تترك للمجلس اليهودي حرية تصرف كبيرة، فقد كان يدير شؤون اليهود في حياتهم الدينية والسياسية، في الحدود التي فرضها الاحتلال. فهل كان له زمن يسوع، حق إصدار الحكم بالإعدام وتنفيذه؟ لم تتفق حتى اليوم آراء المؤرخين على هذا الأمر. يبدو أن الروايات الإنجيلية وان اختلفت إلى حد كبير في التفاصيل، فهي تشير إلى أن المجلس كان له ذلك الحق، وأن اذن الحاكم كان ضرورياً لتنفيذ العقاب.»

«هو ما تقول». 3 وكان عظماء الكهنة يتهمونه اتهامات كثيرة. 4 فسأله بيلاطس ثانية: «أما تجيب بشيء؟» أنظر ما أكثر ما يشهدون به عليك. 5 ولكن يسوع لم يجب بشيء بعد ذلك حتى تعجب بيلاطس. 8 فصعد الجمع وأخذوا يطلبون ما كان من عادته أن يمنحهم. 9 فأجابهم بيلاطس: «أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟» 10 لأنه كان يعلم أن عظماء الكهنة من حسدهم أسلموه. 11 فأثار عظماء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالأحرى برأبا. 12 فتكلم بيلاطس ثانيةً قال لهم: «فماذا أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟» 13 فعادوا للصياح: «أصلبه!» 14 فقال لهم بيلاطس: «فما الذي فعل من شر.؟» فازدادوا صياحاً: «أصلبه!» 15 وأراد بيلاطس أن يرضي الجمع، فأطلق لهم برأبا، وبعد ما جلد يسوع أسلمه ليصلب. 26 وكتب في عنوان علة الحكم عليه: «ملك اليهود». »

☆ ☆ ☆

وجاء في إنجيل لوقا (الإصحاح 23) «1 ثم قامت جماعتهم كلها فساقوه إلى بيلاطس 2 وأخذوا يتهمونه قالوا: «وجدنا هذا الرجل يفتن أمتنا، وينهى عن دفع الجزية إلى قيصر، ويقول: إنه المسيح الملك» 3 فسأله بيلاطس: «أأنت ملك اليهود؟» فأجابه هو ما تقول. 4 فقال بيلاطس لعظماء الكهنة والجموع: «لا أجد في هذا الرجل سبباً لاتهامه». 5 فقالوا ملحين: «إنه يثير الشعب بتعاليمه في اليهودية كلها، من الجليل إلى هنا». 6 فلما سمع بيلاطس سأل هل الرجل جليلي. فلما عرف أنه ولاية هيرودوس أرسله إلى هيرودوس. وكان هو أيضاً في أورشليم في تلك الأيام. 13 فدعا بيلاطس عظماء الكهنة والرؤساء والشعب 14 وقال لهم: «أحضرتم لدي هذا الرجل على أنه يفتن الشعب وها قد حققت في الأمر بمحضر منكم، فلم أجد على هذا الرجل شيئاً مما تتهمونه به، 15 ولا هيرودوس، لأنه رده إلينا. فهو إذا لم يفعل ما يستحق به الموت 16 فسأعاقبه ثم أطلقه». 18 فصاحوا بأجمعهم: «أعدم هذا وأطلق لنا برأبا!» 19 وكان ذاك قد ألقي في السجن لفتنة حدثت في المدينة وجريمة قتل. 20 فخاطبهم بيلاطس ثانية في إطلاق يسوع. 21 فصاحوا «أصلبه، أصلبه!» 22. قال لهم ثالثة: «فأي

شر فعل هذا الرجل؟ لم أجد سبباً يستوجب به الموت، فسأعاقبه ثم أطلقه. «23 فألحوا عليه بأعلى أصواتهم طالبين أن يصلب، واشتد صياحهم. 24 فقضى بيلاطس بإجابة طلبهم. 25 فأطلق من كان قد ألقي في السجن لفتنة وجريمة قتل، ذاك الذي طلبوه، وأسلم يسوع إلى مشيئتهم. 38 وكان أيضاً فوقه كتابة خط فيها: «هذا ملك اليهود». »

☆ ☆ ☆

وجاء في إنجيل يوحنا في (الإصحاح 18) «37 فقال له بيلاطس: «فأنت ملك إذن!» أجاب يسوع: «هو ما تقول، وأنا ما ولدت وأتيت العالم إلا لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي إلى صوتي «38 قال له بيلاطس: «ما هو الحق؟»، قال ذلك، . . . .».

☆ ☆ ☆

أ ـ جذور القصة فيما قبل ظهور يسوع الناصري والدعوة المسيحية:

يوضح الدكتور كمال سليمان الصليبي ـ متخصص في قراءة النصوص التاريخية ـ في كتابه البحث عن يسوع، جذور الأزمة بين يسوع الناصري والكهنوت اليهودي الصادوقي على النحو التالي: «.. نشأت في بابل، بعد وفاة يهوياكين (آخر ملوك مملكة يهوذا اقتاده نبوخذ نصر إلى بابل) سلالة من «الأمراء» المطالبين بعرش يهوذا من ذريته، هي أشبه ما تكون بسلالة الأئمة من ذرية علي بن أبي طالب في تاريخ الإسلام. وقد كان كل واحد من هؤلاء «الأمراء» يعتبر في زمانه، وإلى حد ما في الأقل، مسيحاً منتظراً، ولكل منهم الحق بأن يعتبر نفسه «ابن داود» نسبة إلى جده الأعلى. وكان أول من اشتهر من هؤلاء في بابل سليلاً ليهوياكين عرف باسم «زربابل بن شالتيئيل» نسبة إلى حفيد ليهويا كين.»

«لم يكن لبني إسرائيل في البداية نظام خاص لعبادة الرب يهوه. بل «كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه» غير أن سبط لاوي كان يعتبر مؤهلاً بشكل

خاص للاهتمام بشؤون هذه العبادة، وذلك منذ وقت مبكر يقوم المؤهلون من هذا السبط بعرض خدماتهم الكهنوتية على رؤساء العشائر الإسرائيلية من سائر الأسباط لقاء أجر، فيجري الاتفاق بين الكاهن والعشيرة على هذا الأساس. وما لبث الكهنوت في إسرائيل أن أخذ ينحصر في بيت واحد من سبط لاوي، هو بيت هارون بن عمران... وجعل موسى منه أول كاهن على إسرائيل. ومن سلالة هارون عالي ومن سلالته أبياثار الذي لحق بداود بعد خروجه على الملك شاول، فعينه داود كاهناً أعظم على إسرائيل عندما أصبح ملكاً وعين معه كاهناً أعظم ثانياً غير معروف النسب هو الكاهن صادوق بن أخيطوب واتخذ داود اثنين من الأنبياء هما ناثان وجاد، ناثان بصفة مرشد ديني وجاد بصفة «رائي» والأنبياء من أمثال ناثان وجاد كانوا ينطقون باسم الرب يهوه..... وأصبح الكهنوت بعد ذلك خاضعاً لمشيئة العرش... وبعد داود انتصر أبياثار لولد داود لآد ونيا والكاهن صادوق بن أخيطوب لولده سليمان، وحين جلس الأخير على العرش قتل أخاه لآد ونيا، وعزل أبياثار عن الكهنوت، وأرسله للمنفى، وبذلك انتهى عهد الكهنوت «العالوي» (نسبة لعالي) الهاروني الأصل في إسرائيل، وحل مكانه الكهنوت الصادوقي، وشرعية الأخير مستمدة من العرش الداودي وليس من أي مصدر آخر.»

«بقي الكهنة من سلالة صادوق بن أخيطوب يتعاقبون على رئاسة المؤسسة الدينية الإسرائيلية بعد وفاة سليمان وتحديداً في مملكة يهوذا، وهم يخضعون أكثر فأكثر للعرش في مملكة يهوذا بسبب الشك الشعبي في شرعية مكانتهم. واستمر الكهنوت على هذه الحال حتى زمن الملك يوشيا (642 ـ 611 ق. م. تقريباً). وفي حين كان «النجارون والنحاتون والبنّاؤون» يقومون بورشة صيانة وترميم الهيكل بأورشليم، «حيث تابوت العهد» أعلن الكاهن الأعظم حلقيا عن العثور على «سفر الشريعة» (أي صحف موسى) في مخبأ داخل الهيكل. وجيء بهذا السفر إلى الملك يوشيا فجمع «شيوخ يهوذا وأورشليم» إلى الهيكل، وكل الشعب من الصغير وإلى الكبير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد

في بيت الرب وبناء على التعاليم الواردة في هذا السفر، أمر الملك بالاحتفال بعيد الفصح للمرة الأولى حسب الأصول المرسومة لهذا العيد...... والاعتقاد السائد بين علماء الكتاب المقدس هو أن سفر الشريعة الذي أعلن حلقيا عن العثور عليه لم يكن في ذلك الوقت إلا سفر التثنية من التوراة، المنسوب إلى موسى؛ وأن هذا السفر في الواقع، لم يعثر عليه في حينه، بل إن المؤسسة الكهنوتية الصدوقية هي التي قامت بوضعه في السنوات السابقة الإعلان عن وجوده.

.... كانت هذه بداية ما يمكن تسميته منذ ذلك الوقت ب «اليهودية» كنظام ديني قائم على شريعة مكتوبة وطقوس ثابتة، خلافاً لما كانت عليه العبادة الإسرائيلية التقليدية وغير المنتظمة للإله يهوه في السابق. وكان اسم «اليهود» (بالعبرية «يهوديم» والمفرد «يهودي») قد بدأ يطلق على شعب يهوذا (بالعبرية «يهوده») في ذلك الوقت، وكذلك لفظة «اليهودية» (بالعبرية «يهوديت») للدلالة على لغة يهوذا («يهوده») التي هي بالعبرية. ومن ذلك يأتي استعمال اسم «اليهود» بمعنى الطائفة الدينية. وكان الرسول بولس (توفي في عام 67م) أول من إشتق لفظة «اليهودية» (باليونانية loudaimos) من إسم «اليهود» باليونانية (loudaioi) للدلالة على ديانتهم على ما يظهر..... ولا توجد أية إشارة معروفة إلى اسم لهذه الديانة من قبل.

وما كاد العام الثامن والثلاثون من إعلان حلقيا عن اكتشاف «سفر الشريعة» يكتمل حتى تم القضاء على مملكة يهوذا والعرش الداودي فيها على يد نبوخذ نصر، ولم يبق لشعبها من قيادة منظمة إلا قيادة الكهنوت الصادوقي، غير الشرعي أصلاً، وهو الذي انتقل أربابه آنذاك مع السبي من يهوذا إلى بابل. وكان في بابل أن أخذ الكهنة من آل صادوق، وأعوانهم من الكتبة، يغمزون أكثر فأكثر من قناة بيت داود، وهم يسعون جاهدين إلى تنظيم سبي يهوذا على أساس الشريعة وليس على أي أساس آخر ليحولوهم من شعب إلى جماعة دينية أي من «إسرائيليين» إلى «يهود». وهناك من جماعات السبي من قبل بذلك، ومنهم من

بقي يحلم بعودة الملك الإسرائيلي الضائع إلى الوجود بقيادة «مسيح» من بيت داود.»

☆ ☆ ☆

عام 597 ق. م. نبو خذ نصر يخلع عن عرش يهوذا ملكها يهوياكين وينصب صدقيا ملكاً مكانه ويسوق الأول إلى بابل سجيناً في سجونها.

عام 586 ق.م. نبوخذ نصر يقتل جميع سلالة صدقيا أمام عينيه ومن ثم تقلع عيناه ويقاد إلى بابل بالسلاسل أسيراً حيث مات في أرض لا يرها.

عام 560 ق.م. وفاة نبوخذ نصر وتولي خلفه أويل مردوخ فأخرج يهوياكين من السجن وأكرمه جاعلاً له مرتباً يومياً بقي يتسلمه حتى آخر حياته.

يهوياكين أصبح آخر ملوك ملكة يهوذا بعد موت صدقيا مما جعله صاحب الحق والوحيد بالمطالبة بعرش مملكة يهوذا.

توارث ذرية يهوياكين من الذكور في بابل حقه بالعرش على مملكة يهوذا من بعده بكراً عن بكر دون أن يكون لهم منافس في ذلك وهذا العرش هو الذي قام على تأسيسه سابقاً داود في عام 1005 ق.م. تقريباً.

نشوء سلالة من الأمراء في بابل تطالب بعرش مملكة يهوذا أشبه بسلالة الأئمة من ذرية علي بن أبي طالب في تاريخ الإسلام، وكان كل واحد منهم يعتبر نفسه، مسيحاً منتظراً، وابن داود نسبة لجده الأعلى.

أول من اشتهر من هؤلاء «الأمراء» عرف باسم «زربابل بن شألتيئيل».

قورش الثاني ملك فارس يستولي على بابل في زمن زربابل وبما في ذلك أرض يهوذا ولاية «عبر نهرا» ويصدر نداء بالكتابة قائلاً:

«جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا.

من منكم من كل شعبه قادر ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل.

هو الإله الذي في أورشليم. وكل من بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب، فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم.»

زربابل «الأمير» الداودي المعترف به في زمانه يجمع مع عشرة من كبار أعوانه 42360 فرداً (اعتادت المصادر الإسرائيلية على المبالغة في الأرقام) من شعب يهوذا المقيم في بابل فضلاً عن العبيد والإماء وعاد بهم إلى أرض يهوذا ركوباً على الخيل والبغال والجمال والحمير.

بقاء زربابل بعد العودة في أورشليم لبناء الهيكل من خلال التبرعات التي قدمتها أسر الميسورين من رؤساء الأسر العائدة، وبرفقته يشوع بن يهوصادوق كبير الكهنة، وفريق من المعاونين.

زربابل يتعاون مع الكاهن الصادوقي يهوشع بن يهوصادق من جهة وحجي وزكريا من الأنبياء من الجهة الأخرى على إعادة بناء الهيكل، وتعيين زربابل والياً على يهوذا. ولم يبق له إلا أن يعترف له بقدر من الاستقلال ليصبح «المسيح» المعيد لمجد بيت داود كما كان أنصاره ينتظرون.

عام 521 ق.م. اكتملت إعادة بناء الهيكل فاجتمع بنو إسرائيل كهنة وأفراداً لتدشين الهيكل وغاب زربابل عن الحضور وليس هناك من معلومات حوله بعد ذلك، فخلا الجو للكهنوت الصادوقي بعد ذلك وغابت سلالة داود عن الحضور وعن المطالبة بالملك على إسرائيل خلفاً لجدهم الكبير. (الصليبي د. كمال، البحث عن يسوع،، الروق للنشر، 1999، ط:1، فصل البداية في بابل، ص: 32 ـ 17، تلخيص بتصرف)

وكان هناك ثلاث من الفرق الرئيسة بين اليهود هم الصدوقيون والفريسيون والسامريون وقد سلموا بوجود الكهنوت الصادوقي ولكن يرجح الصليبي، رغم

عدم وجود دليل على ذلك، بأن هناك فريقاً بين اليهود استمر على المطالبة بعودة الملك لسلالة داود. (أصبح معروفاً أن الدكتور كمال الصليبي يتبنى الرأي بأن أرض التوراة هي في منطقة عسير في المملكة السعودية وليست في فلسطين وكل ما خط من قراءة في العهد القديم يحاول فيه إثبات صحة هذه النظرية.) ولكن ما يهمنا هو أنه في تاريخ عام 47 ق.م. عين الرومان «والياً على «اليهودية» رجلاً ثرياً وبارزاً من عرب «إيدوميا» ألحديثي العهد باليهودية (أي أنه ليس من سكان المنطقة أصلاً ومتبنياً اليهودية حديثاً) اسمه باليونانية أنتيباتر. . . . وكان المذكور قد بدأ يتقرب إلى الرومان منذ اللحظة التي دخلوا فيها فلسطين، فأنعموا عليه بالتبعية الرومانية، وأصبح من كبار عملائهم في بلاد المشرق. وما لبث أنتيباتر أن اغتيل عام 43 ق.م. فعين الرومان ابنه هيرودوس حاكماً على «اليهودية» مكانه. . . . كان هيرودوس يعتبر نصف يهودي وربما كان للسبب نفسه أن همَّ هيرودوس في تشييد هيكل عظيم لليهود في أورشليم «اليهودية» (في فلسطين إذ الصليبي يعتقد أن أورشليم واليهودية الأصليتين هما في منطقة عسير في السعودية.) جاعلاً بذلك من هذه المدينة وربما للمرة الأولى قبلة اليهود في العالم وكانت بداية بناء الهيكل عام 19 ق. م. واستغرق العمل في بنائه سنة وستة أشهر.

بعد وفاة هيرودوس عام 4 ق.م. تقسمت المملكة إلى أربعة أرباع، ثلاثة منها توزعت بين ثلاثة من أبنائه والرابعة وهي ربع اليهودية أوكل حكمها إلى ولاة رومانيين. ومن هؤلاء الولاة الرومانيين على اليهودية بيلاطس المعروف بالبنطي الذي عينه طيباريوس قيصر (14 ـ 34م) لهذا المنصب. . . .». (الصليبي فصل: 3 ص: 33 ـ 43).

وما يهمنا أنه «في وقت ما بين العامين 27 و26 للميلاد حين كان المدعو بيلاطس البنطي والياً رومانياً على «اليهودية» ظهر في أرض الجليل بفلسطين رجل اسمه يسوع الناصري، من سلالة زربابل بن شألتيئيل معلناً عن نفسه بأنه صاحب الحق بالملك على إسرائيل.» (الصليبي، ص: 45،)

«قبض على يسوع الناصري واقتيد أمام رئيس كهنة اليهود الصادوقي، فحكم عليه السنهدرين اليهودي بالموت ثم سلم إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي للتصديق على هذا الحكم وتنفيذه. وكانت التهمة الموجهة إلى يسوع المسيح هي ادعاءه بأنه المسيح صاحب الحق بعرش إسرائيل خلفاً لجده الأعلى داود، وأنه ابن الله حسب الوصف التقليدي للمسيح الداودي الموعود، والأناجيل الأربعة تجمع على ذلك. .» (ص: ، 67، تم الاقتباس بكل النصوص في هذا القسم مع بعض التصرف بطريقة العرض لتتوافق هنا مع سياق عرض الموضوع). وهكذا يُحمِّل المسيحيون اليهودَ جريمة مقتل يسوع المسيح على الصليب وفقاً للأناجيل، وكان لهذا الأثر الكبير بالعلاقة فيما بينهما لاحقاً.

☆ ☆ ☆

ب ـ المفاهيم اللاهوتية الدينية والفارق بينهما

«تقوم الديانة المسيحية كما نعرفها اليوم على الأسس اللاهوتية التي وضعها لها الرسول بولس (Paulos) بين العامين 40 و67 م. تقريباً إذ إن الرسول بولس هو أول من جَل «المسيح يسوع» عن كونه محض شخص مطالب بالعرش الإسرائيلي الذي كان لجده داود، بل علَّم بأنه هو «. . . صورة الله الذي لا يرى وبكر كل خليقة ففيه خلق كل شيء مما يرى ومما لا يرى أأصحاب عرش كانوا أم أصحاب سيادة أم رئاسة أم سلطان كل شيء خلق له به وله. هو قبل كل شيء وبه يقوم كل شيء وهو رأس الجسد أي رأس الكنيسة هو البدء والبكر من بين الأموات لتكون له الأولية في كل شيء. فقد حسن لدى الله أن يحل به الكمال كله وأن يصالح به ومن أجله كل موجود مما في الأرض ومما في السموات وقد حقق السلام بدم صليبه.». . (قولسي 1: 15 ـ 20)،[1] أما التفاصيل منذ البداية ووفق الأناجيل ورسائل الرسل فهي:

(1) الصليبي: البحث عن يسوع. . . ص: 97.

«. . . لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام الملك هيرودوس إذا المجوس قدموا أورشليم من الشرق وقالوا: «أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له». . . . . . . فدعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم في أي وقت ظهر النجم. ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال: «اذهبوا فابحثوا عن الطفل بحثاً دقيقاً، فإذا وجدتموه فأخبروني لأذهب أنا أيضاً وأسجد له». . . . فلما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه مريم. فجثوا له ساجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا إليه ذهباً وبخوراً ومرّاً. ثم أوحي لهم ألا يرجعوا إلى هيرودوس، فانصرفوا في طريق آخر إلى بلادهم.» (متى، إصحاح 2 آي 1 إلى 12) والحقيقة أن المجوس لا علاقة لهم باليهود ولا بمولد ملكهم ولا بالمسيح المنتظر ولا بكتابهم المقدس ولكن القديس متّى أراد بهذه الرواية في إنجيله أن يقول بأن العالم بكهنوت الديانات المغايرة قدم واعترف بأن يسوع الناصري هو المسيح المنتظر منذ ولادته وكان ذلك قبل دعوته الدينية فلم ينكرها عليه أهل بيته من اليهود. وجاء في كتاب البحث عن يسوع للدكتور كمال الصليبي «وما هذه القصة إلا نسيج حول نبوءة من سفر إشعياء (60 :3) عن المجد الذي سيضيفه مجيء المسيح على أورشليم، حيث تقول النبوءة «فتسير الأمم من الغرباء عن إسرائيل في نورك والملوك في ضياء إشراقك».»[1]

كان الرفض موقف اليهود، وفي الأصح، موقف رجالات الكهنوت اليهود الفريسيين الصادوقيين، من مطالبة يسوع الناصري بأن يكون ملكاً على اليهود، ومن ثم تم صلبه وفقاً لما أتى في الأناجيل. لكن بصلبه لم يقفل الموضوع بل ابتدأ موضوع آخر وكان أشد خطورة من المطالبة بملك داود، وتأسس لاهوت الدعوة المسيحية على الأسس التي بناها الرسول بولس منطلقاً من الدعوة الأولى، وحرر رسائله داعياً فيها اليهود والوثنيين للإيمان بيسوع الناصري، وقام

(1) الصليبي: البحث عن يسوع. . . ص: 50.

المؤمنون بيسوع الناصري «وجمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس الرسول واستعملوها في حياتهم الكنسية المسيحية» (العهد الجديد، ص: 8)، وبعدها انتصرت وانتشرت الدعوة المسيحية وعمت وشملت بلاد أوروبا، ومن ثم أصبح المعتقد المسيحي دين الدولة الرومانية الرسمي، وغاب الصراع على الملك الداودي لإسرائيل وتحول إلى صراع لاهوتي بين الديانتين المسيحية واليهودية، وأصبح المعتقد اللاهوتي لكل منهما يشكل لب الصراع فيما بينهما، لذا يتوجب علينا أن نأتي على ذكر ما هناك من فوارق بين المعتقد الديني اليهودي والمعتقد الديني المسيحي، ونظرة كل واحد منهما للآخر، من أجل أن نفهم أسباب هذا الصراع، لما ما كان له من أثر على المسألة اليهودية في أوروبا وخلق إسرائيل في فلسطين لاحقاً، وهكذا سنأتي على ملخص لكل من المعتقدين لتبيان نقاط التلاقي والافتراق فيما بينهما، ولنفهم أسباب هذه الحرب الضروس بين الاثنين على ماذا بنيت، وهي التي سقط فيها شهداء معظم الحواريين من تلاميذ يسوع الناصري، وسقط أيضاً ضحايا من اليهود، وهذه الحرب دامت أكثر من ألفي سنة وهي تبحث عن حل، وهي التي أصبحت تسمى في أوروبا بالمسألة اليهودية لاحقاً.

☆ ☆ ☆

«الشماع أساس العقيدة عند اليهودي، ويتكون من بعض آيات اتخذت من أسفار التوراة ويتكون من أجزاء من: سفر التثنية 6/ 37 ـ 41 و11/ ـ 21، وسفر العدد 25/ 37 ـ 41، ونصه: «إسمع يا إسرائيل: الرب إلٰهنا إلٰه واحد، وأحب إلٰهك من كل قلبك». . . . وكل يهودي ذكر يجب أن يتلو الشماع مرتين في اليوم؛ «(سيد محمد عاشور، اليهود في عصر المسيح، 1993، القلم ـ الشامية، ص: 73)؛ ويتأسس الإيمان اليهودي على عهود بين الله، وبعض الأحيان يسمى الرب، وبعض الأحيان يكون ملاك الرب، وكليمه من الأنبياء اليهود؛ ويرتكز في الأساس على عهدين، الأول كان مع إبراهيم وهو عهد الختان الذي يعرف بعهد الدم بين الوليد بقلفته والله، والثاني هو الناموس اعطي لموسى بعدما كتب

نصه على الحجر بإصبع إلٰهي من نار. ونص الأول كما جاء في العهد القديم من على لسان الله: «وأنت فاحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كل ذكر منكم. تختنون في لحم قلفتكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم .. ولأي أقلف من الذكور لم يختن في لحم قلفته، تفصل تلك النفس من ذويها، لأنه قد نقض عهدي.» (تك، إصحاح 17 أي 9 إلى 14). أما موقف المسيحية من الختان فلقد تأسس على ما جاء من رأي في رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية حيث قال: «... طوبى للذين عفي عن آثامهم وغفرت لهم خطاياهم! طوبى للرجل الذي لا يحاسبه الرب بخطيئة. أفهذه الطوبى للمختونين فقط أم للقلف أيضاً؟ فإننا نقول: إن الإيمان حسب لإبراهيم براً، ولكن حسب له؟ أفي الختان أم في القلف، بل في القلف وقد تلقى سمة الختان خاتماً للبر الذي يأتي من الإيمان وهو أقلف، فأصبح أباً لجميع المؤمنين الذين في القلف لكي ينسب إليهم البر، وأباً لأهل الختان الذين ليسوا من أهل الختان فحسب، بل يقتفون أيضاً آثار الإيمان الذي كان عليه أبونا إبراهيم وهو أقلف. فالوعد الذي وعده إبراهيم أو نسله بأن يرث العالم لا يعود إلى الشريعة، بل إلى بر الإيمان. فلو كان الورثة أهل الشريعة لأبطل الإيمان ونقض الوعد، لأن الشريعة تجلب الغضب، وحيث لا شريعة لا تكون معصية، ولذلك فالميراث يحصل بالإيمان ليكون على سبيل النعمة ويبقى الوعد جارياً على نسل إبراهيم كله، لا على من ينتمون إلى الشريعة فحسب، بل على من ينتمون إلى إيمان إبراهيم أيضاً. وهو أب لنا جميعاً، ..».» (العهد الجديد، قولسي: 4: 7 ـ 16، المشرق، 1991) وفي رسالته إلى أهل غلاطية جاء قوله: «فها أنذا بولس الرسول أقول لكم: إذا ختنتم، فلن يفيدكم المسيح شيئاً، ...، ففي المسيح يسوع لا قيمة للختان ولا للقلف، وإنما القيمة للإيمان العامل بالمحبة ...» (غل، 5:2 و6) ويكرر في رسالته إلى أهل قورنتوس قوله: «.. ليس الختان شيئاً وليست الغلة شيئاً بل الشيء حفظ وصايا الله، فليبق كل واحد على الحال التي كان فيها حين

دعي...» (1قو7: 19 و20)، ومعها وبناء على خطبة بطرس الرسول في مجمع أورشليم بشأن مشكلة إنطاكية وبعدها قرر المجمع بأنه: «... حسن لدى الروح القدس ولدينا ألا يلقي عليكم (الوثنيون في إنطاكية) من الأعباء سوى ما لا بد منه. وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنى. فإذا احترستم منها تحسنون عملاً.» (رسل: 15: 28 ـ 29) ورأي بولس الرسول في رسائله السابقة الذكر، نسخ عهد الدم، أي الختان، من الأعباء الواقعة على المؤمنين بالمسيحية.

☆ ☆ ☆

أما نص الناموس أو الوصايا العشر المكتوبة على «لوحين من حجر، مكتوبين بإصبع الله «كما أتى في العهد القديم في سفر الخروج فهو: «وتكلم الله بهذا الكلام كله قائلاً: أنا الرب إلٰهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية.

لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.

لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض.

لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلٰهك إلٰه غيور، أعاقب إثم الآباء في البنين، إلى الجيل الثالث والرابع، من مُبغِضيَّ، وأصنع رحمة إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

لا تلفظ اسم الرب إلٰهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ الذي يلفظ اسمه باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة أيام تعمل وتصنع أعمالك كلها. واليوم السابع سبت الرب، فلا تصنع فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وخادمك وخادمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وكل ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه.

نصه على الحجر بإصبع إلٰهي من نار. ونص الأول كما جاء في العهد القديم من على لسان الله: «وأنت فاحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كل ذكر منكم. تختنون في لحم قلفتكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم . . ولأي أقلف من الذكور لم يختن في لحم قلفته، تفصل تلك النفس من ذويها، لأنه قد نقض عهدي.» (تك، إصحاح 17 أي 9 إلى 14). أما موقف المسيحية من الختان فلقد تأسس على ما جاء من رأي في رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية حيث قال: «. . . طوبى للذين عفي عن آثامهم وغفرت لهم خطاياهم! طوبى للرجل الذي لا يحاسبه الرب بخطيئة. أفهذه الطوبى للمختونين فقط أم للقلف أيضاً؟ فإننا نقول: إن الإيمان حسب لإبراهيم براً، ولكن حسب له؟ أفي الختان أم في القلف، بل في القلف وقد تلقى سمة الختان خاتماً للبر الذي يأتي من الإيمان وهو أقلف، فأصبح أباً لجميع المؤمنين الذين في القلف لكي ينسب إليهم البر، وأباً لأهل الختان الذين ليسوا من أهل الختان فحسب، بل يقتفون أيضاً آثار الإيمان الذي كان عليه أبونا إبراهيم وهو أقلف. فالوعد الذي وعده إبراهيم أو نسله بأن يرث العالم لا يعود إلى الشريعة، بل إلى بر الإيمان. فلو كان الورثة أهل الشريعة لأبطل الإيمان ونقض الوعد، لأن الشريعة تجلب الغضب، وحيث لا شريعة لا تكون معصية، ولذلك فالميراث يحصل بالإيمان ليكون على سبيل النعمة ويبقى الوعد جارياً على نسل إبراهيم كله، لا على من ينتمون إلى الشريعة فحسب، بل على من ينتمون إلى إيمان إبراهيم أيضاً. وهو أب لنا جميعاً، . .».» (العهد الجديد، قولسي: 4: 7 ـ 16، المشرق، 1991) وفي رسالته إلى أهل غلاطية جاء قوله: «فها أنذا بولس الرسول أقول لكم: إذا ختنتم، فلن يفيدكم المسيح شيئاً، . . .، ففي المسيح يسوع لا قيمة للختان ولا للقلف، وإنما القيمة للإيمان العامل بالمحبة . . .» (غل، 5: 2 و6) ويكرر في رسالته إلى أهل قورنتوس قوله: «. . ليس الختان شيئاً وليست الغلة شيئاً بل الشيء حفظ وصايا الله، فليبق كل واحد على الحال التي كان فيها حين

دعي. . .» (1قو7: 19 و20)، ومعها وبناء على خطبة بطرس الرسول في مجمع أورشليم بشأن مشكلة إنطاكية وبعدها قرر المجمع بأنه: «. . . حسن لدى الروح القدس ولدينا ألا يلقي عليكم (الوثنيون في إنطاكية) من الأعباء سوى ما لا بد منه. وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنى. فإذا احترستم منها تحسنون عملاً.» (رسل: 15: 28 ـ 29) ورأي بولس الرسول في رسائله السابقة الذكر، نسخ عهد الدم، أي الختان، من الأعباء الواقعة على المؤمنين بالمسيحية.

☆ ☆ ☆

أما نص الناموس أو الوصايا العشر المكتوبة على «لوحين من حجر، مكتوبين بإصبع الله «كما أتى في العهد القديم في سفر الخروج فهو: «وتكلم الله بهذا الكلام كله قائلاً: أنا الرب إلٰهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية.

لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.

لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض.

لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلٰهك إلٰه غيور، أعاقب إثم الآباء في البنين، إلى الجيل الثالث والرابع، من مُبغِضيَّ، وأصنع رحمة إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

لا تلفظ اسم الرب إلٰهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ الذي يلفظ اسمه باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة أيام تعمل وتصنع أعمالك كلها. واليوم السابع سبت الرب، فلا تصنع فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وخادمك وخادمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وكل ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه.

أكرم أباك وأمك، لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيك الرب الٰهك إياها.

لا تقتلْ.

لا تزْنِ.

لا تسرقْ.

لا تشهد على قريبك شهادة زور.

لا تشتهِ بيت قريبك: لا تشته امرأة قريبك ولا خادمه ولا خادمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.» (خروج، إصحاح 20، آي 1 إلى 17)

أما أحكام المعاملات والعبادة فلقد أتى تفاصيلها في كتاب العهد وتشمل أحكام المذبح، والقتل، والضربات والجروح والتعويضات والاغتصاب.... الخ.

وينطلق الخلاف بين اليهود والمسيحيين من تفسير ما جاء من نص في الإصحاح التاسع من سفر دانيال وهو: «بينما كنت أتكلم بالصلاة، إذا بالرجل جبرائيل، الذي رأيته في الرؤيا في البدء، قد طار سريعاً ووافاني وقت تقدمه المساء، وأتى وتكلم معي وقال: يا دانيال، إني خرجت الآن لأعلمك فتفهم. عند بدء تضرعاتك، خرجت كلمة، وأتيت أنا لأخبرك بها، لأنك رجل عزيز على الله. فتبين الكلمة وافهم الرؤيا: إن سبعين أسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لإفناء المعصية وإزالة الخطيئة والتكفير عن الإثم والإتيان بالبر الأبدي وختم الرؤيا والنبوة ومسح القد وسين فاعلم وافهم. إنه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى رئيس مسيح سبعة أسابيع، ثم في اثنين وستين أسبوعاً تعود وتبنى السوق والسور. ولكن في ضيق الأوقات. وبعد الأسابيع الاثنين والستين، يفصل مسيح ولا يكون له (خطيئة أو سلف) ويأتي رئيس فيدمر المدينة والقدس. بالطوفان تكون نهايتها، وإلى النهاية يكون ما قضي من القتال والتخريب. وفي أسبوع واحد يقطع مع كثيرين عهداً ثابتاً، وفي نصف الأسبوع

يبطل الذبيحة والتقدمة، وفي جناح الهيكل تكون شَناعة الخَراب، إلى أن ينصب الإفناء المقضي على المخَرب.» (دا، إصحاح 9 آي 21 الى 27). واستناداً لهذا النص قام يسوع الناصري بإعلان نفسه أنه المسيح المنتظر الذي ذكر في سفر دانيال. وجاء في كتاب سوسنة سليمان في أصول الأديان للكاتب الطرابلسي نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل: «.. نهاية ما يقال إن اختلاف الآراء بين اليهود في تفاسير آيات مثل هذه من كلام الأنبياء تشير بحسب رموزها وكناياتها إلى مجيء مسيح مخلص أوجب انقسام هذه الأمة إلى قسمين وذلك منذ ظهور المسيح يسوع الناصري قبل هذا الخراب الأخير بمدة نحو احدى وأربعين سنة حيث اتبعه قسماً ليس بقليل من ارض اليهودية أما القسم الأعظم والأكبر فأنكره ورفض تعاليمه بل سلمه باتفاق بين رؤساء الكهنة ووجوه الأمة إلى بيلاطس البنطي القائد الروماني الذي كان يحكم أورشليم وقتئذ من قبل الرومانيين فصلبه أثناء الفصح اليهودي بعد ظهور دعوته بثلاث سنين وكسور.

... وكان المنكرون عليه (اليهود) يسمونهم (المسيحيون) شيعة أو هراتقة وهم في سائر معتقداتهم من جهة العهد العتيق لا يفرقون عن الفرقة الثانية المنكرة (أي اليهود) بشيء أصلاً بل هم يحافظون على الكتب المدوّنة فيه بأقسامها حق المحافظة بدون أدنى تغيير ولا في حرف واحد منها ويبنون كل ديانتهم على الكتب المذكورة التي يعتبرونها الأساس الوحيد لإيمانهم. ويرون بأن المسيح لم يأت مبطلاً أو ناسخاً لهذه الديانة وإنما هو متمم لها إذ إنها وضعت وقتية مؤجلة إلى زمن مجيء المسيح المخلّص فيكون ما جاء فيها من الطقوس التي ترمز عنه وتشير إليه قد كفت لمجيء المرموز نفسه ولذلك لا يلتزمون بحفظ شيء منها إلا ما استثنته التعاليم الإنجيلية من الامتناع عن أكل الدم والمخنوق وأما ما عدا هذا القسم الطقسي من سائر أقسام العهد العتيق سواء كان تاريخياً أو نبوياً فهم ملتزمون بتصديقه ومتابعته بالتمام وما كان متفرقاً من الأوامر والنواهي الأدبية فقسم من المسيحيين وهم جماعة التقليديين يرون بأنهم لا يلتزمون بحفظ شيء منها إلا ما ثبته الإنجيل وقسم منهم وهم الإنجيليون

يرون بأنهم ملتزمون بحفظها جميعاً إلا ما نهى عنه الإنجيل وكلاهما يرجعان إلى الاتفاق على العتق من سنن الطقوس الرمزية فقط (الختان والذبائح) والخلاف في مسائل طفيفة في الآداب والسياسة ويمتاز هذا القسم المؤمن بالمسيح (أي المسيحيون) عن القسم الذي أنكره (أي اليهود) بعدة أمور جوهرية وهي:

أولاً: أن الله الموحد بالذات هو ذو ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس وأنه إلٰه لكل مخلوقاته أجمعين وليس لشعب اليهود فقط.

ثانياً: أن المسيح هو الأقنوم الثاني أي الإبن فهو إلٰه من إلٰه وإنسان معاً وليس إنساناً مجرداً فقط كما يظنه اليهود ولذلك كان ملكه روحياً أبدياً لا جسدياً وخلاصه متعلق بالنفس وليس بالعتق من الأحكام العالمية الأجنبية.

ثالثاً: العتق من لعنات الناموس الموسوي بواسطة هذا المخلّص فإن المؤمنين به يقدرون أن يتبرروا من كل ما لم يقدروا أن يتبرروا منه بناموس موسى.

رابعاً: الاعتقاد التام بالقيامة الأخيرة ودينونة الأحياء والأموات العامة والحياة الأبدية الخالدة للذين فعلوا الصالحات في فردوس النعيم وللذين فعلوا السيئات في جهنم النار التي لا تطفأ.» (ص: 104 و105)

وفي عام 325 م. أقر المجمع المسكوني المسيحي الملتئم في نيقية دستور الإيمان وبسل عن الكنيسة كل من لا يعلن إيمانه به. وهكذا أصبح الموقف بين الإثنين، اليهود من جهة، والمسيحيون من جهة أخرى، على الوجه التالي: اليهود لايعترفون بنبوّة يسوع الناصري ولا بأنه المسيح المنتظر ويخرجون عن الإيمان من لا يختتن من الذكور لنقضه العهد مع الله، فأصبح المسيحيون ناقضين لعهد الدم مع الله بعد نسخهم الختان وأصبحوا مفصولين خارج مجموعة المؤمنين بالنسبة للكهنة اليهود، هذا بالإضافة لمفهوم الثالوث الإلٰهي الذي يرفضه اليهود، واليهود، بعدم إعلانهم قبولهم لدستور الإيمان المسيحي غير المسبوق والمقر في مجمع نيقية عام 325 م.، مبسلين عن المؤمنين بالنسبة للكهنوت المسيحي.

الفصل السادس

تاريخ شعب إسرائيل أو الشعب اليهودي بيـن الأسطـورة والخيــال والحقيقــة

إشكالية مصادر تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم

عندما يبدأ الباحث في التدقيق في مصادر تاريخ الشعب العبراني القديم يجد جل ما كتب في كتب التاريخ عن تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم يعتمد على مصدر واحد هو التاريخ المقدس أو أسفار العهد القديم، وما جاء فيها حول الشعب العبراني ـ اليهود. والكتاب هم سواء أكانوا عرباً أم غربيين، فإن مصدر ما يروونه لنا هو إعادة جمع وتركيب وصياغة جديدة لمعلومات مستقاة من أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس. وكتبيان على ما نقول هو ما جاء في كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حِتّي؛ ود. فيليب حِتّي مولود في شملان لبنان عام 1886 م. ونال الدكتوراه من جامعة كولومبية في اللغات الشرقية وآدابها عام 1915 وعين بعد تخرجه أستاذاً فيها، وبعد الحرب الأولى دعي إلى لبنان وعين أستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأميركية في بيروت حتى تاريخ عام 1926 م. ومن ثم انتقل إلى جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأميركية أستاذاً لتاريخ العرب أولاً ثم رئيساً لقسم الدراسات الشرقية فيها حتى عام 1954 م. زمن تقاعده. هذا العالم المؤرخ الذائع الصيت والمشهود له في علم التاريخ من القاصي والداني، حين حرر الفصول الثلاثة في

كتابه السابق وهي الفصول الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر عن الشعب العبراني، كان مرجعه الوحيد فيما يرويه لنا هو ما جاء في أسفار العهد القديم أو ما يستند للعهد القديم كمرجع؛ ود. فيليب حِتّي يمثل مثالاً عربياً وغربياً، فما كتبه من كتب في التاريخ كانت باللغة الإنكليزية وليس باللغة العربية، إذن هو يتوجه بالصورة الرئيسية فيما يكتب للقارئ الغربي وليس للقارئ العربي، مع العلم أنه لبناني عربي المحتد؛ وكمثال آخر، والأمثلة كثيرة على ما نقول، هو ما جاء في موسوعة قصة الحضارة ل ول ديورانت، في الباب الثاني عشر من الجزء الثاني من المجلد الأول تحت عنوان اليهود، وهو أيضاً جل معلوماته الواردة في هذا الباب فيما أتى به من أخبار الشعب العبراني ـ اليهود، هي مستقاة مما جاء في أسفار العهد القديم،وممكن أن نضيف الموسوعة البريطانية وسواها من الموسوعات المشهورة هذا في الزمان المعاصر، أما في الزمان الماضي فإذا تصفحنا كتاب البداية والنهاية وهو المعروف بتاريخ أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي المتوفى عام 774 هجري، نراه أيضاً في الجزء الأول والثاني من الكتاب يروي لنا ما جاء عن تاريخ أنبياء اليهود معتمداً على ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في أسفار التوراة أو التاريخ المقدس؛ والسبحة طويلة.

إذاً، أول عقبة تقف في وجه الباحث في تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم هو وحدانية المرجع لهذا التاريخ وهو أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس. وهكذا تفرض الموضوعية، على الباحث الجاد، في تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود أن يبحث، أولاً في تاريخ المرجع الوحيد لهذا التاريخ، وهو تاريخ أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس، فمبتغاه، تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود، ربط ربطاً وثيق العرى بمحتوى أسفار العهد القديم وما جاء فيها.

العقبة الثانية هي أن أسفار العهد القديم ليست كتاباً ونصاً عادياً، فهي التاريخ المقدس لليهود، فلقد أصبغ عليها القدسية الدينية من قبل كل من التابعين للشرائع الموسوية أي الطائفة اليهودية، والتابعين للديانة المسيحية بمختلف مذاهبها؛ فالكنيسة المسيحية بمختلف مذاهبها تعتبر إسفار العهد

القديم، وإن اختلفت حول ضم بعض الأسفار إلى الكتاب المقدس ـ العهد القديم، هي الجزء الأول من الأسفار المقدسة أو الكتاب المقدس والذي يشمل العهد القديم والعهد الجديد. وفي العهد الأول للدعوة المسيحية وقبل الظهور الكتابي للعهد الجديد ظلت أسفار التوراة، والأنبياء، والكتوبيم (الكتب)، هي مرجع المؤمن المسيحي لمعرفة الناموس، أي معرفة ما جاء في أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس، وعلم التاريخ يفرض على المؤرخ بأن يدرس المرجع الذي يستند عليه فيما يكتب، والدراسة تعني التمحيص والتحقق والنقد وحول هذا جاء في كتاب البحث عن يسوع للدكتور كمال الصليبي: «وقد درج علماء «الكتاب المقدس» بين المسيحيين على القراءة النقدية لهذه النصوص منذ أكثر من قرنين. ومن هؤلاء من كان من رجال الدين البارزين. وكانت الكنائس المسيحية في البداية تعارض، وبشدة هذا «النقد الكتابي» (كما يسمى) لكن الكبرى منها ما لبثت أن أقرت بشرعيته، نظراً إلى استحالة العكس فوجدت طريقها للتعايش معه.»(1)

والعقبة الثالثة أن أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس فيما ترويه تمزج الرواية التاريخية أو الحدث التاريخي بالمفهوم الديني والإلٰهي، فيضحي مناقشة الموضوع والبحث في صحة ما جاء في صعوبة شديدة، كون الموقف مفتوحاً على ما هو ممكن الوقوع فيه أثناء البحث والتدقيق وتقليب الرأي من ملامسة المفاهيم الدينية والمسلم بها من تابعيها بأنها إلٰهية، وملامسة ما جاء من روايات في كتب الديانات السماوية الثلاث، فتصبح المناقشة شديدة الدقة والحساسية لما يمكن أن يمس أثناء الحديث من أفكار وأحداث تقدسها الديانات السماوية الثلاث، أو بعض الأطراف منها، فيخشى بأن يوصل النقد إلى اهتزاز ركائز المعتقدات الدينية؛ ومما جاء في الموسوعة اليهودية للدكتور عبد الوهاب المسيري حول رؤية اليهود لتاريخهم: «يرى اليهود أن تاريخهم مقدس ويعبر عن

(1) الصليبي: البحث. عن يسوع. . . ص: 7.

الإرادة الربانية، فإله إسرائيل يتدخل دائماً في مسار التاريخ لصالح شعب إسرائيل. ولم تأت الأمة اليهودية إلى الوجود إلا من خلال تدخل إلهي مباشر، أي أن الإله قد حل في الشعب وتاريخه.»[1] وتتجلى هذه الحالة والحساسية أكثر ما تتجلى لدى الباحثين والكتاب العرب بصورة خاصة، وذلك بسبب سلطة الكهنوت بأطرافه الثلاث على الناس أو التزام الباحث الديني، وجل من بحث وكتب منهم في الموضوع، بسبب من ارتباطه الديني، لم تصل به الجرأة إلى ما وصل إليه فلهوزن في بحثه وشكه وإنكاره لوجود شخصية إبراهيم أصلاً والقول بأنها شخصية رمزية لا تمت للواقع بصلة.لكن في القسم الثاني من القرن العشرين قام الدكتور كمال الصليبي من بين الباحثين العرب بعدد من الأبحاث تناول فيها بعضاً من المواضيع التوراتية والإنجيلية، نهج فيها منهج الدراسة التاريخية العلمية المحايدة، وأوضح العديد من النقاط التاريخية حول بعض المسائل التي أتى على ذكرها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.وأشار في كتابه حروب داود إلى أن «ومن علماء التوراة من جد في المحاولة لفرز المادة القصصية الأصلية في هذه الأسفار ـ ومنها سفر صموئيل الثاني ـ عن المادة «التثنوية» الدخيلة عليها، فوفق إلى حد ما. لكن هؤلاء العلماء ومعظمهم من المسيحيين واليهود المتدينين ـ قليلاً ما دفعوا بعملية الفرز هذه حتى النهاية، خوفاً من أن يؤثر ذلك على ما يتمسكون به من مسلمات لاهوتية.....»[2]

والعقبة الرابعة أن أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس أيضاً حوت الكثير من المبالغات التي لا يمكن قبولها أو السكوت عنها، وكمثال على ذلك، وهو مثال بسيط لا يمس أي معتقد ديني أو مذهبي، وهو ما جاء في بداية سفر العدد إصحاح الإحصاء، فلقد جاء ما هو نصه: «وكلم الرب موسى في برية سيناء، ....، قائلاً: أحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم،

(1) المسيري الموسوعة اليهودية، الجزء الرابع ص: 5.

(2) الصليبي د. كمال، حروب داود، الشروق للنشر، ط:1، 1990، ص:12.

بعد أسماء الذكور رأساً رأساً. من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل من يخرج إلى الحرب في إسرائيل، ......،(العدد 1 ـ 1، 2،) وكان جميع المحصين من بني إسرائيل بحسب بيوت آبائهم، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل من يخرج إلى الحرب في إسرائيل، كانوا جميعاً ست مئة وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين. وأما اللاويون، فلم يحصوا معهم بحسب سبط آبائهم. «(العدد ـ 1 ـ 45، 46، 47، ص: 284 285، 286) وحين يروي د. فيليب حتي في كتابه السابق الخروج وعدد السكان في ذلك الزمن يقول: «وكان عددهم لا يمكن أن يتجاوز ستة آلاف أو سبعة آلاف إذا اعتبرنا شروط حياة الصحراء وقلة المياه والكمية المحددة من الطعام والأراضي الصالحة للقطعان.» (تاريخ سورية... ص: 194) ويشير د. فيليب حتي في أسفل الصفحة إلى نفس الفقرة التي أتينا عليها سابقاً من سفر العدد كمصدر لمعلومته، وهكذا لم يستطع د. فيليب حتي أن يقبل ما أتى من مبالغة لعدد الذين خرجوا من مصر وفق ما جاء في سفر العدد فاختزله لأقل من الواحد بالمائة بصمت عن المبالغة الواردة في سفر العدد، ودون إشارة أو تفسير لذلك الاختزال، وهذا التصرف نجده عند الكثير من الباحثين الغربيين؛ وإذا شئنا مثالاً آخر فلنقرأ ما قال ول ديورانت وهو من التابعية الموسوية في موسوعة قصة الحضارة عن العلاقة بين اليهود وبين تاريخهم لوجدناه يقول: «إنهم لم يوجدوا تاريخهم، بل تاريخهم هو الذي أوجدهم»[1] ولم يفصح بتحفظ بأكثر من ذلك حول الموضوع وهو كاف ومعبر.

وعلى الصعيد العربي فإن الغالب من الكتاب العرب قاموا على نقل بعض المبالغات اليهودية وخاصة التي تعود لموضوع التنكيل بهم فأتوا، دون انتباه، على ذكر أرقام لا يمكن أن تكون إلا بعيدة عن الحقيقة، وكمثال على ذلك ما أتى في كتاب تاريخ الكنيسة المسيحية لمؤلفه: أفغراف سميرنوف ونقله للعربية

(1) ديورانت ول، قصة الحضارة، جامعة الدول العربية، 1961، القاهرة، المجلد الأول ج2، ص: 328.

الكسندوس مطران حمص وتوابعها حين يذكر دمار أورشليم عام 70 م. على يد الرومان فهو يقول: «في سنة 67 م. ابتدأ عصيان اليهود على الرومانيين فوجه الرومان جيوشهم إلى فلسطين وحاصروا أورشليم. وفي سنة 70م. على عهد الإمبراطور فسبسيان أخذت مدينة أورشليم عنوة وهدمت. وهدم هيكل أورشليم، وهلك في إبان الحصار بالجوع وبالحرب الأهلية أكثر مما بسلاح الرومانيين، هلك أكثر من مليون يهودي واقتيد الألوف إلى العبودية وتفرقوا في بلاد مختلفة.»» (ص: 41، دار السائح دون تاريخ) وإذا علمنا أن فلسطين بتاريخ 1914 م. كان تعداد سكانها كلهم، رجالاً ونساءً وأطفالاً، سبع مئة ألف نسمة نعلم الشطط وحجمه والمبالغة التي جاءت في النص المنقول حول عدد اليهود الذين قتلوا عام 70م.

والعقبة الخامسة أن جل من قاموا بالبحث حول تاريخ الشعب العبراني - اليهود قلة منهم من تصدى للبحث في التحقق من صدق ما أتى في أسفار العهد القديم من الناحية التاريخية،(لا بد من التنويه بأعمال الدكتور كمال الصليبي بهذا الميدان، ولكن كانت جل أعماله هو تفسير وإعادة قراءة للنصوص، فهو الأريب المتخصص في قراءة النصوص التاريخية، ولكنه لم يبحث كثيراً في صدق حوادثها تاريخياً بل قبلها كما جاءت) بل الغالب منهم سلّم بوجودها وراح يناقش بصدقها وفقاً لما يقبله المنطق والعقل وهناك فارق كبير بين البحثين ومثال على ذلك تاريخ اليهود العام للدكتور صابر طعيمة.

والعقبة السادسة أن المراجع التاريخية الفرعونية في زمن الألف الثانية والأولى قبل الميلاد لا تشير من قريب أو بعيد للعبرانيين أو للخروج من مصر لشعب عبراني إسرائيلي مما يصعّب موضوع البحث أكثر فأكثر، والسبب بسيط هو ضآلة هذه الجالية وهامشية وجودها وأهميتها على صعيد تاريخ مصر، هذا إن سلمنا جدلاً بوجودها، فيعقوب وسلالته لم يكونوا بأكثر من رعاة غنم وعددهم ليس بأكثر من خمس وسبعين نفساً فما هو الخطل الذي يشكلونه حتى يأتي التاريخ على ذكرهم، إنها أخبار عائلة هامشية الوجود والفاعلية لا يهتم بها سوى

من ينتمي إليها. ومما جاء في كتاب معالم تاريخ الإنسانية لولز في هذا السياق: «قصة استقرار أبناء إسرائيل في مصر واستعبادهم بها قصة عسيرة ومعقدة. وهناك سجل مصري يشير إلى نزول بعض الشعوب السامية بأرض مصر «جاسان» بأمر من الفرعون رمسيس الثاني، وجاء في هذا السجل أنهم لجأوا إلى مصر بسبب افتقارهم إلى الطعام. ولكن ليس هناك قط أي سجل مصري يتحدث عن حياة موسى وأعماله. ولم يصل لنا أي بيان تاريخي عن إصابة مصر بالطاعون وعن أي فرعون أغرق في البحر الأحمر. وتحتوي قصة موسى على قدر كبير من شذى الأساطير. ومن أبرز الحوادث فيها، حادثة تخبئة أمه له في تابوت من الحلفاء، وهي قصة لها شبيهة في أسطورة سومرية قديمة...»[1]

والعقبة السابعة أن معظم المصادر التاريخية المحترمة على الصعيد العلمي، عندما تروي تاريخ الشعب العبراني - اليهود القديم، لا تشير صراحة للقارئ بأنّ ما ترويه هو مما جاء في أسفار العهد القديم، إلا إذا تنبه القارئ للهوامش، والقليل من يفعل ذلك، فيختلط الأمر على القارئ العادي ويظن بأن ما جاء في هذه الكتب هو ما أثبته علم التاريخ بالوثائق الموثقة، والأمر ليس على هذا النحو مطلقاً.

والعقبة الثامنة هي أن الباحثين والمؤرخين لم يحرروا توطئة تسبق ما يكتبون عن تاريخ الشعب العبراني - اليهود القديم، يقومون فيها بدراسة علمية موثقة تبحث في تاريخ هذا المصدر الوحيد الذي سيعتمدون عليه منذ بداية ظهوره وصولاً للنص المتداول بين يدينا. لكن الآباء الرهبان اليسوعيين عند ترجمتهم ونشرهم للكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، قاموا بإنشاء مدخل قبل كل سفر أتوا فيه على ذكر بعض من تاريخه، لكن هذا المدخل داخله الخشوع الديني والارتباط الروحي المذهبي فيما يؤرخون له، مما يجعل الباحث المحايد حذراً في الاعتماد على ما جاء في هذه المداخل الشائقة.

(1) هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ج2، ترجمة جاويد، ط3، ص: 284، 285.

والعقبة التاسعة هي أن معظم الذين بحثوا في أسفار العهد القديم من العرب أو الغربيين هم رجال دين ملتزمون بإيمانهم بصحة النص الذي يبحثون فيه، وكان هدفهم في بحثهم هدفاً دينياً وليس بحثاً تاريخياً علمياً توثيقياً محايداً، مما زاد في صعوبة الاعتماد على ما توصلوا إليه من نتائج. وكمثال على ذلك ما جاء في كتاب المدخل إلى العهد القديم للدكتور القس صموئيل يوسف فبعدما يستعرض ما هناك من آراء حول من كتب العهد القديم يصل للقول: «. . . كان اختيار ثم وعد، فعهد فناموس. إنه تسلسل نعمة الله لشعب اختاره لذاته. مما جعل هذه الأسفار وحدة متماسكة حتى وإن تنوعت واختلفت الآراء حول أصل كتابتها. إنها سجل ضم بين صفحاته مواد هامة وثمينة ومتماسكة. إنه إعلان الله في التاريخ، الذي يشهد لاستجابة إسرائيل له وفشلها أيضاً في الاستجابة لإعلانات الله وأحكامه. كما يشهد هذا السجل عن قداسة الله التي تجعله يختلف عن كل البشر، ويجذب الإنسان إلى شخصه المبارك بمحبة ونعمة تفوقان كل إدراك بشري.»[1] وما أتينا عليه من النص كاف ليظهر مدى ارتباط الباحث د. القس صموئيل يوسف بالنص الذي يحاول أن يقدم دراسة له. وهذا الكتاب هو من المراجع القليلة النادرة في اللغة العربية التي قامت بدراسة وبحث شبه كامل حول تاريخ أسفار العهد القديم، ولكن الكاتب دائماً يميل إلى الموعظة الدينية في ختام بحثه، وبسبب من ارتباطه الديني تجرد بحثه من النتائج العلمية المحايدة، وهو أيضاً يدفع ببحثه نحو نتائج تتوافق مع المنطوق الديني الذي يلتزم به، مما يجعل الباحث الذي يريد أن يستقي منه نتائج علمية يبني عليها مجبراً على إعادة المراجعة والترتيب والتحليل والدراسة مرة ثانية للموضوع.

☆ ☆ ☆

(1) يوسف د. القس صموئيل، المدخل إلى العهد القديم، دار الثقافة القاهرة، ط 2، 2005، ص: 77.

وما أتينا على ذكره هو غيض من فيض من الصعوبات والعقبات التي يتعرض لها الباحث في الموضوع، ويكفي ما أشرنا إليه ولا نريد أن نستطرد بعد والحق فلقد أطلنا والموضوع فسيح وصالح لأن يكون موضوعاً لبحث مستقل.

☆ ☆ ☆

الفصل السابع

أسفار العهد القديم المصدر الوحيد لتاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم

إذاً البحث في تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم يؤدي كأمر لازب إلى البحث في تاريخ أسفار العهد القديم أو التاريخ المقدس كما توصلنا في إشكالية مصادر تاريخ الشعب العبراني ـ اليهود القديم، لأنه المصدر الوحيد لتاريخ هذا الشعب.

☆ ☆ ☆

«العهد القديم تسمية مسيحية للكتب المقدسة... وأول من استخدم التعبير «العهد القديم» هو ميليتس Melitos أسقف ساردس عام 180 م..... وأطلق اليهود على الكتب المقدسة: توراة، أنبياء، وكتوبيم (الكتب).» وتفصيلها وتفصيل أسفارها:

1 ـ كتب التوراة: تكوين ـ خروج ـ لاويين ـ عدد ـ تثنية.

2 ـ أسفار الأنبياء: أ ـ أنبياء أولون ب ـ أنبياء متأخرون.

أ ـ الأنبياء الأولون: يشوع، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، ملوك الأول، ملوك الثاني.

ب ـ الأنبياء الآخرون: إشعياء، إرميا، حزقايل ثم الأنبياء الأثنا عشر (هوشع ـ ملاخي).

3 ـ الكتب (الكتوبيم): مزامير، أمثال، أيوب، نشيد الأناشيد (الأنشاد)، راعوث، مراثي إرميا، جامعة، أستير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.»[1]

أما عن الزمن الذي استغرقته كتابة هذه الأسفار فهو يفوق الألف سنة ميلادية.[2]

واللغات التي كتبت بها أسفار العهد القديم هي العبرانية والآرامية واليونانية ولكن «تعد اللغة العبرية هي اللغة الأصلية لأسفار العهد القديم (الكتب المقدسة). ما عدا بعض النصوص في سفر دانيال وعزرا ونحمايا التي كتبت بالآرامية. أما مجموعة كتابات (طوبيا ـ المكابيين) فكتبت باليونانية. إلا أن معظمها ترجم إلى العبرية..... والكتابة الخطية الأصلية للعهد القديم، زمن ما قبل السبي، أي ما قبل 597 ق.م. تختلف عن الكتابة الخطية للعبرية المستخدمة اليوم، فكانت تشبه الفينيقية المكتوبة على قطع فخارية وقد كتبت بحروف عرفت زمن إرميا بأحرف لخيش، فكانت تشبه الكتابة الأثرية في سلوام (701 ق.م.) والتي على حجر موآب (850 ق.م.)... وأما عن موسى الذي قام بكتابة التوراة وهو الذي تربى كابن ابنة فرعون (خروج 2: 10) فلا يعرف بالتحديد الأسلوب أو الطريقة التي استخدمها في كتابته وعما إذا كانت هي الكتابة المصرية. وهل كانت تشبه اللغة السينائية الأولية التي أكتشفت في سيرابيط الخادم Serabite El-Khadim بشبه جزيرة سيناء، والتي يرجع العالم والباحث الكبير ألبرايت W.F.Albright تاريخها إلى عام 1500 ق. م. وهنا يرى بعض العلماء أن النبي موسى استخدم هذه اللغة السينائية وهذا غير مؤكد.

وكان للآرامية تأثير كبير في أسلوب الكتابة بالحروف المربعة العبرية

---

(1) يوسف د. القس صموئيل، المدخل إلى العهد القديم، دار الثقافة القاهرة، ط 2، 2005، ص: 31.

(2) المدخل.... ص: 17.

المعروفة. وظهرت أول طبعة للأسفار المقدسة بالأحرف المربعة عام 1477 م. وما زالت المخطوطة اليهودية الخاصة بالمجامع مكتوبة بخط اليد وبدون تشكيل.[1]

والأمر الآخر فإن النصوص العبرية القديمة هي نصوص ينقصها التشكيل والتنقيط، والكلمة العبرية تختلف وفقاً للتنقيط والتشكيل للحرف مما يسمح بوجود الغموض في النص ويسمح أيضاً بتطويع المعنى وفقاً لما يطلبه القارئ.

«من الأمور الهامة لفهم أي نص شامل هو الإلمام بطبيعة لغته ومعرفة جميع ما يتعلق بجوانب اللغة كنحوها وصرفها وخصائصها العامة والخاصة ثم الدخيل فيها والمستحدث.... فإذا طبق ذلك على نص العهد القديم في هذا الوقت فإننا نحس إلى أي مدى كانت صعوبته فهو لم يكن قد خضع بعد لنظام التقعيد النحوي، وتقسيم الجملة إلى أسم وفعل وحرف، وحتى على افتراض وجود فطرة لغوية عند هؤلاء القدماء فإنه في بعض الأحيان كان ينشأ اشتباه النص وغموضه في التوراة عن استبدال الحروف التي ينطق بها الإنسان بعضها مكان الآخر، وتعدد المعاني لحروف العطف والظروف حيث تستخدم الواو على السواء للربط والتمييز فتأتي معناها: و، ولكن، لأن، مع ذلك، حينئذ...»[2] وهذا أوجب وضع تفسيرات ترافق النص مساعدة لفهمه.

وتفصيل ذلك بعدما «انتهى رجال الدين اليهود من وضعهم تفسيراتهم لنصوص التوراة وتعليقاتهم عليها،..، وتتعلق التفسيرات بعقيدة اليهود عامة وبشريعتهم المدنية والدينية منها بخاصة.... وقد دونت هذه التفسيرات والتعليقات معاً في كتاب واحد يعرف ب التلمود، وهو يتكون من جزأين:

الأول وهو ال ميشنا، وقد وضع في نهاية القرن الثاني الميلادي، والثاني

---

(1) المدخل إلى العهد.... ص: 43.

(2) قنديل د. عبد الرزاق أحمد، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مركز بحوث الشرق الأوسط القاهرة، 1984، ص: 7.

باسم ال جيمارا، الذي تم وضع قسم منه خلال القرن الرابع ميلادي في فلسطين ويعرف باسم الفلسطيني أو اليروشليمي نسبة لمدينة القدس، وأما القسم الآخر ويعرف ب الجيمارا البابلي فقد وضع بصيغته النهائية خلال منتصف القرن السادس ميلادي. ويعتبر ال ميشنا بداية الأدب العبري الحديث، قياساً لنصوص التوراة، بينما كانت ال جميريين لغة تغلب عليها الآرامية».

«وهناك أسماء اشتهر بها العهد القديم، أهمها «التناخ» وهو اختصار للكلمات المكونة للعهد القديم: توراة، الأنبياء، الكتب.وكذالك يستخدمون مصطلح «المقرا» وهي تعني النص المقروء - في عباداتهم - وهناك مصطلح ثالث له صبغة علمية وهو «المسورت» وهو يعني النص المقدس المروي عن الأسلاف بالصورة التي أجمع عليها معظم طبقات الحكماء بعد أن محصوا هذه الروايات. ومن المهم أن نوضح أن «المسورت» لا تعني فقط نسخة العهد القديم التي ترجع إلى عزرا، ولكن يقصد من ذلك النسخة التي تم ضبطها بالحركات وتقسيمها إلى أسفار وفقرات ومؤدى هذا كله أن «المسورت» أصبحت النص المعترف به في صورته الكاملة، وذلك بعد أن مر بمراحل عديدة لتمحيص المرويات وتنسيقها بمعرفة العلماء لفترة طويلة امتدت حوالي ألف عام، منذ حوالي القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثامن الميلادي.»» (د. مصطفى كمال عبد الحليم، د. سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار الشامية..، ط: 1، 1995، ص: 15 و16)..

وخلال الحقبة الفاصلة بين زمن الانتهاء من وضع التلمود وبين وضع أول قواعد اللغة العبرية، يرجح بأنه قد تم تشكيل نصوص التوراة وتنقيطها.[1] وحدث ذلك بناء على التقليد المتوارث في الكنائس والمدارس اليهودية في نطق الألفاظ العبرية، وخلال هذه الحقبة أيضاً وضع القسم الأعظم من النقد الهامشي الذي يعرف ب ماسورا وأطلق أيضاً على نصوص التوراة التي أصبحت تعرف ب

(1) Kautzsch, E, Hebräische Grammatik, S. 3b - d.

النصوص الماسورية وقد تم ذلك بتوجيه حازم من الكتاب وبعناية دقيقه منهم أيضاً. وهكذا يكون علماء الدين اليهود قد حذوا حذو العرب بالإسراع في تنقيط أبجديتهم وفي تشكيل نصوص التوراة، تمهيداً لوضع قواعد لغتهم، وامتد زمن هذا العمل من حوالي منتصف القرن السادس ميلادي إلى بداية القرن العاشر للميلاد، في حين كان العرب قد أنجزوا ذلك خلال القرن السابع للميلاد. وهكذا سهل النحويون اليهود على علماء التوراة فهم نصوص الكتاب المقدس، عندما شرعوا بوضع قواعد لغتهم مع بداية القرن العاشر الميلادي ومكنوهم بذلك من البحث في فقه اللغة المقدسة أي اللغة العبرية وكان أوائل النحويين اليهود يهوداً عرباً واقتدوا بالنحويين العرب في وضع قواعد لغتهم. وفي اللغة العربية دون النحويان اليهوديان العربيان أنحويح الملقب ب أبي زكريا يحيى حوالي 1000 م. ويونا المعروف ب أبي الوليد مروان بن جناح حوالي 1030 م. دراستهم في اللغة العبرية وصرفها، ثم ترجم عدد كبير من هذه الدراسات إلى اللغة العبرية. واشتهر أيضاً أبراهم بن عزرا المتوفى عام 1167 م. وداود الجنحي المتوفى في عام 1235 م. بأعمالهم النحوية في العبرية، وقد استندا في انجازهما إلى أعمال النحويين السابقي الذكر.»[1]

أما من كتب هذه الأسفار المقدسة التي وصلت إلينا؟

ما هو مؤكد أنه لم يصل إلينا النص الذي يقال أن موسى قد كتبه، ولا نعرف بأي من اللغات قد كتبه كما جاء سابقاً، ولكن ما وصل إلينا هو نص أقل ما يبعد زمن كتابته هو ألف سنة عن تاريخ وجود موسى،هذا إذا ما أخذنا الترجمة السبعينية التي تمت في القرن الثاني قبل الميلاد على الأرجح، أما عن النص العبري فهو يبعد ألفين ومئتي سنة عن تاريخ موسى والنص العبري الرسمي المعتمد يبعد ما يقرب من 2750 عاماً عن ظهور موسى.

(1) سليمان د. توفيق، نقد النظرية السامية، ج 1، دار دمشق ط 1، 1982، البحث الأول , ص: 17 إلى 23.

أما عن النصوص العبرية فلقد جاء في الكتاب المقدس في نسخته المترجمة إلى العربية والتي قام أخيراً بهذه الترجمة الآباء الرهبان اليسوعيون أنطوان اودو، ورنيه لافنان René Lavenant، وصبحي حموي، وحملت إذناً بطبعها من النائب الرسولي للاتين الأب بولس باسيم في عام 1988 م والصادرة عن دار المشرق في بيروت عام 1991 حوت مدخلاً ودراسة مقتضبة عن تاريخ العهد القديم، هذا بالإضافة إلى شرح تاريخي مقتضب قبل كل سفر من الأسفار، ونحن سوف نعتمد على ما جاء فيها في تحديد تاريخ أسفار العهد القديم التي وصلت إلينا لما تعبر عنه من رأي رسمي من قبل رجال الكنيسة.

فماذا جاء في هذا المدخل المقدمة عن تاريخ أسفار العهد القديم باللغة العبرية؟.

إن أقدم مستند تاريخي وصل إلينا عن أسفار العهد القديم هو الأسفار القانونية الأولى من خلال النص المسوري ويشرحون لنا بأنه: «تطلق عبارة «النص المسوري «على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح، حين ازدهر في طبرية أشهر المسوريين وكانوا ينتمون إلى عائلة ابن أرشير. وأقدم مخطوط «مسوري» بين أيدينا نسخ فيما بين 820 ـ 850 م. بعد المسيح، وهو لا يحتوي إلا على التوراة. (إي نسخ في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث هجري ويحتوي على الأسفار الخمسة الأول وهي سفر التكوين، الخروج،الأحبار،العدد، تثنية الاشتراع).وأقدم مخطوط كامل، وهو مخطوط حلب، وقد نسخ في السنوات الأولى من القرن العاشر بعد المسيح.أما نسخ الكتاب المقدس العبري الحالية، فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في البندقية في السنة 1524 م. عن يد يعقوب بن حاييم.» (ص: 52) أما عن نصوص مغاور خربة قمران على البحر الميت المكتشفة في عام 1947 م. فيقول الآباء اليسوعيون أنها حوت «على ملفات أسفار مقدسة شبه كاملة وعلى ألوف من الأجزاء التي تركت في القرن الأول لعصرنا. فتبين من ذلك أن اليهود كانوا يتناقلون، على عهد يسوع، صيغ نصوص معظمها أسفار، غالباً تختلف

عن النص المسوري الأول . . . ولسوء الحظ لم تنشر نصوص قمران كلها إلى اليوم» (ص:54) والعهد القديم يروي تاريخ شجرة الشعب العبراني ـ اليهود في زمن يعود إلى ما قبل المسيح بأربعة آلاف سنة والنسخة التي لدينا تعود إلى زمن يبعد على الأقل ألفي سنة بعد زمن ظهور موسى هذا بالنسبة لنسخة حلب، أما بالنسبة للنسخة العبرية المعتمدة والتي صدرت في البندقية عام 1524 عن يد يعقوب بن حاييم فهي تبعد 2750 عاماً عن تاريخ ظهور موسى والخروج من مصر.

أما من كتب باقي أسفار العهد القديم سوى التوراة وعمّن صدرت؟

مقدمة الترجمة العربية السابقة تفيدنا بأن أسفار العهد القديم «صدرت عن أناس مقتنعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكاناً في التاريخ بتشريعه ومبادئه في الحياة الفردية والجماعية، وهي كلها تشهد على ما صنع الله بهذا الشعب وإليه، وتروي نداءات الله وردود فعل البشر (من تسابيح وشكر وتساؤلات).»[1] فهو إذاً ليس بكتاب محايد ولكنه كتاب ملتزم بقضية، وكتب من قبل أصحاب القضية. «وأسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم، ظل عدد كبير منهم مجهولاً، . . . . . قبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء، وشكل تنقيحات وتعليقات وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية. لا بل أحدث الأسفار ما هي أحياناً إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة.»[2]

☆ ☆ ☆

ونحن لا نريد أن نستطرد كثيراً في بحثنا هذا، ويكفينا ما أوردناه

(1) الكتاب المقدس العهد القديم، الترجمة العربية اليسوعية، دار المشرق، 1991، بيروت، المدخل ص: 29.

(2) نفس المصدر السابق ص: 30.

سابقاً، لكي نصل إلى نتائج هي التالية وفقاً لما يقننه المنهج العلمي للبحث التاريخي:

أ ـ في الدراسة الخارجية:

النص الذي بين يدينا لا يعود لشاهد على العصر ولكنه يعود إلى نص تناقل عبر التواتر وعبر أناس هم أصحاب شأن في مضمون النص لما لهم من مصلحة خاصة تعود لأمور ملتهم، فالنص الذي بين يدينا هو نص نقح وتعدل المرات عبر المرات عبر التواتر ولألفي سنة على الأقل حتى يتوافق وهوى الراوي والمروي لهم، فلا نعلم على وجه الدقة ما هو النص الذي حرر من منشئ النص الأول الشاهد على العصر، هذا إن كان وجد، على وجه الدقة العلمية بالإضافة إلى أنه على وجه الغالب النص مجهول الكاتب وهو يمثل هوى كاتبه.

ب ـ في الدراسة الداخلية:

النص وما حوى من رواية للأحداث التاريخية لا تؤكده رواية أخرى في مصدر آخر، هذا بالإضافة لما حوى من مبالغات، ومن تدخل لقوى خارقة إلٰهية تجعل الحدث حدثاً خاضعاً لقوى قاهرة ليست ببشرية، فينتفي وجود الحدث بالمفهوم الإنساني التاريخي، ووجود ما هو بشري ويصبح النص مزيجاً من الخيال المازج بين الإرادة البشرية والإرادة الإلٰهية التي يجعلها الكاتب تسعى للتوافق مع مصالح الإرادة البشرية الخاصة.

وكل هذه النصوص كتبت من أصحاب مصلحة يسعون لإثبات أمام النفس وأمام الغير بأنهم قوم متفوقون إن لم يكن في الواقع فليكن في الأسطورة المروية عن لسان الإلٰه، فهم وإن كانوا يقرون بأنهم كانوا عبيداً للفرعون لكنهم هم من أختارهم الله وباركهم ليكونوا «شعبه المختار» وإن بعد معصية، وأصبح اسمهم شعب إسرائيل الكلمة التي تعني «من تصارع مع الناس والله وتغلب».

ويكفينا أن نروي ما يروي الإصحاح الثاني والثلاثون من سفر التكوين

لحادث هام هو مصارعة يعقوب مع الله من الآي 23 إلى الآي 32 ولابد لنا من الإتيان على نصها لما تظهره هذه الرواية من خلفية نفسية لراوي هذا الحدث، تنسحب على مجمل أسفار العهد القديم، فهو يريد برواياتها أن يصبغ على يعقوب ـ إسرائيل ومن انحدر منه من الفوقية والتميز الذي لم يستطع الناس ولا حتى الله أن يلويها ويغلبها:

«وقام في تلك الليلة فأخذ امرأتيه وخادمتيه وبنيه الأحد عشر فعبر مخاضة يبوق. أخذهم وعبرهم الوادي وعبر ما كان له. وبقي يعقوب وحده.

فصارعه رجل إلى طلوع الفجر. ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس حق وركه، فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له. وقال: «اصرفني، لأنه طلع الفجر». فقال يعقوب: «لا أصرفك أو تباركني». فقال له: «ما اسمك؟ «قال يعقوب» قال: «لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس فغلبت» وسأله يعقوب قال: «عرفني اسمك» فقال: «لم سؤالك عن اسمي؟»، وباركه هناك.

وسمى يعقوب المكان فنوئيل قائلاً: «إني رأيت وجه الله إلى وجه، ونجت نفسي». «وأشرقت له الشمس عند عبوره فنوئيل، وهو يعرج من وركه. . . .» (تكوين: 32 ـ 23 إلى 32)

فهل هذا النص من التاريخ المقدس وما كتب فيه وفق ما جاء سابقاً هو مرجع يركن إليه ويعتد به لكتابة تاريخ وحقائق علمية؟

لهذا كتب ول ديورانت وهو من التابعية اليهودية في قصة الحضارة عبارة أن اليهود «لم يصنعوا تاريخهم، ولكن تاريخهم صنعهم» فهو خير من يعلم علم اليقين بكل ما جاء سابقاً.

وأخيراً حتى الميدان الذي كان مسرحاً لتاريخهم إن وجد حقيقة، يطالعنا د. كمال سليمان الصليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب بأن ما جاء في أسفار التوراة والعهد القديم من نص، وفقاً للتحليل اللغوي الذي قام به في

كتابه السابق لاسفار التوراة، ميدانه أكثر ما ينطبق على منطقة عسير في المملكة العربية السعودية وليس على فلسطين. يقول د. كمال سليمان الصليبي في كتابه التوراة جاءت من الجزيرة العربية: «لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف بالصدفة. كنت أبحث عن أسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربية في غرب الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك، وذلك في منطقة بطول يصل إلى حوالي 600 كلم وبعرض 200كلم، تشمل ما هو اليوم عسير والجزء الجنوبي من الحجاز.»[1]

وبعد كل ما أتينا على ذكره سابقاً هل نستطيع أن نقول أن ما جاء في أسفار العهد القديم التاريخ المقدس من رواية للأحداث التاريخية هي رواية لأحداث موثقة علمياً وثابتة تاريخياً وبعيدة عن الهوى تصلح لأن تكون مصدراً ومرجعاً موثوقاً وحيداً لرواية التاريخ؟

وهل ما يروى سنداً لما جاء فيها وحدها هو كتابة للتاريخ بصورة علمية!!.

أما تفاصيل هذا التاريخ المروي وفق ما جاء في العهد القديم فهي موجودة في كتب التاريخ العديدة وفي نص العهد القديم وهي طوع بنان القارئ ولا حاجة بنا لتكرارها هنا.

وأما ما هي تعاليم الديانة اليهودية فهناك العديد من الكتب ذات الاختصاص قديمة وحديثه تروي ما جاء فيها من تعاليم سامية تحض على مكارم الأخلاق وما هناك من مذاهب داخلها الكثير من المعتقدات التي أبعدتها عمّا أتى في الناموس، ودراستها بتفاصيلها ليس هنا ميدانها ويكفينا منها ما أوردناه سابقاً في الإشكاليات عنها.

☆ ☆ ☆

(1) الصليبي كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط: 6، ص: 27.

الباب الثالث

فصول ونصوص حول المسألة اليهودية

في خلال القرن التاسع عشر قام العديد من المفكرين بنشر عدد من الأبحاث حول المسألة اليهودية ونحن سنختار ذكر عدد منها على سبيل الإيضاح.

هناك كتاب لكارل ماركس «المسألة اليهودية» والذي نشر في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكتاب «الدولة اليهودية» للدكتور ثيودور هرتزل الذي نشر في عام 1896م وكان لهذا الكتاب أثر كبير على أنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، وكتاب «التفسير المادي للمسألة اليهودية» للكاتب أبراهم ليون وتعقيب مكسيم رودنسون وناثان وينشتوك.

وهناك كتاب حول المسألة اليهودية في القرن العشرين «دراسات يسارية في المسألة الفلسطينية» للدكتور صادق جلال العظم.

لكن أهم مرجع جمع العديد من الأبحاث حول تاريخ اليهود في العالم وأوضاعهم القانونية والثقافية والإجتماعية هو الموسوعة اليهودية التي نشرت في مطلع القرن العشرين والتي أتينا على ذكرها سابقاً، ونحن اعتمدنا على ما أتى فيها من أبحاث في الفصول التالية، فهي رغم أنها حررت من قبل كتاب يهود ذوي هوىً فهي مرجع لا بد منه لمن يتناول موضوع المسألة اليهودية.

☆ ☆ ☆

الباب الرابع

تاريخ الصراع اليهودي المسيحي منذ زمن السبي إلى زمن مؤتمر كامبل بانرمن عام 1907

حين فكرت في البحث في المسألة اليهودية في أوروبا وأميركا فيما قبل الحرب العالمية الأولى، إذ بعدها أخذت المسألة اليهودية منحىً آخر، وضعت نصب عيني الأمور التالية:

1 ـ أن أحاول قدر جهدي أن أشرح القضية من خلال النصوص المعتمدة بالصورة الرسمية من قبل أصحاب القضية، أي من خلال أوراق دفاع المُدعَى عليه أو المدعي. وهنا يجب أن ألفت انتباه القارئ بأن ما سيأتي من معلومات لاحقة مصدره دراسات يهودية، ويقتضي الإنتباه لذلك، رغماً أنها في غالب الأحيان، للإنصاف، هي علمية فيما تبحث، وموثقة أشد التوثيق، وهي مستوفية لما يفرض من شروط أكاديمية على الباحث بصورة عامة، لكنها لا تخلو من الشطحات الخاصة بالكاتب وهو ذو هوى، وللأمانة العلمية تركتها كما هي غالباً مع الإشارة أحياناً لما هناك من مبالغة.

2 ـ في الموضوع اليهودي حاولت جهدي بأن أترك اليهود بمفكريهم ومراجعهم يشرحون قضيتهم. والسبب انني أرى أنّ أكثر ما نحتاجه اليوم هو الدخول إلى التفكير اليهودي ورؤيته من الداخل لا كما نتوهمه. وهذا هو أول الطريق العلمي لإجتراح الحل للمحنة العربية في فلسطين المحتلة،

وفي أحيان كثيرة قمت بترجمة حرفية للنص من أجل الأمانة العلمية.

3 ـ أشرت إلى المرجع الذي أشار إليه الباحث الأصلي في الهامش، وهذا ما لم يفعله المرحوم الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته المشهورة وغير المسبوقة عن اليهود.

4 ـ لم أورد في نهاية كل بحث المراجع التي اعتمد عليها الباحث الأصلي لأنه يمكّن من يريد الأطلاع عليها العودة للمقال الأصلي الذي أشرت إليه.

5 ـ توجّب عليَّ في بعض الأحيان مزج الأبحاث مع بعضها في سبيل الإيضاح لكن دوماً أشير إلى المصدر المنقول عنه في مكانه.

☆ ☆ ☆

أخذت على نفسي الإلتزام بما سبق، ولم يكن الأمر سهلاً بأن أعرض الموضوع بوضوح وفقط من خلال ما سبق من التزام، ولكن أعتقد، ولا أجانب بعيداً عن الحقيقة، بأنني قد قربت كثيراً من الحصول على ما جهدت بكل قواي ومعرفتي المتواضعة للحصول عليه، وأتمنى بأن يكون هذا الجهد قد ساهم في سبيل المزيد من فهمنا العلمي للأزمة العربية في فلسطين المحتلة.

☆ ☆ ☆

المسألة اليهودية
أزمة عاشت ألفي سنة تبحث عن حل

بين يدي البحث

ترتبط المسألة اليهودية أو اللاسامية، أو المعاداة للجاليات اليهودية المستوطنة في مختلف أنحاء العالم، والتي احتد ظهورها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بصورة خاصة في أوروبا الشرقية، بتاريخ وجود جاليات اليهود في أوروبا عامة منذ ما قبل ظهور يسوع الناصري، وبعدها بتاريخ النزاع العقائدي بين كل من العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية منذ انفصال المعتقد الديني المسيحي عن الإيمان اليهودي الموسوي بنسخه للختان عن المؤمنين بالديانة المسيحية بموجب قرار صادر عن مجمع ما يسمى بمسألة إنطاكية، على أرض فلسطين أولاً، ومن ثم على الأرض الأوروبية بعدما انحنى أمام الصليب الإمبراطور قسطنطين الأكبر 272 ـ 337 م إمبراطور الدولة الرومانية.

☆ ☆ ☆

في البدء كانت المسألة في فلسطين بعد ظهور يسوع الناصري، ومطالبته باستعادة ملك جده الأعلى داود ودعوته لشعب إسرائيل إلى الإيمان به بأنه المشيح المنتظر الذي بشر به أنبياء اليهود السابقين في سفر دانيال، لكن الكهنة الفريسيين، والصادوقيين والكثرة في ذلك الزمان من اليهود الصادوقيين

والفريسيين والإسنيين والسامريين لم يؤمنوا به بل طلبوا ونالوا من الحاكم دمه وفق ما جاءت به الأناجيل. وبعد ذلك قام الحاخامون الصادوقيون، والفريسيون وأتباعهم من اليهود حيثما وجدوا بملاحقة أتباع يسوع الناصري وإيصالهم إلى الشهادة إن كان ذلك بالمستطاع، بسبب من تبشيرهم باللاهوت الجديد، الذي تأسس على المبادئ التي قننها بولس الرسول وبالعهد الجديد، وسط المجموعات اليهودية من الفريسيين والصدوقيين والإسنيين والسامريين في مرحلة بدء الدعوة. وبعد أن أصبح دين الدولة الرسمي الديانة المسيحية في زمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، انعكست آية الملاحقة.

☆ ☆ ☆

كانت في البدء المسألة اليهودية في أوروبا الغربية ومن ثم انتقلت برمتها إلى أوروبا الشرقية بعد إجلاء الجاليات اليهودية من أوروبا الغربية وكان أهم سبب وراء ذلك الاتهام بممارسة اليهود لطقس الدم Blood Libel، ومعه طمع الحكام بما كان يملكه اليهود من ثروة كبيرة؛ وكان بدء انطلاق الموضوع في أوروبا الشرقية عند سقوط مملكة الخزر في مطلع القرن الحادي عشر ميلادي وبعد ذلك استكملت وجودها إثر سقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس عام 1492م. وطرد اليهود من معظم أوروبا الغربية بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر.

☆ ☆ ☆

لعب كل من الفارق الإيماني العقائدي الديني بين المسيحية بعهدها الجديد، ودستور إيمانها الجديد، وغير المسبوق، واليهودية بعهدها القديم، وناموسها الكتابي الموسوي وشريعة التلمود وما تقتضيه من ممارسات للطقوس الدينية اليهودية خاصة، ومعها الدور الوظيفي التي كانت المجموعات اليهودية تلعبه حيث تقطن في أوروبا، دوراً رئيساً في نشوء الأزمة وتفاقمها عبر الزمن، وبعدها أصبحت أوروبا تلهث باحثة عن حل لها، فوقعت واليهود سوياً أخيراً

على الحل وصدرت المسألة اليهودية أخيراً إلى كل من المشرق العربي في فلسطين والعالم الجديد في القارتين الأميركيتين وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية، فاستراحت أوروبا مما كانت تعانيه، وقضت مضاجعنا والعالم معنا ولم يزالا إلى زماننا الحاضر، واليوم بعد زمن طويل أصبح لليهود دولة مستقلة على أرض فلسطين.



الفصل الأول

المسألة اليهودية في أوروبا الغربية

المسألة اليهودية منذ دعوة يسوع الناصري حتى زمن مجمع نيقية عام 325 م.

تطالعنا الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia في مادتها Jews in Europe تاريخ اليهود في أوروبا، والذي كتبه: Richard Gottheil M. Brann Joseph Jacobs بأن زمن بداية الوجود اليهودي في أوروبا من الأمور الغامضة. لكن هناك بعض الوثائق الثابتة بأنه في عام 163 ق.م. ايبوليموس Eupolemus، بن جون John ابن جسون Jason بن ايليعزار Eleazar، حل في روما كسفير لجودس مكابوس Judas Maccabeus ووقع على عقد صداقة مع الدولة[1]. وخلال خمس وعشرين سنة حل زائرون آخرون في روما ليسعوا نحو توسيع حلقة المؤمنين اليهود[2] وفي زمن القيصر سيزيرو Cicero كان هناك مزيد من الحلقات اليهودية في روما[3] لكن هذه الحلقات نمت باستمرار وفي زمن وفاة هيرودوس Herod's في 4 ق.م. كان عدد الذين يعتنقون الإيمان اليهودي

(1) (I Macc. viii).

(2) Valerius Maximus, i. 2, 3.

(3) Cicero, «Pro Flacco,» 28.

لا يقل عن 8,000 يهودي في روما وهم يشكلون الجالية اليهودية الآتية من القدس والإسكندرية إلى حاضرة أغوستس Augustus في روما[1].

☆ ☆ ☆

وفي بحث أخر في الموسوعة نفسها عن اليهود في روما Jews in Rome والذي كتبه: Joseph Jacobs يشير بأنه تواجد اليهود في مدينة روما منذ أكثر من ألفي عام مضت أي منذ ما قبل عهد قبل المسيح. ويذكر بأن التبادل التجاري بين كل من مدينتي روما والإسكندرية كان السبب الرئيس للحلول اليهودي في روما، حتى أنه من المحتمل بأن اليهود أنشأوا حياً لهم في روما في زمن يعود على ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد لأنه في عام 139 ق. م. قام The Pretor Hispanus النائب القنصلي هيسبنيوس بإصدار مرسوم بطرد كل اليهود من روما الذين ليسوا بمواطنين إيطاليين. وأثناء العقود الأخيرة من القرن الثاني قبل الميلاد.، بعد الحرب بين الإخوة Hasmonean من جهة وCæsar وPompey من جهة أخرى نمت في روما الجالية اليهودية بسرعة كبيرة. واليهود الذين أخذوا إلى روما كسجناء وعبيد بعد تهديم المعبد في أورشليم عام 130 م. إمّا افتدوا، من قبل أخوتهم في الدّين، أو أطلق سراحهم من قبل سادتهم الرومان، لما وجدوه عندهم من عوائد وطقوس معادية لهم؛ وهكذا استقر اليهود كتجار على الشاطئ الأيمن لنهر Tiber، ونشأ الربع اليهودي في روما. ونما وجود جاليات اليهود أيضاً في خارج روما، فكان هناك جالية تؤمن بالديانة اليهودية في كل من فينا، وغاليا، وسلتيكا في عام 6 م. وفي لوجدونوم Lugdunum في عام 39 م. وبولس الرسول the apostle Paul وعظ في الكنيس الأثيني، وفي الكنيس الكورنثي، وفي الكنيس السالونيكي، وهناك رسائل له لكل منها. وهكذا مع الأيام تنامى انتشار عدد الجاليات التي تؤمن بالديانة اليهودية في أنحاء أوروبا.

☆ ☆ ☆

(1) (Josephus, «B. J.» ii. 6, 1).

تميزت جاليات اليهود في أوروبا بذلك العصر بحسن التنظيم، فكان لهم بيوت للعبادة، ومكان خاص لدفن موتاهم، وتحت حماية القانون، كانت أعمالهم تسير بهدوء وسلام، واحترفوا الزراعة، وبعض الحرف الفنية مع التجارة. وفي عهد القيصر كركلا 188م. ـ 217 م. حصلوا على حقوقهم المدنية كمواطنين رومان عندما منح القيصر هذه الحقوق لكامل سكان الامبرطورية في عام 212 م.

ووصل هذا التسامح والعيش الهادئ إلى ذروته عندما قام القيصر قسطنطين الأكبر 272 م. ـ 337 م. Constantine the Great بانحنائه أمام الصليب، ومن خلال إعلان العفو في ميلان عام 313 م. الصادر عن القيصر قسطنطين الأكبر ممثلاً للقسم الغربي من الامبرطورية الرومانية المقدسة والامبرطور ليكنيوس Valerius Licinius Licinianus. 250م. ـ 325م. ممثلاً للقسم الشرقي من الامبرطورية الرومانية المقدسة والذي أعلن حرية المعتقد الديني وإسقاط العقوبات والملاحقة عن معتنقي الديانة المسيحية في أرجاء الامبرطورية الرومانية المقدسة، فلقد جاء في نص المرسوم: «... عندما وصلنا نحن قسطنتين أوغسطس وليكنيوس أوغسطس إلى ميلان محاطين بالرعاية والعناية، أخذنا نبحث كافة المسائل الخاصة بالصالح العام لرعايانا. من بين هذه المسائل التي تهم كثيرين وتعود بالنفع عليهم مسألة حرية العبادة. لذلك قررنا إصدار مرسوم يضمن للمسيحيين وكافة الطوائف الأخرى حرية اختيار ومباشرة العقيدة التي يرضونها..... وهكذا قررنا عن ثبات وتعقل ألا يحرم أي فرد كائناً من كان، من حرية اختيار المسيحية ديانة له، ولكل فرد الحرية في اختيار الديانة التي تناسبه، وبذلك نضمن استمرار تأييد الرب لنا بنفس الكرم والقوة التي تعودناها منه...»[1]؛ لكن هذا الوئام لم يدم طويلاً بل ما لبث أن

(1) عاشور د. سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، الأنجلو المصرية، 1986، ج1، ص: 697.

وصل إلى صدمة ونهاية مفاجئة عند قيام الكنيسة المسيحية بتأسيسها لدستور الإيمان غير المسبوق في الزمن الماضي، وذلك باشتراطها على أتباعها، الإعلان عن تبنيهم لهذا الدستور الإيماني، وإلا في حال رفضهم لهذا الدستور الإيماني، يبسلون عن الكنيسة، وتُحرم عنهم حقوقهم المدنية، وكان ذلك أحد مقررات المجمع المسكوني المنعقد في نيقية في عام 325 م. وبعدما أصبحت ديانة الدولة الرسمية هي الديانة المسيحية أصبح هذا الدستور وتبعاته له قوة ومفعول القانون العام.

☆ ☆ ☆

أما نص الدستور الإيماني المسيحي الصادر عن مؤتمر نيقية عام 325 م. فلقد جاء على النحو التالي:

«نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب ومن جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء ما في السماء وما في الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس. وتألم وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء (وفي المنار: وجلس عن يمين الآب)، وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات (وفي المنار: الذي ليس لملكه انقضاء). و(نؤمن) بالروح القدس. وكل من يقول أنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنه قبل أن يولد لم يكن، أو انه خلق من العدم، أو انه من جوهر يختلف عن جوهر الآب أو طبيعته، أو أنه مخلوق أو أنه عرضة للتغير والتبدل فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل من يقول هذه الأقوال»[1].

☆ ☆ ☆

(1) كساب الارشمندريت حنانيا الياس، مجموعة الشرع الكنسي، منشورات النور، 1985، ص: 43.

أما موقف الديانة اليهودية وحاخامات (حكماء) اليهود من دعوة يسوع الناصري فلقد بقيت على حالها عبر الزمن ومنذ ظهور دعوته ويتلخص بما رواه القديس متّى في إنجيله حين تحدث قائلاً:

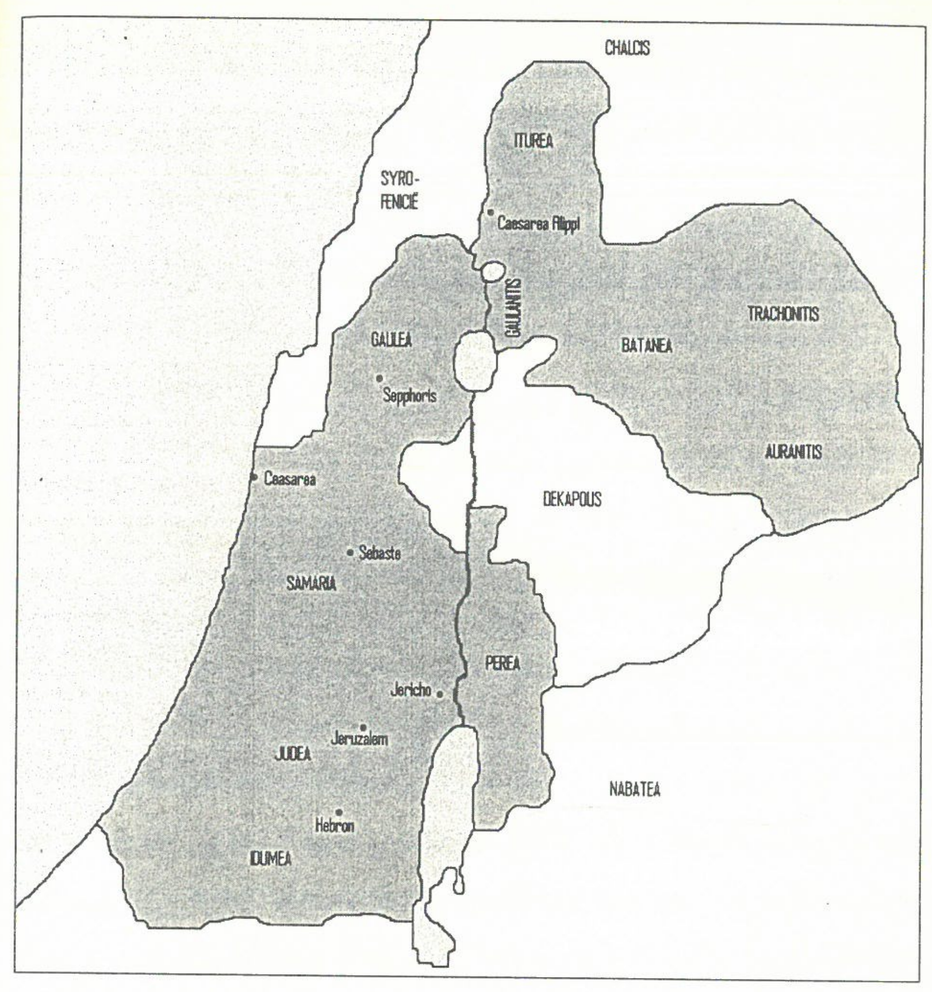
«ووضعوا فوق رأسه علة الحكم عليه كتب فيها: «هذا يسوع ملك اليهود» ثم صلب معه لصان، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال.

وكان المارة يشتمونه وهم يهزون رؤوسهم ويقولون: «يا أيها الذي ينقض الهيكل في ثلاثة أيام، خلص نفسك إن كنت ابن الله، فانزل عن الصليب». وكذلك كان عظماء الكهنة يسخرون فيقولون مع الكتبة والشيوخ «خلص غيره، ولا يقدر أن يخلص نفسه! هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. اتكل على الله، فلينقذه الآن، إن كان راضياً عنه، فقد قال: «أنا ابن الله»»[1].

☆ ☆ ☆

وأما عن موقف اليهود في القرون الثلاثة الأولى الميلادية من الدعوة المسيحية فهي تزخر بالصراع الدامي وبملاحقة الحواريين من رفقاء يسوع الناصري حتى الموت؛ فلقد سقط معظم تلاميذ يسوع الناصري شهيداً للدعوة، إما صلباً، أو قتلاً على أيدي السلطات وفقاً للملاحقات والوشايات اليهودية، وتم ذلك بصورة خاصة بعدما قبل دخول الوثنيين القلف في الدين الجديد وأقر نسخ الناموس الموسوي بالنسبة للختان؛ في روما سقط شهيدان عام 66 أو 67م. بطرس الرسول، الصخرة التي بنى عليها يسوع الناصري كنيسته، وصلب ورأسه للأسفل ورجلاه للأعلى وشاول المرتد أو بولس الرسول تم الإدعاء عليه في أورشليم من قبل اليهود ومن ثم سيق إلى روما عام 61 م. ومن ثم وجد في روما

(1) العهد الجديد، إنجيل متى: الإصحاح 27 ـ 37 إلى 43، الترجمة اليسوعية، 1991، دار المشرق، ط: 2.



فلسطين خلال حكم هيرودس الكبير وأولاده

مرة ثانية عام 66 أو 67 م. محكوماً عليه بالإعدام بالسيف وأعدم وسقط شهيداً أخيراً مقطع الهامة على عهد نيرون، واندراوس احتمل الشهادة في باترا في أخائيا، والقديسان الرسولان يعقوب ويوحنا ابنا زبدي ـ يعقوب من المرجح أنه احتمل في أورشليم الشهادة عام 44 على يد هيرودس أغريبا، أما أخوه الرسول التلميذ يوحنا الملقب بالحبيب فقد احتمل عذابات شديدة لأجل المسيح ونفي إلى جزيرة بطمس، وأما القديس يعقوب فإنه أيضاً احتمل الشهادة في سنة 62 م.

على عهد رئيس الكهنة أو الكاهن الأعظم حنان الذي حكم علية بالموت رجماً بالحجارة، . . . . . والسبحة طويلة.[1]

قبل زمن مجمع نيقية عام 325 م كانت المسيحية تعتبر أحدى المذاهب المتفرعة عن الديانة اليهودية، ولكن بعد مجمع نيقية عام 325م. أصبحت اليهودية ومن يعتنقها، بنظر الكهنوت المسيحي، خارجين ومبسلين عن الإيمان بإرادة إلٰه آبائهم بسبب رفضهم الإيمان بالثالوث الإلٰهي وبالعهد الجديد وبالطقس المسيحي. وهكذا بسبب من رفض اليهود اعتناقهم دستور الإيمان الصادر عن مجمع نيقية، درج خلفاء القيصر قسطنطين الأكبر على إصدار الحرمات ضد جاليات اليهود ودفعهم نحو المزيد من الوضع المنحدر اجتماعياً واقتصادياً. وهكذا بدأت هجرة أفراد من الجاليات اليهودية في أرجاء الامبرطورية الرومانية الشرقية إلى منطقة بولونيا وأوكرانيا وليتوانيا، بعد دعوة أمرائها لليهود وترحيبهن بالجاليات اليهودية فيها من أجل تحريك عجلة الاقتصاد فيها، وذلك بسبب أن اليهود الذين يؤمنون بالمعتقد الموسوي وفق ما جاء في كتب التواراة كانوا يرون أنه لم يحصل أي من التغير على العهد العقائدي الموسوي القديم إثر ظهور يسوع الناصري، وأن يسوع الناصري الذي أعلن أن نسبه يعود إلى جده الأعلى الملك داود وأعلن وفقاً لذلك أنه ملك لليهود ليس هو بالمشيح المنتظر الذي أتي على ذكره في سفر دانيال.

☆ ☆ ☆

(1) انظر سفر أعمال الرسل في الكتاب المقدس، العهد الجديد.

الفصل الثاني

المسألة اليهودية في أوروبا الغربية
حتى سقوط غرناطة في الأندلس عام 1492م

خلال العقود التالية لزمن دستور الإيمان المسيحي الصادر عن مجمع نيقية عام 325 م. ، من عصور الامبرطورية الرومانية، تتابعت ملاحقة جاليات اليهود، وهم الذين أصبحوا من غير المتمتعين بالحقوق المدنية كمواطنين من أهل البلاد وغير مشمولين بحماية القانون لمواطني الأمبرطورية، وتم المزيد من شرذمتهم، وقام رجال الكهنوت المسيحي، وخاصة المندوب الرسولي في ميلان بالمزيد من الضغوطات لتدمير العقيدة اليهودية. وأصدر القيصر سيودوس الثاني Theodosius II، بموجب قانون صادر بتاريخ 31 كانون 439 م، أمراً بنزع الحقوق المدنية عن السكان المعتنقي الديانة اليهودية، وأصبح بعدها اليهود خاضعين لقانون الأجانب Law of Aliens وبهذا القانون وضع القيصر حداً للممارسة الحرة للشعائر اليهودية، فحرموا من بنائهم للكنائس، وصعب من شروط امتلاكهم للعبيد، وحرمهم من الانخراط في سلك الدولة؛ وأصبح هذا القانون يعمل به في أرجاء مجمل أنحاء الدول المسيحية على مدى الألف وخمس مائة عام اللاحقة.

☆ ☆ ☆

أما عن قانون الأجانب هذا فلقد جاء في كتاب جي. إي. شرير Scherer J.E. المدعو:

«Die Rechtsverhältnisse der Juden in den Deutsch - Oesterreichischen Ländern» (Leipsic, 1901)

ما يلي: يقسّم التشريع الذي يتعلّق باليهود أثناء العصور الوسطى إلى مجموعتين، وذلك وفقاً لوجهتي نظر مختلفتين. تشمل المجموعة الأولى القوانين التي تنظر لليهود كأجانب يعتنقون مذهب مغاير للمذهب الرسمي للدولة مما يحتم على الأخيرة حماية نفسها ومعتقداتها من انتشار وتطور المذهب المناقض لمعتقداتها، ومنح هذا التشريع اليهود تسامحاً محدداً في الأمور الدينية، لكنه حمى حياتهم، وحريتهم، وملكيتهم، لكنه قيد جدا حقوقهم المدنيةَ. هذا المبدأ نجد آثاره محسوسة في زمن روما الوثنية، وزمن الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الجرمانية.

أما وجهة النظر الثانية من مجموعة القوانين فهي تستند على وجهة النظر في أن اليهود أعضاء من أمة أجنبية، ووفقاً لذلك فهم يعاملون ويعتبرون من الأجانب الغرباء. ووفقاً لقانون توتوني Teutonic law فإن الأجانب الغرباء لا يشاطرون المواطنين في الحقوق التي تمنحها الأمة لمواطنيها؛ وهكذا فهم معرضون للطرد خارج البلاد التي يستوطنون فيها في أي لحظه، وما بحوزتهم لا يعتبر ملكاً لهم ولكنه ملك للسلطة المتمثلة بالملك أو القيصر ويمكن للسلطة أن تسترده منهم في أي لحظه.

لكن هذه الحقوق بالملكية من الممكن أن تضمن عبر براءة خاصة يمنحها الملك فقط وينتهي مفعولها بانتهاء عهده. مثل هذه القوانين كان اليهود يخضعون لها في كل من ألمانيا، في إمبراطورية Carolingian، وفي أكثر أجزاء النمسا، وفي أراجون، وقشتالة، والبرتغال، وإنجلترا، وفرنسا، وجنوب إيطاليا حتى القرن الثلاث عشر أو الرابع عشر لأن بعد هذا الزمن كان قد تم طرد اليهود من معظمها.



لم تتأثر الامبرطورية البيزنطية كثيراً بالغزوات التي كانت تشنها عليها القبائل المجاورة. وكانت شرائع جوستنيان Justinian، التي حرمت الملحدين، وغير المؤمنين بالعقيدة الكنسية من حقوقهم المدنية، كفيلة بان تجعل حياة جاليات اليهود صعبة قدر المستطاع. وكان القانون الخاص للإمبراطور البيزنطي قسطنطين زيودوس Constantine and Theodosius قد جدد هذا الوضع بمزيد من الصعوبات، وحرم جاليات اليهود من الظهور العلني في المجتمع. وفي خلال القرن الثامن والتاسع الميلاديين، وخلال حروب الإيقونات، عانت جاليات اليهود في الامبرطورية البيزنطية الكثير، مما دفعهم للهجرة نحو البلاد المجاورة في كل من بلاد التتار،الذين بدأوا بالظهور على المسرح الدولي، ووجدوا أيضاً ملجأ في الحوض السفلي لمنطقة الفولغا وشمال شواطئ منطقة البحر الأسود عند قبائل الخزر. Chazars. الذين فيما بعد اعتنقوا الديانة اليهودية مع ملكهم في القرن الثامن الميلادي 730م. أو740 م. على الأغلب وفق غالب المصادر.

☆ ☆ ☆

وفي حين استمرت الامبرطورية البيزنطية تدافع عن وجودها في وجه الغزوات التي كان يشنها جوارها عليها من التتار ومن الأتراك، وهم الذين بدأت قواهم في التصاعد، سقطت الامبرطورية الرومانية الغربية فريسة للبرابرة. ولم تعانِ جاليات اليهود في الامبرطورية الرومانية الغربية بسبب من إيمانهم، هذا إذا استثنينا القانون الخاص الصادر من القيصر المسيحي الأول الذي بقي ساري المفعول، إلى زمن بدء القرن التاسع الميلادي، حيث صدر عن الكنيسة الشرائع الكنسية التي تنظم علاقة المؤمنين مع الملحدين، وشملت هذه الشرائع تحريم العلاقة بين المؤمنين المسيحيين واليهود، فخلقت بذلك شرخاً بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية لا سبيل إلى اندماله.

☆ ☆ ☆

أجبرت الكنيسة على السماح لرعاياها بمعاملة اليهود وذلك لسبب الحاجة للاقتراض فلقد كانوا يملكون كتلة كبيرة من النقود، فسمحت للمؤمنين بالاقتراض من غير المؤمنين بالديانة المسيحية بسعر فائدة قانونية محددة، وهكذا عاد لجاليات اليهود تأثيرها الفاعل على المجتمع، لكنهم بقوا منعزلين على نفسهم منغلقين في ثقافتهم الخاصة داخل مجتمعهم المغلق. وهكذا ارتبط وضع جاليات اليهود في أوروبا مداً، وجزراً، وفقاً للأوضاع المحلية الخاصة في كل من البلدان التي كانوا يحلّون بها.

☆ ☆ ☆

أما في شبه الجزيرة الأيبيرية، فلقد عاشت جاليات اليهود منذ زمن بعيد بسلام خلال عصور طويلة، إلى الزمن الذي تكسلك فيه الملك فيسيجوزيك Visigothic وشاء أن يفرض على رعيته الدين الجديد، مما أجبر جاليات اليهود على ممارسة التقية أملاً بانحسار هذه الموجه عما قريب، أي إعلان الإيمان بالديانة المسيحية بالعلن وممارسة الديانة اليهودية بالسر، لكن ما سنه من شرائع قاسية تنص على أن من يتعمد، لا بد له من أن يستمر بإيمانه الصادق تجاه دينه الجديد؛ فكان هذا السبب الذي دفع بجاليات اليهود الأسبان لمساعدة المسلمين حين فتحهم لبلاد الأندلس، هرباً من هذا الاضطهاد وإنهاً له.

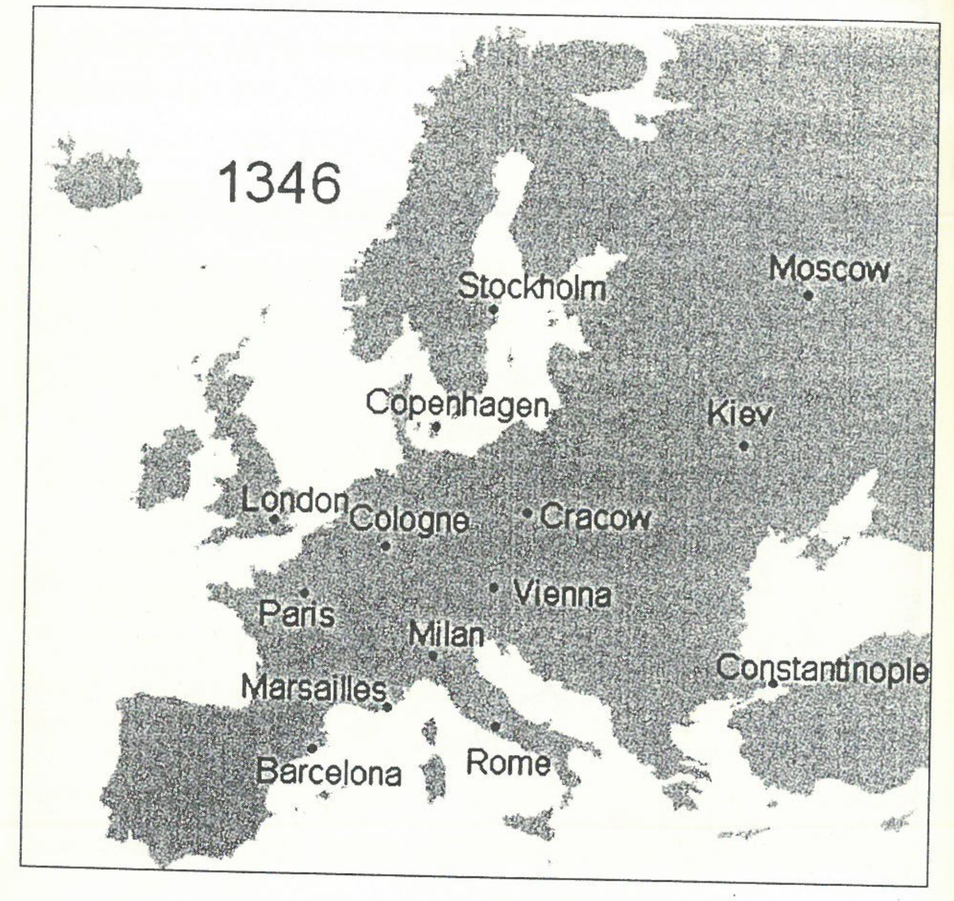
☆ ☆ ☆

أثناء الحملات الصليبية «الفرنجه» على الشرق العربي، عانى اليهود في أوروبا الغربية من محن عديدة بسبب تحميلهم جرم مقتل يسوع الناصري منذ ألف عام سبق من جهة، ومن جهة أخرى اتهامهم بخزي الروح القدس، المضيف، الذي تمثل بتكريم جسد المسيح، واتهامهم بممارسة طقس الدم السابق الذكر، وهكذا في خلال الحملة الأولى عام 1096 تم تدمير كامل لعدد من المجتمعات اليهودية على الرين والدانوب، وفي خلال الحملة الثانية عام 1147 عانى يهود فرنسا وبصورة خاصة في عهد فيليب أغسطس الذي عاملهم بمنتهى القسوة، وهو أيضاً الذي تم في عهده إعداد الحملة الصليبية الثالثة التي

كان زمانها في عام 1188م.، وفي الجزر البريطانية بعد محاكمات مشينه لليهود، بسبب اتهامهم بممارستهم لطقس الدم، تم طردهم منها في عام 1290م.، ولم يعد لهم من وجود فيها إلا بعد ثلاث مائه وخمس وستين عاماً، حين سمح لهم بالسكن فيها مجدداً بعد أن دخلوها تحت ستار التقية Maranos هرباً من اسبانيا ومن هولنده.



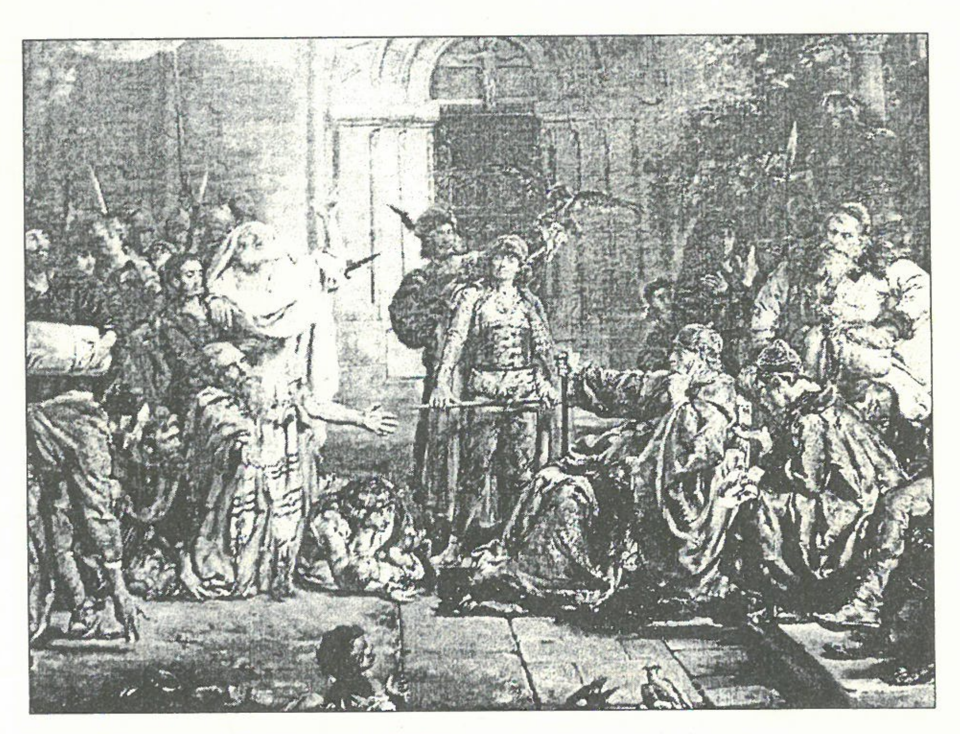
وفي عام 1340 م. اهتاج الطاعون خلال أوروبا Black death، وسادت إشاعة بأن سبب هذا الداء هو تسميم جاليات اليهود لآبار المياه. ووفقاً لقرار من



انتشار وباء الطاعون في أوروبا عام 1946

محكمة الاستئناف، وهي الوحيدة التي اعتبرت نفسها حاميهم المعين، طبقاً للمفاهيم التاريخية، أعلنت المحكمة أن «إمبراطور الامبرطورية الجرمانية.» هو الوريث القانوني للأمبرطور الروماني تيتوس، الذي أكتسب جاليات اليهود لملكيته الخاصة خلال دمار الهيكل خلال القرن الأول الميلادي، وهو الذي تمتع بحقوق الامتلاك والحماية على كل جاليات اليهود في الإمبراطورية الرومانية السابقة.

وهكذا أصبح اليهود من التابعين،أقنان، لملكية الامبرطور الجرماني «servi cameræ» (تابعين للملك)، وهو من الممكن أن يهبهم وأملاكهم إلى الأمراء أو إلى المدن الحرة. أما لماذا لم يتم تحطيم اليهود تماماً فلقد كان بسبب ظرفين وفق ما جاء في الموسوعة اليهودية: (1) الحسد، والارتياب، والطمع عند الأمراء والناس كل منهم نحو الآخر، (2) صبر اليهود على الاضطهاد والمعاناة التي حلت بهم.



استقبال اليهود في بولونيا عام 1096 للفنان جان ماجيكو

في ذاك الزمن من القرون الوسطى، كانت الصورة كئيبة في كل مكان من الغرب المسيحي، بالنسبة لوضع جاليات اليهود، فهم طردوا من إنجلترا في عام 1290م. ، بعدما حكموا بسبب تهمتهم بخطف الأطفال المسيحيين وذبحهم لأخذ دمهم Blood Libel لمزجه مع الخبز الفطير بدون خميرة من أجل طقوس الفصح تبعاً لطقس بعض الطوائف اليهودية، (وهناك حادث ثابت مماثل مشهور في القرن التاسع عشر حصل في دمشق مارس فيه حاخام دمشق موسى أبو العافية ومعاونيه ذبح القس توما الكبوشي وخادمه إبراهيم عمار من أجل أخذ دمهم لأجل طقس فطير الدم (سليمان سليم البواب، الأطفال ولائم دموية على مائدة اليهود، المنارة، 1996 م) كما سجل العديد من حوادث فقدان الأطفال في أحياء اليهود في كل من دمشق وحلب وكان الأهل يحذرون أولادهم من الذهاب إلى وادي أبو جميل في بيروت لنفس السبب ومن الذهاب إلى باب شرق في دمشق. (انظر فصل طقس الدم)، وأصبحوا خارج فرنسا في عام 1394 م.، وخارج المناطق العديدة ألمانيا، إيطاليا، وشبه الجزيرة البلقانية بين 1350 م. و1450م.، وبعثروا بكل الاتجاهات، وهربوا إلى المكان المفضل لديهم في الممالك السلافية الجديدة، حيث كان حكامها محسنين تجاههم، وإلى بلاد الأندلس المسلمة.

☆ ☆ ☆

وعن تفاصيل أحداث الجزر البريطانية فلقد جاء في موسوعة الويكيبيديا Wikipedia في مادة Blood Libel طقس فطير الدم التفصيل التالي: أن يهوداً من Norwich اتهموا بالقتل الطقسي بعد ما، وجد ولد هو وليام من Norwich، ميتاً بجروح من أثر الطعن....... وفي عام 1189 م.تعرض الوفد اليهودي الذي يحضر تتويج ريتشارد قلب الأسد لهجوم من قبل الحشد الجماهيري. ومذابح اليهود في لندن ويورك تلتها بعد زمن قريب. في 6 شباط 1190، كل يهود Norwich وجدوا مذبوحين في بيوتهم، ماعدا بضعة من الذين وجدوا مأوى في القلعة؛ وسيأتي تفاصيل ذلك حين الكلام عن انجلترا؛ اليهود لاحقاً طردوا من كل إنجلترا في عام 1290 م.، وليس مسموحاً لهم بالعودة حتى عام 1655م.

عندما استدعاهم كرومويل من مدينة أمستردام في هولنده. في عام 1171م. وفي Blois كان موقع إتهام بجريمة Blood libel قتل بطقس الدم ضد جاليته اليهودية والذي أدى إلى مقتل 31 يهودياً (بحسب البعض 40) وبأن يحرقوا حتى الموت. وجاء أيضاً تفصيل عن كيفية ممارسة طقس الدم الذي يمارس أثناء القتل ليس هنا مكان إيراده لما يحتوي من وصف مقزز.

☆ ☆ ☆

وكما في البلدان السلافية، أيضاً في بلاد الإسلام وجد اليهود المضطهدون في أوروبا في أغلب الأحيان استقبالاً إنسانياً، خصوصاً من القرن الثامن فصاعداً في شبه جزيرة Pyrenean أيبيرية. لكن بحدود القرن الثالث عشر، لم يعد العرب يستطيعون مقاومة حقيقية للقوة المتقدمة للملوك المسيحيين؛ وببدء سقوط السلطة السياسية العربية عن شبه الجزيرة الأيبيرية، رحل اليهود إلى شمال إسبانيا وجنوب فرنسا، حاملين معهم العلوم والثقافة العربية، ناهضين على نقلها للغات الغرب بحماس لا ينقص عن حماسهم نحو علوم التوراة والتلمود.

☆ ☆ ☆

لكن التأثير المتزايد لسلطة الكنيسة حشرهم بشكل تدريجي خارج هذا الموقع المفيد. في بادئ الأمر تمت المحاولة لربحهم إلى المسيحية من خلال الكتابات والمناقشات الدينية؛ وعندما فَشلت هذه المحاولات تم تحديد لحقوقهم المدنية، فألزموا بالعيش في أحياء منفصلة عن المدن، ولبس ووضع الشارات المذلة على لباسهم.

بذلك جعلوا فريسة لازدراء المواطنين. في عام 1391 م. وفقاً للموسوعة اليهودية، وعلى أثر هياج لغوغاء متعصب قتل ثلاثون ألف يهوديا في أشبيلية لوحدها (درج اليهود على المبالغة بذكر الأرقام التي تعود لنكباتهم والمرجع يهودي)، مما أجبر العديد منهم،من أثر خوفهم، على اللجوء إلى مأوى

المعمودية، وبالرغم من أنهم واصلوا ممارسة التقية، وفي السر حافظوا على شعائر آبائهم، لكن السلطات ما لبثت أن استأصلت هؤلاء المسيحيين المدعين والمسمِّين Maranos. رميت الآلاف منهم في السجون، وتم تعذيبهم وحرق بعضهم أحياناً كما جاء في الموسوعة اليهودية، حتى تم تنظيف كل إسبانيا من المتشككين. وبسقوط غرناطة في عام 1492 م. القلعة المغربية المسلمة الأخيرة في أيدي المسيحيين، أجبر عدة مئات من الآلاف من اليهود على ترك البلاد التي كانت بيتهم لـ 1،500 سنة. هرب العديد منهم إلى شبه الجزيرة البلقانية، حيث قبل عقود قليلة انتصر محمد الفاتح العثماني على الإمبراطورية البيزنطية، وسقطت بفتحه القسطنطينية عاصمة البيزنطيين بأيدي المسلمين الأتراك.

الدولة	عام 1300م		عام 1490م	
	عدد اليهود	عدد السكان	عدد اليهود	عدد السكان
فرنسا	100,000	14 مليوناً	20,000	20 مليوناً
الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضمن ذلك سويسرا وهولندا	100,000	12 مليوناً	80,000	12 مليوناً
إيطاليا	50,000	11 مليوناً	120,000	12 مليوناً
إسبانيا	150,000	5,5 مليون	250,00	7 ملايين
البرتغال	40,000	600 ألف	80,000	مليون واحد
بولندا	5,000	500 ألف	30,000	مليون واحد
المجر	5,000	400 ألف	20,000	800 ألف
المجموع	**450،000**	**44 مليوناً**	**600 ،000**	**53 مليوناً**

نقلاً عن الموسوعة اليهودية للدكتور عبد الوهاب المسيري الجزء الرابع ص: 198 (لكنه لا يشير إلى المرجع الذي نقل عنه هذه المعلومات وهناك تضارب بين المراجع حول أعداد اليهود في العالم في ذلك الزمن).

الفصل الثالث

المسألة اليهودية في أوروبا الغربية
منذ عصر النهضة حتى مطلع القرن العشرين

في مقال عن اليهود في أوروبا Jews in Europe في الموسوعة اليهودية كتبه : Richard Gottheil M. Brann Joseph Jacobs ، جاء فيه :

تزامن عصر نهضة الفن والعلم في أوروبا مع زمن سقوط الإمبراطورية البيزنطية؛ وفن الطباعة المكتشف حديثاً سخر من القوانين المسنة التي حاولت استعباد الفكر. ففي نفس السنة التي طردت منها إسبانيا المتشككين (اليهود الذين أعلنوا عمادتهم واستمروا بالسر على دينهم اليهودي Maranos) ظهرت شواطئ القارة ألأميركية في الأفق. عصر الاختراعات والاكتشافات جَلب معه تغييراً هائلاً في الأفكار والعقول. فقط اليهود بقوا يعيشون في ليالي العصور الوسطى. هؤلاء المشردون من بيوتهم حشروا من غرب أوروبا وأبعدوا نحو شرق البحر المتوسط. كان لا بد لهم من أن يطلبوا اللجوء في عالم الصقليين والأتراك حيث كان يعيش بسلام فريق آخر منهم يحمل نفس المعتقدات. لم تكن ظروفهم في بادئ الأمر غير مناسبة حيث عاشوا من جديد. فهم وصلوا حيث حلوا إلى المناصب العالية في حقل السلطة، على الأقل في منطقة تركيا. دون يوسف نازي أصبح دوق ناكسوس Naxos؛ وسليمان أشكنازي كان سفيراً لتركيا في جمهورية فينيسيا.

وفي بولندا، كان اليهود وصلةً لا غنى عنها بين طبقة النبلاء المحبة للبهاء والفلاحين من العبيد؛ وأصبحت التجارة والصناعة في أيديهم كلياً بعدما حلّوا فيها. ولما لم يجدوا حضارة متقدمة على حضارتهم حيث حلّوا في بيوتهم الجديدة، بقي غذاؤهم العقلي الوحيد من أدبهم الوطني التراثي، وهم إما تابعوا الدراسةَ الأحادية الجانب للتلمود، التي مارست محاولة الفهم له فقط، أو غاصت في أعماق الأعماق الغامضةَ للقبالة. وبولندا، وفي منتصف القرن السابع عشر جاء اضطهاد اليهود في تركيا عاملاً دافعاً إلى مساعدة الحالمين. كارثية كانت على اليهود المحاكمات التي جلبت على اليهود البولنديين والليثوانيين خلال hetman Chmielnicki القوقازيين (1648) وبالحروب السويدية (1655) وطبقاً للتقارير الجديرة بالثقة، مئات الآلاف منهم قتل في هذه السنوات (يجب التنبه بأن المرجع يهودي).

☆ ☆ ☆

شاب موهوب من Smyrna، Shabbethai zebi نجح في تقديم نفسه على أنه المسيح المنتظر الموعود وفق سفر دانيال. الأتباع العديدون احتشدوا من حوله، واستمروا في وهمهم حتى بعدما تبنى الإسلام ديناً من خلال خوفه من إنزال عقوبة الموت به وفقاً لتهديدات السلطان العثماني. كان السبب الغامض وراء جمعه للأتباع من حوله هو في الحقيقة تواضع المستوى الفكري لأولئك اليهود الذين تمتعوا بالحرية الثقافية التي تفوق ما كان لدى إخوتهم في بولندا فأسلموا أنفسهم إلى أحلام اليقظة القبالية.

إثر سقوط شبه الجزيرة الأيبيرية بأيدي المسيحيين لجأ بعض الهاربين من اليهود من إسبانيا، وألمانيا إلى إيطاليا، وأسست في بولونيا أحياء وجاليات جديدة بجانب الأحياء والجاليات السابقة.

☆ ☆ ☆

هنا أحيوا فجر الفترة الجديدة سوية مع اليونانيين الذين هربوا من

Constantinople حاملين معهم كنوز العصر القديم الكلاسيكي. قام رجال الدين في إيطاليا وألمانيا للمحاربة ضد دعوة التنوير، ووجهوا هجماتهم بصورة رئيسية ضد الأدب والتراث اليهوديين. اليهود المرتدون إلى اعتناق الديانة المسيحية دفعوا بالدومينيكيين لينشروا افتراءات خاطئة تتعلق بالتلمود. وفي دفاعهم على هذه الهجمات قام الإنسانيون الألمان متحدين كجسم واحد للدفاع عن التراث اليهودي الديني القديم. وفي هذه الأوضاع ظهر اليسوعيون إلى الوجود فكانوا المدافعين الأكثر إخلاصاً للكنيسة في الوجود. كرسوا جهدهم للمعركة ضد التلمود في إيطاليا، وبحدود 1553 محرقة أضاءت بالنار المشتعلة من خلال حرق الكتب العبرية. موجهة من قبل المرتدين اليهود إلى المسيحية، مجلس ترينتي الكنسي نفى عن التلمود احتواءه على أي نص موضوعي. وأجبر الجواسيس العديدين للاستقصاء عن اليهود، اليهود المتعلمين، على ممارسة السرية والنفاق Maranos. الدراسة الوحيدة غير المحرمة والتي سمح لهم بها كانت القبالةَ، وهي التي اعتقد اليسوعيون خطأ بأنها أفكار مسيحية. هكذا في هذه التربة نشأ الاستعداد للاعتقاد في الحالم شابيتاي زيبي Shabbethai zebi.

الميل لدراسة مذاهب باطنية انتشرت في ذلك الوقت حتى بين اليهود الذين أسسوا الجاليات الجديدةَ في الولايات البروتستانتية على شواطئ بحر الشمال تحت الحماية الهولندية والإنجليزية، هذه الروحانية الجديدة أثرت على اليهود الألمان بقوة، الذين نتيجة للخطأ المؤمن بالخرافات هبطوا إلى مدارك الجهل الأعمق، في الوقت الذي كانوا فيه يترقبون نهضة سريعة بعد آلام حرب الثلاثين سنة. العقيدة اليهودية حفظت فقط عندما شعاع التنوير أشرق بعد ليل دامس. Shabbethai zebi شاباي زيبي كان ما زال حياً عندما طُرِد اليهود من ڤيينا (1671). النائب فريدريك ويلهيلم من Brandenburg سمح لهم بالاستقرار في برلين، وحماهم بيد قوية من الجراح والافتراء. حتى ذلك الزمان كان اليهود يخضعون لنظام ضريبي مستبد، ولتعليمات ضيقة الأفق؛ لكن عقولهم المنفتحة على كل الاحتمالات لم تستطع أن تبقى لمدة طويلة مغلقة خارج ميدان التنوير

المتزايد. للمرة الثالثة ظهر موسى جديد في وسطهم، لقيادة شعبه من الظلام للإضاءة، وقيادتهم من العبودية إلى الحرية.

☆ ☆ ☆

ترجم موسى ماندلسون Mendelssohn التوراة إلى اللغة الألمانية عوناً لأخوته في الدين في الإطلاع على النص الأصلي لتعاليم دينهم، وهكذا بترجمته للتوراة هدم الحائط الفَاصل بين اليهود الألمان وباقي المواطنين الألمان. عند نهاية القرن الثامن عشر ساهم اليهود بجزء نشيط في حقل التعليم ونشر الحضارة في ألمانية. وجهوا شبابهم نحو الدراسات العلمانية، وهذا لم ينجز بدون كفاح حاد داخل المجتمع. لصقاً بحركة النهضة التقليدية من مثل هولدهيم وجيجر وقف معارضون مدافعون عن التقليد أبطال مثل سامسن رافائيل هيرش، وهم الذين في الأمور الدينية لم ينحرفوا قيد شعرة عن مراعاة التقليد، في حين زكرياس فرنكل حاول ردم الهوة لموقع متوسط فيما بين الإثنين. المجالس الربانية اليهودية (1844 ـ 46) والمجامع الكنسية (1869 ـ 71) لم تكتسب أي تأثير موثوق. لكن التغيير في أوروبا الغربية فرض نفسه بشكل تدريجي. واليوم كل خطب الوعظ لرجال الدين المتعلمين أصبحت تتلى باللغة المحلية التي يتقنها من يستمع إليها.

وهكذا اليهودية ساهمت بحصتها في الحضارة. في أمريكا الشمالية وفرنسا لمس كم هو مفيد الاستعمال لكل الإمكانيات المتاحة. تبنت بروسيا نفس الرأي عندما منحت في عام 1812م اليهود حق المواطنة الكاملة. ومن خلال انتشار الأفكار الجديدة، في الولايات الدستورية لأوروبا تم في منتصف القرن التاسع عشر نشر المساواة السياسية بين كل المواطنين بدون أي اعتبار للاختلاف في الاعتقاد الديني.

ماشى التطوير العقلي لليهود الاعتراف بهم وبحقوقهم المدنية، وعلم اليهودية كان مؤسسه ليوبولد زنز 1794 ـ 1886. وأصبحت مدينة برلين نقطةَ

بداية للعلم الجديد، وهي التي نجحت في إعطاء مؤسسة اليهودية الحديثة قاعدة صلبة.

على الرغم من الحقيقة بأن المساواة السياسية ضمنت لليهود في ثورات 1848، الأغلبية منهم بقيت تعيش خارج الميدان الذي تسود فيه الأفكار التحررية. ورغم بعض التسامح الذي شهده عهد أليكساندر الثّاني في روسيا لكن على اثر اغتياله في (مارس/آذار 13، 1881) شهد اليهود في القيصرية الروسية وضعاً صعباً، وحالة اليهود الروس في نهاية القرن التاسع عشر كانت أسوأ تقريباً مما كانت في بدايته. كان هناك نفس المعاناة والوضع في رومانيا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بل حتى إن العيش في تلك البلاد أصبح لا يحتمل ومستحيلاً، من خلال ما سن من قوانين خاصة تعود لليهود، على الرغم من الحقيقة بأن الكونجرس في برلين، الذي أعطى الحكم الذاتي إلى رومانيا، وضع شرطاً يضمن فيه حق منح المساواة فيما بين كافة المواطنين الرومان بصرف النظر عن معتقدهم الديني. حتى في البلدان الأوروبية حيث وجدت المساواةَ السياسية بين المواطنين كانت هناك بعض إشارات الخصومة الاجتماعية، وهي التي سببت الحركة المعروفة بمعاداة السامية. بداية ظهرت في عام 1875 في ألمانيا، ومن ثم انتشرت في النمسا، وفي النهاية انتقلت إلى فرنسا، حيث تتوج ظهورها في قضية دريفوس. على كل الأحوال هذه الموجة المعادية للسامية هبطت درجة حدتها في أرجاء القارة الأوروبية لكنها استمرت في كل من روسيا ورومانيا على ما هي عليه.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع

المسألة اليهودية في أوروبا الشرقية[1]

المسألة اليهودية في الكومنولث البولوني ـ اللتواني منذ القرن العاشر الميلادي

الخزر، هم شعب من أصل تركي يتشابك تاريخه بعد القرن الحادي عشر مع بدايات الوجود اليهودي في روسيا، وبولونيا، وسائر أنحاء أوروبا الشرقية؛ تأسس ملك الخزر في منطقة جنوب روسيا بعصر يسبق تأسيس الحكم الملكي الروسي من قبل الفرنجة the Varangians عام 855 م. بزمن طويل. وعاش الخزر على سواحل بحر قزوين منذ القرن الأول للميلاد، وهناك بعض الثوابت التاريخية، التي تشير أن الخزر قد استوطنوا منطقة الأورال وفقاً لما أتى عليه مؤرخو القرون الوسطى، وعرفوا تحت أسماء عديدة: the «Chozars,» «Akatzirs,» «Khazirs,» و«Akatirs,» ووفقاً لسجلات الروس. «Khwalisses» Ugry Byelyye.



(1) ان المعلومات الواردة في هذا الفصل مستقاة من البحث الذي جاء في موسوعة الوكيبيديا وفي الموسوعة اليهودية تحت عنوان: History of the Jews in Poland حيث لا نشير إلى مصدر آخر.

جاء في الموسوعة اليهودية في بحث كتبه: Herman Rosenthal عن الخزر Chazars نقلاً عن المسعودي أنه في نهاية القرن السابع الميلادي 679 م. كان الخزر قد امتد ملكهم إلى غرب شواطئ البحر الأسود، ونقلاً عن رسالة للملك جوب the kink Joeph حوالي 960 م. إلى أسداي بن شبروط جاء فيها:

يقول الملك جوب في رسالته إلى أسداي asdai بن شبروط[1]،

«قبل حوالي قرون الملك بولان حاكم الخزر Chazars، ظهر إليه الله في حلم، ووعده بأنّه سيكون صاحب شأن، وقدرة، وفخار. مدفوعاً من قبل هذا الحلم، رحل الملك بولان نحو طريق دارلن Darlan، وإلى بلاد أردبيل Ardebil، حيث كسب انتصارات كبيرة على المسلمين. الإمبراطور البيزنطي وخليفة الإسماعيليين أرسلا إليه مبعوثين محملين بالهدايا ومرفقين بالحكماء، وكانت مراميهم دعوته لاعتناق أديانهم الخاصة. دعا بولان أيضاً رجالاً حكماء من اليهود، ومضى في التباحث، وفحص، ومحاورة حكماء كل فريق منهم على حده. استجوب الملك بولان حكماء المسلمين على حدة، وحكماء المسيحيين على حدة أيضاً، وعندما كلاهما أعطى احترامه للديانة اليهودية، حين ذلك أدرك الملك بأن الديانة اليهودية يجب أن تكون هي الدين الحقيقي. لذا تبناه مع رعيته.»

☆ ☆ ☆

وفي رواية أخرى للكاتب محمد عطوي نقلاً عن كتاب «**المسالك والممالك**» وكتاب «**امبرطورية الخزر وميراثها**» للكاتب آرثر كوستلر، :

Arthur Koestler: The Thirteenth Tribe - The Kazar Empire and its Heritage (London 1976).

جاء فيها: «في بداية القرن الثامن عشر الميلادي كان العالم مستقطباً بين

(1) Shaprut Harkavy «Soobshchenija o Chazarakh», in «Yevreiskaya Biblioteka» vii. 153.

القوتين العظميين الممثلتين للمسيحية والإسلام، وكان نظامهما الإيديولوجيان لصيقين بسياسات قوة تستنفرها نظم الدعاية الكلاسيكية، والسيطرة والتفوق العسكريان، وكانت امبرطورية الخزر تمثل قوة ثالثة أثبتت انها ندّ لكل منهما سواء باعتبارهما خصماً أو حليفاً، ولكنها كانت تستطيع الاحتفاظ باستقلالها فقط عندما ترفض اعتناق أي من المسيحية أو الإسلام، لأن كلاً من الخيارين كان سيؤدي بها تلقائياً إلى الانضواء تحت سلطة الامبرطورية الرومانية أو خليفة بغداد.

ولم تدخر أي من القوتين جهداً في تحويل الخزر إلى المسيحية أو الاسلام، إلا أن تلك الجهود لم تسفر إلا عن تبادل البعثات الدبلوماسية، والزيجات الملكية، الأحلاف العسكرية المستندة إلى المصالح الذاتية المتبادلة ووطدت مملكة الخزر عزمها على الإحتفاظ بمركزها باعتبار القوة الثالثة، وزعيمة لشعوب الأستبس المتحررة من كل قيد.

وفي الوقت نفسه، فإن صلات الخزر الوثيقة ببيزنطه وحاضرة الخلافة، قد كشفت لهم أن عقيدتهم الشمانية البدائية لم تكن فقط همجية ومتخلفة عن مقتضيات عصرها، بالمقارنة بمنافستيها العقيدتين التوحيديتين، ولكنها كانت أيضاً عاجزة عن أن تضفي على رجال الحكم الهيبة الروحية والشرعية التي يتمتع بها رئيسا القوتين الدينيتين العالميتين: أي الخليفة والامبرطور. وكذلك الأمر، فإن التحول كان يعني الذوبان فيها، وإنتهاء الاستقلال.

لم يحدث تحول البلاط الخزري إلى اليهودية، والذي كان لدوافع سياسية، بين عشية وضحاها. إذ كان الخزر يعرفون اليهود حق المعرفة؛ وكانوا مطلعين على طقوسهم الدينية منذ ما لا يقل عن قرن من الزمان قبل التهود، وجاء ذلك نتيجة للتدفق المستمر للاجئين فراراً من الإضطهاد الديني في بيزنطية، وكذلك وإلى مدى أقل، من أقطار آسيا الصغرى التي هزمها العرب. وبما أن بلاد الخزر كانت دولة متحضرة نسبياً وغير تابعة لأي من المعسكرين المتصارعين، لذا فقد أصبحت ملجأ طبيعياً لحركات الهجرة

الجماعية لليهود الخاضعين للحكم البيزنطي والمهددين بإخراجهم من ديانتهم بالقوة.

ومهما كان من أمر، فإن كتاب المسالك والممالك (القرن الحادي عشر) للبكري هو احد المصادر الذي يصف لنا كيف تحول ملك الخزر إلى اليهودية ويقول:

«إن سبب تحول ملك الخزر إلى اليهودية، وقد كان من قبل وثنياً، هو أنه كان قد اعتنق المسيحية، ثم اكتشف زيفها، وناقش هذا الأمر الذي أزعجه ازعاجاً بالغاً مع أحد كبار رجاله الرسميين الذي قال له: «يا مولاي»: «إن هؤلاء الذين تقع تحت وفي حوزتهم الكتب المقدسة؛ يندرجون تحت ثلاث فئات، فادعهم إلى المثول أمامك؛ واطلب منهم ان يشرحوا مبادئهم؛ ثم اتّبع منهم من هو على حق» ولذلك أرسل الملك إلى المسيحيين يستدعي أسقفاً، وكان مع الملك أحد اليهود البارعين في الجدل، فأجرى مع الأسقف هذه المناظرة: وجه سؤاله إلى الأسقف: «ماذا تقول في موسى بن عمران والتوراة التي أنزلت عليه؟» ورد الأسقف: «موسى نبي، والتوراة جاءت بالحق» وعندئذ قال اليهودي للملك: «لقد اعترف الآن بأن عقيدتي هي الحق، إسأله إذن عما يعتقده هو»، وهكذا سأله الملك فأجاب: «أنا أقول أن يسوع المسيح ابن مريم هو كلمة الله وانه يبلغ الوحي باسم الله»؛ وعندئذ قال اليهودي لملك الخزر: «إنه يتحدث عن عقيدة لا علم له بها؛ بينما يقبل ما أقول أنا به» ولكن الأسقف لم يكن قوياً في تأكيد حججه، وعندئذ أرسل الملك في طلب أحد المسلمين، فأرسلوا إليه رجلاً عالماً خبيراً ضليعاً في الجدل، لكن اليهودي كلف من قام بدس السم له وهو في طريقه إليهم فمات ونجح اليهودي في إستمالة الملك (الخزري) إلى عقيدته ولذلك اعتنق اليهودية.»[1]

☆ ☆ ☆

(1) عطوي محمد، هجرات اليهود السوفيات، دار الحمراء بيروت، ط: 1، 1991، ص: 15 وما بعدها.

امتد ملك الخزر على شواطئ البحر الأسود الشرقية والشمالية منذ القرن الثاني الميلادي حتى القرن العاشر الميلادي، ولعب الخزر دوراً بالنزاع بين البيزنطيين والفرس، وكانوا حلفاء للبيزنطيين، وفي نهاية القرن العاشر الميلادي حوالي 965م. بدأ الفرنجة الذين سيطروا على روسيا وأوكرانيا بتصفية ملك الخزر، وأخيراً عام 1016م. سقط آخر معقل للخزر على أيدي الفرنجة الروس، وسيق ملكهم جورج تسولا George Tzula أسيراً إلى مدينة كييف التي يقال أن اليهود الخزر هم من قاموا على تأسيسها، وتفرق لاحقاً الخزر في أنحاء روسيا، وهنغاريا،وبولونيا، وأقام بعضهم في مدينة كييف حياً خاصاً بهم، وهاجر البعض منهم إلى اسبانيا، ولكن الغالب منهم استوطن في مختلف أنحاء القوقاز والامبرطورية الروسية لاحقاً بعد ضمها لجزء كبير من بولونيا ومعها لتوانيا وأوكرانيا اليوم، وهكذا كان بداية الوجود اليهودي في أوروبا الشرقية ونشأة المسألة اليهودية فيها.

☆ ☆ ☆

نعم اليهود من الخزر، ومن الهاربين من أوروبا الغربية بين القرن الحادي عشر والخامس عشر، في بولونيا بحياة غالباً كانت هانئة، فلقد كانت بولونيا في القرون الوسطى، وهي التي كانت تضم بالإضافة إلى بولونيا منطقة أوكرانيا اليوم، أي بين القرن العاشر، ونهاية القرن الخامس عشر، من أشد المناطق في أوروبا التي كانت تتميز بالتسامح الديني، فَدعوا اليهود إليها من قبل الحكام، والأمراء، رغبة منهم بتنشيط العجلة الاقتصادية في البلاد، فنعم اليهود فيها بكامل حقوقهم المدنية، وشكلوا طبقة التجار، في الوقت الذي كان يقسم الشعب في بولونيا وأوكرانيا بين طبقة فلاحين وطبقة إقطاعيين أو النبلاء. منح الأمراء، والحكام، حمايتهم لليهود، وعومل اليهود بمنتهى الود والتسامح الديني ولم يحل عليهم من نكبات إلا في الزمن الذي هاج فيه الشعب زمن حلول الطاعون الذي اجتاح أوروبا، وانتشار الإشاعة، بأن سبب الطاعون Black

death أو الموت الأسود، كما شاعت التسمية له، هو تسميم اليهود لمياه الآبار وذاك عام 1351م.

☆ ☆ ☆

وفي عهد خلفاء الملك ولاديسلوس الثاني Wladislaus نشأت ثورة في أوكرانيا ضد الغزاة البولونيين وممثليهم من جاليات اليهود الذين اتهموا أيضاً بجريمة طقس الدم الذي أتينا على تفاصيله سابقاً فكانت هناك هستيريا شعبية ضدهم لم يوقفها الحكام أو يعارضها رجال الكنيسة ودعمها الحرفيون والتجار من أهل البلاد الذين كان ينافسهم اليهود في مهنتهم.

لكن من تولى حكم البلاد فيما بعد منح اليهود حمايته وخصوصاً بعد سقوط آخر معقل عربي في الأندلس عام 1492 م فأصبحت بولونيا هي فردوس اليهود على الأرض واستقبلت المهاجرين اليهود من إسبانيا، وألمانيا، وبهيميا، والنمسا، واستمر هذا الوضع إلى نهاية عام 1572 م.

☆ ☆ ☆

وفي عهد الملك زيغموت الأول Zygmunt I حصل اليهود على كامل حمايتهم وحقوقهم المدنية وفي عصر خلفه أوغست زيغموت الثاني Zygmunt II August منح اليهود حق الحكم الذاتي في حقل الإدارة فأصبحوا يختارون رؤساءهم من الحاخامات وتأسس القهال[1] ومعه الحرس الخاص. وهكذا اختير

(1) القهال Kalal or Kehillah: كلمة عبرية بمعنى «جماعة»، وهي تشير إلى أعضاء الجماعة اليهودية ككل، كما تشير الكلمة بالمعنى الضيق إلى الهيئة الإدارية أو المجلس الذي كان يدير شؤون مختلف التجمعات اليهودية. وكان ينتظم كل مجالس القهال مجلس البلاد الأربعة. وكانت بولندا مملكة متعددة الجنسيات والديانات، فقد كان ثلث سكانها من غير البولنديين وكانوا يدينون بديانات أخرى غير المسيحية الكاثوليكية.
ويستند القهال، كشكل من أشكال الإدارة الذاتية، إلى الميثاق الذي أصدره الملك سيجسموند الأول عام 1501 وتم بمقتضاه تشكيل تنظيم القهال. وكانت كل جماعة يهودية يديرها مجلس القهال يتكون من سبعة أعضاء يتم اختيارهم إما بالتعيين أو بالانتخاب. وكان لا بد أن توافق الحكومة البولندية على الأعضاء المنتخبين قبل أن يصبح انتخابهم نهائياً.

ربي يعقوب بولاك Rabbi Jacob Polak, الحاخام الرسمي لبولندة من قبل السلطة عام 1503م. وبدءاً من عام 1551 م. أصبح اليهود يختارون بأنفسهم من يدعى ربي بولونيا، وهو المسؤول عن أمور اليهود المدنية، وجمع الضرائب منهم، عبر مؤسسة القهال، والتي كان اليهود يستفيدون منها فقط بثلاثين بالمائة، والباقي يذهب للحاكم كضريبة حماية لهم. وهكذا أنشئت المدارس والجامعات التلمودية في كراكوف وباقي الأنحاء من البلاد.

وفي عام 1573 تم توقيع معاهدة أخوة، وتضامن، وتسامح، وتساند بين نبلاء بولونيا وليتوانيا وبين ممثلين عن مختلف المذاهب الدينية، على الأراضي البولونية والأوكرانية واللتوانية.

☆ ☆ ☆

بدءاً من عام 1648 م. تعرض الكومنولث اللتواني ـ البولوني للعديد من الاجتياحات فمن جهة الشمال كان هناك الغزوات التي تشن عليها من السويديين ومن الجنوب منطقة أوكرانيا اليوم كان هناك الثورة التي استعرت من الشميلنيكي والكوزاك Chmielnicki فسقط نتيجة للأحداث قتلى بعشرات الآلاف من اليهود والنبلاء البولونيين في مناطق شرق وجنوب أوكرانيا اليوم، وسقط نتيجة لهذه الأحداث مجتمعة والتي أصبحت تسمى بالطوفان، ما يقرب من ثلث سكان بولونيا. أما في مناطق الشمال، فكان البولونيون يتهمون اليهود بمساعدة الأعداء من السويديين عليهم، والسويديون كانوا يكتسحون المناطق مدمرين من عليها دونما اعتبار لأحد، فوقع اليهود بين شقي الرحى، وتقدر بعض المراجع التاريخية أن عدد الضحايا بلغ ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص كان نصيب اليهود منهم نصف مليون نسمة.

وليس هناك أرقام دقيقة للخسائر البشرية اليهودية لكن موسوعة الوكيبيديا نقلاً عن الموسوعة اليهودية تقدرها بين 100,000 و200,000 نسمة وهذه الأرقام تتضمن المهاجرين هرباً من الأحداث مع الأموات.

☆ ☆ ☆

وفي عام 1648 اكتسح الملك السويدي تشارلز العاشر بولونيا وأضحى اليهود منقسمين بين سلطان السويديين في منطقة شمال بولونيا، والكوزاك والأوكرانيين في منطقة الجنوب، وعانى اليهود من قبل الطرفين فهاجر البعض، وسقط البعض الآخر وسط الأحداث، ولكن بعدما استتب الأمر في بولونيا، عاد اليهود إليها، ومنحهم الملك عام 1698 حمايته، رغم معارضة رجال الدين وبعض النبلاء البولونيين.

☆ ☆ ☆

وبعدما خضع الكومنولث البولوني اللتواني للحكم السكسوني الجرماني تساوت أرض جنة النعيم للكومنولث بالنسبة لليهود بباقي بلاد أوروبا، وفقدت المنطقة ما كانت تتمتع به من تسامح ديني، وأضحى كل يوم في المدن الكبرى مثل كراكوف، وبوزنن، يشهد مشاجرات بين الأهالي واليهود، وفي زمن القرن السادس عشر والسابع عشر طرد اليهود من بعض المدن، وعانوا من بعض الأحداث الدموية مع المزارعين، والحرفيين من السكان. مع العلم بأنه في زمن عام 1764 م من أصل 1,2 مليون يهودي في العالم كان هناك 750000 يقطنون أراضي الكومنولث البولوني اللتواني.

☆ ☆ ☆

وبحلول عام 1793 محي الوجود البولوني اللتواني المستقل، وقسمت أراضيه بين الإمبراطورية الروسية، وبروسيا، والنمسا، وأصبح معظم السكان اليهود، البالغ عددهم ما يقرب المليون تحت ظل حكم الامبرطورية الروسية.

وخلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر بدأت تُسمع أصوات المطالبين بمساواة اليهود مع البقية من سكان البلاد وكان ذلك قبل وقوع الثورة الفرنسية التي في عام 1791 أعلنت المساواة بين اليهود وباقي السكان، ومنحتهم حقوقهم المدنية أسوة بباقي المواطنين. وفي النصف الأول من القرن التاسع

عشر بدأنا نشهد ظهوراً لولاية بولندية بشكل ضعيف من خلال وجود الكونجرس البولندي (1815 ـ 1831). وتمثل اليهود في تمرد تشرين الثّاني (1830 ـ 1831)، وتمرد كانون الثّاني (1863)، وكذلك في الحركة الثورية عام 1905. ولمع الكثير من اليهود الذين شاركوا في الجحافل التي كافحت من أجل الاستقلال البولندي عن روسيا والبقية من البلدان والذي أنجز أخيراً في 1918.

☆ ☆ ☆

وفقاً لبعض الاشتقاق اللغوي يفسر اليهود أن اسم بولونية يعني مكان سكن الله وبالطبع شعب الله المختار وهكذا كانت بولونيا موطناً لغالب اليهود منذ عهد الملك سيجسموند Sigismund حتى مطلع الحرب الكبرى الثانية.

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس

المسألة اليهودية في روسيا القيصرية

نظرة عامة

في مقال كتبه في الموسوعة اليهودية حول اليهود في روسيا Jewish in Russia كل من: Herman Rosenthal J. G. Lipman L. Wygodsky, Vasili Rosenthal, Abraham Galante.

جاء فيه: إنّ التواجد اليهودي في منطقة أرمينيا يعود وفقاً للمؤرخين الأرمن إلى زمن هدم نبوخذ نصر للهيكل في أورشليم عام 587 ق. م. وتهجيره لليهود من أورشليم، فكان نصيب بعضهم السكن في منطقة أرمينيا، والقوقاز. وبعد ذلك، لحق بهم بعض العائلات وكان منها عائلة بقراتوني Bagratuni التي أصبح لها شأن في مجالس الحكم في زمن القرن الرابع الميلادي في منطقة أرمينيا، لكنها فيما بعد، اعتنقت الديانة المسيحية خضوعاً لما تعرضت له من ضغوط أثنية. وهناك عائلة أخرى يهودية المعتقد هي عائلة أماتوني Amatuni حلت في أرمينيا أيضاً في عهد آل Artashes 85 ـ 127 م. وهكذا تواجد في القرن الرابع الميلادي عدداً من المدن اليهودية في أرمينيا وكان يبلغ تعداد سكان الواحده منها بين 10,000 إلى 30,000 نسمة. لكنه في الزمن الذي اجتاح فيه الفرس أرمينيا، بين عامي 360 ـ 370م. قام الفرس بتدمير هذه المدن وسيق الكثير من سكانها اليهود أسرى إلى بلاد فارس.

أما في منطقة جورجيا، فيعود تواجد اليهود فيها أيضاً إلى زمن تدمير الهيكل الأول. وقد قام الحاكم الجورجي Mzchet على منح اليهود منطقة لسكنهم تقع على ضفاف نهر Zanav، وهي التي دعيت فيما بعد الكرك «Kerk,»، وهي تعني قبيلة، وذلك تسهيلاً لجباية الضرائب المفروضه على اليهود. وبعدها، لحق بهذه الجالية بعضاً من اليهود الذين هاجروا من أورشليم بعد تدمير الهيكل عام 70 م. وتهجير اليهود منها على أيدي الرومان.

وهناك لوحة رخامية تذكارية حملت كتابة باللغة اليونانية محفوظة في متحف الأرميتراج في سانت بطرسبرج، تشير إلى التواجد اليهودي في منطقة القرم Crimea، وعلى طوال الشواطئ الشرقية للبحر الأسود، وأن هذا التواجد كان حسن التنظيم وكان لديه معابده الخاصة به.

أما نصوص النقوشِ اليونانية التي تواجدت فقد كان أغلبها يتعلق بتحرير عبيد النذور الدينية التي كانت تكرس إلى الكنس وهكذا أصبحت كامل الجالية اليهودية حراساً على هؤلاء العبيد المحررين.

☆ ☆ ☆

بدءا بالنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي أصبحت نقوش القرم بشكل خاص باللغة العبرية بدلاً من اللغة اليونانية، مما يثبت أن أصل الجاليات اليهودية في المنطقة هي من أصل آسيوي، وليس من أصل أوروبي غربي، وهناك ما يقرب من 120 وثيقة أصلية تغطي الفترة التاريخية الممتدة بين عام 157 م. - 1773 م باللغة العبرية.

☆ ☆ ☆

وعبر الزمن بعد ذلك قام يهود منطقة القرم بالانتشار شمالاً في محيط منطقة بحر قزوين، ومنطقة الفولجا السفلى حاملين معهم حضارتهم المتقدمة على حضارة أهل المنطقة البدوية، وهكذا اعتنق الخزر وملكهم بولان الديانة اليهودية بين عامي 731 م. ـ 741م. وبعد اضمحلال مُلك الخزر على أيدي

Swyatoslaw في عام 969م. انتشر اليهود في كل من منطقة القرم، والقوقاز، وبولونيا، وأوكرانيا، وهي التي كانت تشكل جزءاً من مملكة الخزر السابقة، وهناك بعض الوثائق الروسية تشير إلى أن وفداً من اليهود الخزر قدم عند الأمير فلاديمير الروسي طالباً إقناعه باعتناق الديانة اليهودية. أما في كييف Kiev فكان هناك حي خاص باليهود يدعى ببلدة اليهود («Zhidy») والطريق الموصلة له كانت تسمى («Zhidovskiye vorota»). ووجد أيضاً يهود في منطقة شمال شرق روسيا في عهد الأمير Andrei Bogolyubski 1168 ـ 1174م.

☆ ☆ ☆

أما في موسكو فتشير الوثائق إلى أن أول التواجد اليهودي فيها يعود إلى عام 1471 م. وذلك في عهد الدوق الكبير Ivan III. والذي حكم بين (1505 ـ 1462)؛ وتشير الوثائق الروسية إلى أنه في عهده تم توحيد المقاطعات الإقطاعية تحت سلطته دون كل من مدينتي Novgorod وPskov اللتين بقيتا خارجتين عن سلطته. ولما كانت مدينة Novgorod تدخل ضمن the Hanseatic League كان يحل بها تجار أجانب حاملين معهم المعتقدات السائدة في أوروبا الغربية فتنتقل عبر هذا الاحتكاك هذه المعتقدات إلى المجتمع الروسي. وفي وسط الزحام العقائدي الكنسي الشرقي اليوناني الأرثوذكسي، والكاثوليكي الغربي، كان هناك استنجاد من قبل سكان Novgorod بالأمير البولوني Michael Olelkovich, نائب ملك كييف Kiev نصراً لهم في وجه الصراع مع موسكو، وحين وصوله رافقه مستشاره اليهودي Skhariyah الذي قام على إقناع الكاهن Dionis باعتناق الديانة اليهودية. بعدها ما لبثت الديانة اليهودية أن لاقت هوى عند البعض من الروس، وانتشرت حتى في الوسط المقرب من الدوق الروسي؛ حتى أن الدوق نفسه أعجب بالمعتقد الجديد ولم يبادر تجاهه بأي عداء أو اضطهاد نحوه أو نحو من آمنوا به. وهناك بعض الوثائق تشير بأنه حاول كسب ود اليهود في منطقة لتوانيا طلباً لعونهم في حال اجتياحه للمنطقة.

☆ ☆ ☆

ويشير الكاتب في الموسوعة إلى أنه في عصر الدوق Ivan III. نعم اليهود بالدعم والاستقرار والانتشار في الأوساط الروسية في موسكو. ولكنه ما أن انتهى عصر Ivan III. وحل عهد خلفه Vasili Ivanovich IV. (1505 ـ 33) حتى ضعف وضع المعتنقين للمذهب اليهودي، رغم سماح الدوق للتجار اليهود اللتوانيين بالقدوم إلى كل من Moscow وSmolensk. لكن سفيره في روما Dmitri Gerasimov الذي سعى إلى توحيد الكنيستين اليونانية الشرقية الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية عام 1526 م. ينقل عنه المؤرخ Paolo Giovio بأنه قال أنهم في موسكو «يمقتون اليهود ولن يدعوهم يدخلونها». وهكذا أصبحت العلاقة في عهد .Ivan IV (1505 ـ 33) مع اليهود أكثر قسوة، ويدعوه كاتب المقال في الموسوعة اليهودية بإيفان الفظيع Ivan IV., The Terrible. وقد قام القيصر .Ivan IV بتبني عداء الكنيسة الغربية لليهود وحين اجتياحه لمنطقة Polotsk أمر بإغراق كل يهودي يرفض اعتناق الديانة المسيحية في Düna. وفي خلال الثلاثين عاماً التي تلت بين زمن وفاة Ivan IV وتولي عائلة Romanof روماوف الحكم ارتبط مصير اليهود بالتقلبات السياسية التي مرت على البلاد الروسية.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد أسرة Romanofs

في عهد Romanof الأول، مايكل (45 - 1613) Feodorovich، Michael صدرت بعض التشريعات التي وضعت اليهود على قدم المساواة مع الليثوانيين، والألمان، والتتر، والقوقازيين، وفرضت التعامل بروح التسامح مع كل الجنسيات والمعتقدات. وفي رسالة مؤرخة بتاريخ أكتوبر/ تشرين الأول 9، 1634، وموجهة إلى حاكم Great Perm، أمر القيصر بإطلاق سراح بعض السجناء الليثوانيين والألمان، واليهود، والتتار، والقوقازيين وأن يسمح لهم بالعودة إلى أراضي أجدادهم أو البقاء في روسيا، كما هم قد يقررون.

وبعد أربع سنوات في عام 1638 م. كان هناك موقف مغاير للقيصر تجاه اليهود ففي رسالة التهنئة الموجهة إلى ملك بولندا أمر ممثليه في القصر البولندي الاقتراح بمنع التجار البولنديين من جلب بعض البضائع إلى روسيا، وتحريم اليهود البولونيين من الدخول لروسيا وكان دافعه لهذا الموقف بلا شك دافعاً دينياً؛ لكنه إجمالاً، لم يكن هناك اضطهاد في عهد مايكل لليهود ولكن كان هناك بعض المناسبات التي كانت تقتضي منه بعض المواقف الخاصة من اليهود.

☆ ☆ ☆

وفي القانون الصادر عام 1649م. تحت حكم وريثه مايكل، أليكسيس Aleksei Mikhailovich 1645 - 76 م. أصبح موقف الحكومة نحو اليهود أكثر وضوحاً. هذا القانون لم يحتوِ على أي تقييد مباشر لحقوق اليهود الذين يقطنون في روسيا، وإن كان هناك بعض القيود فهي كانت موجهة نحو اليهود الأجانب فقط. وفي مرسوم صادر بتاريخ 30 يوليو/تموز 1654م. طلب من سلطات الحدود بالسماح بالدخول لكل الأشخاص الذين يقصدون موسكو، وهكذا كان اليهود مثل باقي الناس خاضعين للقوانين العامة. لكن الأمر لم يخلُ من مراسيم خاصة غير مناسبة لليهود من مثل المرسوم الذي أمر بطرد اليهود من منطقة Moghilef في عام 1654م.

☆ ☆ ☆

وفي 7 مارس/آذار 1655 صدر قرار بنقل «الليثوانيين واليهود» من Kaluga، إلى Nijni Novgorod. علاوة على ذلك، يلزم البند الثاني من معاهدة Andrusov عام 1667م بين روسيا وبولندا والتي تنص على قيام هدنة مدتها فترة من ثلاث عشرة سنة وستة شهور بين البلدين بشرط أن كل اليهود الذين لم يصبحوا من المسيحيين يجب أن يسمح لهم القيصر بالعودة للأرض البولندية مصطحبين معهم زوجاتهم، وأطفالهم، وأملاكهم، ومن يفضل البقاء في روسيا يجب أن يمنح الرخصة الضرورية لذلك.

الكاتب الأوكراني Joanniki Golyatovski، في عمله «Messia Pravdivy» عام 1676م. هاجم اليهود بهدف إثارة القيصر ضدهم. Kostomarov، في تعليقه على هذه الحقيقة، أفاد بأنه، على الرغم من نفور الروس العظماء من دخول اليهود إلى بلادهم، لكن اليهود وجدوا طريقهم إلى موسكو، وذلك عن طريق إخفائهم لنسبهم العرقي والديني عادة. وما هو مستحق الملاحظة هو أنه كان هناك في ذلك الوقت في موسكو عدد كبير من اليهود المعمدين في الأديرة، خصوصاً في دير Voskresenski، وهناك تعليق من رئيس الأساقفة Nikkon كتب إلى أليكسيس يشتكي «بأن هؤلاء الأساقفة شرعوا بمزاولة دينهم اليهودي القديم ثانية، وإفساد الرهبان الشباب.» وفي عهد وريث أليكسيس (1676-82) Feodor Alekseyevich. إشترط في معاهدته عام 1678 م. مع الملك جون Sobieski عاهل بولندا بأن كل التجار البولنديين، باستثناء أولئك الذين من الإيمان اليهودي، يسمح لهم بزيارة موسكو.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد بطرس الأكبر (1682-1725) Peter the Great

إن الوثائق الروسية التي بمتناول اليد، لا تسمح بمعرفة واضحة وصريحة لموقف بطرس الأكبر (1682 ـ 1725) من اليهود. إلا أن المؤرخ الروسي Solovyev، الذي كان متحيزاً ضد اليهود، يشير[1] بأنه عندما دعا بطرس الأكبر أجانب موهوبين إلى روسيا، أقصى دائماً منهم اليهود؛ لكنه لا دليل وثائقي يثبت ويبرهن هذا الزعم والمرسوم الصادر في 16 أبريل/نيسان 1702 م. عن بطرس الأكبر الذي Solevyev يستشهد به، لم يحتوِ على أي إشارة إلى اليهود؛ وزعم المؤرخ من الواضح مستند على حكاية Nartov وهي تتعلق بما جرى مع بطرس الأكبر حين إقامته في هولندا عام 1698م. وذلك عندما التمس يهود أمستردام من

(1) «Istoriya Rossii». part: xv.

خلال صديقه القديم Witsen Burgo، الإعتراف بأخوتهم في الدين في روسيا، وذكر بأن جواب بطرس الأكبر لهم كان «الوقت لحد الآن لم يأت من أجل إتحاد اليهود والروس.» كما إن Nartov يذكر بأن بطرس الأكبر قال من الممكن أن يسمح لمعتنقي الديانة المحمدية، أو للوثنيين، بان يدخلوا لروسيا لكنه لن يسمح لليهود المحتالين بالدخول إليها أبداً. من الناحية الأخرى كان اختيار البارون Shafirov وهو يهودي تعمد، كمستشار للإمبراطورية، والثقة التي أولاها له، بالإضافة إلى الموقع المتقدم لـ Peter of Dewier، وهو ابن حلاق يهودي برتغالي، يشير بأن القيصر شخصياً لم يكن عنده تعصب عرقي وطائفي، وبأنه لم يتبنَّ تعصب الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية تجاه اليهود. على الرغم من هذا، لم يعدل، أو يغير التشريع الديني المسن من قبل أبيه، Aleksei، والذي احتوى العديد من القيود على حقوق غير المسيحيين.

☆ ☆ ☆

افتتحت الإجراءات النشيطة ضد اليهود، خصوصاً ضد أولئك الذين يعيشون في أوكرانيا، من قبل وريث بطرس الأكبر الإمبراطورة كاثرين الأولى 27 ـ 1725م. ففي 25 من مارس/آذار، 1727 م. أصدرت الإمبراطورة مرسوماً يمنع تأجير الحانات والرسوم الجمركية إلى اليهود في Smolensk، ويطلب إبعادهم إلى ما بعد حدود Baruch Leibov. وفي 7 مايو/أيار من نفس السنة أعلنت طرد اليهود من روسيا.

وقد نص هذا المرسوم بأن «اليهود من ذكر وأنثى، الذين يعيشون في أوكرانيا وبلدات روسية أخرى يبعدون فوراً إلى ما بعد الحدود، ولن يسمح بعد الآن لليهود بالدخول لروسيا تحت أية ظروف ويجب أن تؤخذ هذه الإجراءات بالمنع في كل الأماكن، ويمنع على اليهود المغادرين أن يحملوا معهم أياً من العملات الذهبية».

ويشار إلى أن كاترين قد تأثرت في إصدار هذا المرسوم بمستشاريها

الكاتب الأوكراني Joanniki Golyatovski، في عمله «Messia Pravdivy» عام 1676م. هاجم اليهود بهدف إثارة القيصر ضدهم. Kostomarov، في تعليقه على هذه الحقيقة، أفاد بأنه، على الرغم من نفور الروس العظماء من دخول اليهود إلى بلادهم، لكن اليهود وجدوا طريقهم إلى موسكو، وذلك عن طريق إخفائهم لنسبهم العرقي والديني عادة. وما هو مستحق الملاحظة هو أنه كان هناك في ذلك الوقت في موسكو عدد كبير من اليهود المعمدين في الأديرة، خصوصاً في دير Voskresenski، وهناك تعليق من رئيس الأساقفة Nikkon كتب إلى أليكسيس يشتكي «بأن هؤلاء الأساقفة شرعوا بمزاولة دينهم اليهودي القديم ثانية، وإفساد الرهبان الشباب.» وفي عهد وريث أليكسيس Feodor Alekseyevich. (1676-82) إشترط في معاهدته عام 1678 م. مع الملك جون Sobieski عاهل بولندا بأن كل التجار البولنديين، باستثناء أولئك الذين من الإيمان اليهودي، يسمح لهم بزيارة موسكو.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد بطرس الأكبر Peter the Great (1682-1725)

إن الوثائق الروسية التي بمتناول اليد، لا تسمح بمعرفة واضحة وصريحة لموقف بطرس الأكبر (1682 ـ 1725) من اليهود. إلا أن المؤرخ الروسي Solovyev، الذي كان متحيزاً ضد اليهود، يشير[1] بأنه عندما دعا بطرس الأكبر أجانب موهوبين إلى روسيا، أقصى دائماً منهم اليهود؛ لكنه لا دليل وثائقي يثبت ويبرهن هذا الزعم والمرسوم الصادر في 16 أبريل/نيسان 1702 م. عن بطرس الأكبر الذي Solevyev يستشهد به، لم يحتوِ على أي إشارة إلى اليهود؛ وزعم المؤرخ من الواضح مستند على حكاية Nartov وهي تتعلق بما جرى مع بطرس الأكبر حين إقامته في هولندا عام 1698م. وذلك عندما التمس يهود أمستردام من

(1) «Istoriya Rossii». part: xv.

خلال صديقه القديم Witsen Burgo، الإعتراف بأخوتهم في الدين في روسيا، وذكر بأن جواب بطرس الأكبر لهم كان «الوقت لحد الآن لم يأت من أجل إتحاد اليهود والروس.» كما إن Nartov يذكر بأن بطرس الأكبر قال من الممكن أن يسمح لمعتنقي الديانة المحمدية، أو للوثنيين، بان يدخلوا لروسيا لكنه لن يسمح لليهود المحتالين بالدخول إليها أبداً. من الناحية الأخرى كان اختيار البارون Shafirov وهو يهودي تعمد، كمستشار للإمبراطورية، والثقة التي أولاها له، بالإضافة إلى الموقع المتقدم لـ Peter of Dewier، وهو ابن حلاق يهودي برتغالي، يشير بأن القيصر شخصياً لم يكن عنده تعصب عرقي وطائفي، وبأنه لم يتبنَّ تعصب الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية تجاه اليهود. على الرغم من هذا، لم يعدل، أو يغير التشريع الديني المسن من قبل أبيه، Aleksei، والذي احتوى العديد من القيود على حقوق غير المسيحيين.

☆ ☆ ☆

افتتحت الإجراءات النشيطة ضد اليهود، خصوصاً ضد أولئك الذين يعيشون في أوكرانيا، من قبل وريث بطرس الأكبر الإمبراطورة كاثرين الأولى 27 ـ 1725م. ففي 25 من مارس/آذار، 1727 م. أصدرت الإمبراطورة مرسوماً يمنع تأجير الحانات والرسوم الجمركية إلى اليهود في Smolensk، ويطلب إبعادهم إلى ما بعد حدود Baruch Leibov. وفي 7 مايو/أيار من نفس السنة أعلنت طرد اليهود من روسيا.

وقد نص هذا المرسوم بأن «اليهود من ذكر وأنثى، الذين يعيشون في أوكرانيا وبلدات روسية أخرى يبعدون فوراً إلى ما بعد الحدود، ولن يسمح بعد الآن لليهود بالدخول لروسيا تحت أية ظروف ويجب أن تؤخذ هذه الإجراءات بالمنع في كل الأماكن، ويمنع على اليهود المغادرين أن يحملوا معهم أياً من العملات الذهبية».

ويشار إلى أن كاترين قد تأثرت في إصدار هذا المرسوم بمستشاريها

الدينيين، وبشكل خاص من قبل Feofan Prokopovich، كاهن المجمع الكنسي المقدّس.

☆ ☆ ☆

تحت حكم بطرس الثّاني (1727 - 30) Peter II. وAnna Ivanovna (1730 - 40) لم يكن هناك من تدابير صارمة ضد اليهود في بادئ الأمر فارتاحوا بعض الشيء. لكنه نحو نهاية عهد آنا إيفانوفيتش أصبح تأثير اليهودية أكثر ظهوراً.

ففي عهدها بتاريخ 15 يوليو/تموز 1738 تم إحراق Baruch Leibov والقائد البحري Voznitzyn بسبب من ارتدادهما الديني نحو اليهودية. وفي مرسوم صادر بتاريخ 22 يوليو/تموز 1739 م. طردت آنا اليهود من روسيا الصغيرة؛ وفي 29 أغسطس/آب من نفس السنة أصدرت مرسوماً آخر يمنع اليهود من تملك أو إيجار الحانات أو أي من ملكية أخرى على الأرض الروسية.

☆ ☆ ☆

أما في عهد إليزابيث (1741 ـ 62) بنت بطرس الأكبر فقد ظهرت تشريعات قاسية في معاداة اليهود. ففي مرسومها الذي يطرد اليهود من روسيا الصغيرة ذَكرت «أن لا فاكهةَ أخرى قد تتوقّع ممن صلب السيد المسيح.» وعندما التمس مجلس الشيوخ، وتجار ريغا، من الإمبراطورة معالجة أكثر تحرراً مع اليهود، نظراً للخسائر العظيمة التي تنتج من هذا العداء سواء عليهم أم على خزينة الإمبراطورية، كتبت إليزابيث على هامشِ التقرير: «أنا سوف لن أشتق أي ربح من أعداء السيد المسيح» (1742).

و بعد أن اكتشفت بأن طبيب القصر Sanchez من التابعية اليهودية، أرغمته على الاستقالة من أكاديمية العلوم (1748)، وعالم الرياضيات ليونارد بولر، الذي كان أيضاً عضواً في أكاديميةَ العلوم، كتب من برلين: «أشك كثيراً في أن

مثل هذه الإجراءات الغريبة يمكن أن تضيف شيئاً إلى مجد أكاديمية العلوم.»
وفي عهدها في عام 1743م تم أيضاً تحطيم 418 مسجداً من أصل الـ536 في بلاد قازان Kazan.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد كاترين الثانية (1762 - 96) Catherine II.

تم في عهد الإمبراطورة كاترين الثانية 1762 ـ 1796م. منح اليهود الكثير من الحقوق التي حرموا منها سابقاً. فلقد كانت الإمبراطورة مميزه بشخصيتها المستقلة والمتحررة، فلم تتأثر كثيراً بتعصب رجال الكنيسة اليونانية الأرثوذكسيين، ولا بعدائهم نحو اليهود، لكنها لم تجد من المناسب إلغاء ما سنه سابقوها من الحكام من عائلة رومانوف من قوانين تعود لأوضاع اليهود، لكنها أصرت على بعض من الإجراءات التي تتأقلم مع العصر. فهي قد اقتنعت بأن اليهود، بتجارتهم، قد يعودون بالنفع على الإمبراطورية، فأصدرت أوامرها للسلطات بالتسامح مع التجار اليهود، رغماً عن احتجاج تجار ريغا، ووجهت أمراً للحاكم العام لمنطقة ليفونيا Governor-General Browne of Livonia بالسماح بالإقامة المؤقتة لبعض من التجار اليهود في منطقة ريغا 1765م. وفي عام 1769 م. سمح لليهود، أسوة بغيرهم من الأجانب، بأن يستقروا في المنطقة التي كان من المطلوب إنماؤها. وحول هذا الوقت حدث التقسيم الأول لبولندا الذي ألحق ببروسيا منطقة روسيا البيضاء 1772 م مع سكانها اليهود العديدين. وهكذا صدر مرسوم عن كاترين، أعلن من قبل Chernyshov الحاكم العام احتوى الفقرة التالية التي تتعلق بوضع اليهود في المملكة:

«بموجب هذا المرسوم تمنح الحرية الدينية والحصانة الملكية إلى كل سكان روسيا، وبالتأكيد اليهود أيضاً؛ ووفقاً للمبادئِ الإنسانية لصاحبة الجلالة فإنها لا تسمح باستثناء اليهود لوحدهم من الحسنات التي منحت للجميع، طالما هم، مخلصون، ويواصلون أعمالهم التجارية وحرفهم كل طبقاً لمهنته.»

أوضاع اليهود في روسيا البيضاء The White - Russian

لم ينجُ اليهود في روسيا البيضاء من اضطهاد الحكام المحليين رغماً عن المرسوم المعلن عام 1772 م من قبل Chernyshov والذي منحهم حق التمتع بكامل حريتهم الدينية والملكية.

ففي عام 1784 م تقدم يهود روسيا البيضاء بالتماس من الإمبراطورة كاثرين الثانية لتحسين شروط معيشتهم وأشاروا فيه بأنهم، بعد أن عاشوا لأجيال في القرى مستأجرين لعقارات من أصحاب الملك، أسسوا على هذه العقارات معامل للتقطير ومصانع بيرة، الخ.، وتكبدوا في سبيل ذلك مبالغ كبيرة، وأصحاب الملك مسرورون بعوائد تأجيرهم أراضيهم لكن الحاكم العام منع أصحاب الملك الآن من إجراء أيّ عقد إيجار معهم، وهم اليوم مهددون بخطر أن يصبحوا من الفقراء بحرمانهم من استمرار بقاء مؤسساتهم على هذه العقارات. وفقاً لأمر إمبراطوري كان اليهود البيض الروس مؤهلين للانتخاب كأعضاء في المجالس البلدية، لكنهم لم يسبق أن انتخبوا في الممارسة، وهكذا حرموا من الوقاية القانونية بحكم شغلهم للمركز الرسمي، فهم كانوا على الإجمال يجهلون التكلم باللغة الروسية، وسألوا أيضاً بالتماسهم بأن يكون لهم تمثيل خاص أمام المحاكم خصوصاً في حالات الخصومة بين اليهود والمسيحيين، فلقد وعدوا بأن يطبق عليهم قانونهم الخاص طبقاً للقانون اليهودي عبر السنهدرين (السنهدرين هو مجلس القضاء الملي لدى اليهود وهو يقسم على ثلاث درجات تشمل الدرجة الأولى مئة عضو وأحياناً سبعين عضواً، والثانية عشرين عضواً والثالثة أربعة أعضاء). وفي بعض القرى والبلدات بنى اليهود البيوت تحت ظل ترتيب خاص مع أصحاب وملاك الأراضي عن طريق عقود للإيجار لكن أصحاب الملك الآن رفعوا بدلات الإيجار بدون سابق إنذار، مما أرغم اليهود على ترك بيوتهم. لذا سألوا بأن تمدد الإيجارات على ما كانت عليه على الأقل بضع سنوات لتمكينهم عمل الترتيبات الضرورية للانتقال إلى الأماكن

الأخرى. وفي بعض البلدات قام الملاك بتجريف ما بناه اليهود فخسروا بذلك ما تكبدوه من أموال في سبيل إنشاء تلك المباني مما شكل كارثة مالية عليهم.

☆ ☆ ☆

وفقاً لهذا الالتماس السابق قام مجلس الشيوخ بإصدار قرار بتاريخ 7 مايو/ نيسان 1786 م سمح لأصحاب الملك بتأجير أملاكهم لليهود لإنشاء معامل التكرير أو الفنادق وتمثيل اليهود في المحاكم، لكنه رفض منحهم حق المثول أمام محاكمهم الخاصة السنهدرين في الخصوم مع المسيحيين، وهكذا بقية أمورهم الدينية فقط تبت أمام رجال الكهنة من الربابنة والقهال. ومنحهم أيضاً حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بهم، لكنه ترك للسلطات المحلية تقرير مقدار التعويض عليهم مما لحقهم من أضرار نتجت عن تجريف الأملاك التي أقاموا عليها مبانيهم السابقة.

مباشرة بعد هذا المرسوم السابق قام يهود روسيا البيضاء بالذهاب إلى موسكو بأعداد وفيرة مما أثار معارضة تجار المدينة. فلقد تقدم تجار موسكو من القائد العسكري في فبراير/ شباط، 1790م. باحتجاج على اليهود بأنهم يقوضون ازدهار التجارة في المدينة ببيعهم السلع تحت السعر المعياري. وهكذا نجح تجار موسكو في احتجاجهم بان حرموا اليهود من التسجيل التجاري لدى الدوائر الرسمية بموجب بعض القوانين.

وعلى الرغم من أفكار الإمبراطورة كاثرين الثانية التحررية فإن التحيز ضد اليهود في روسيا بدأ منذ زمن التقسيم الأول لبولندا.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد القيصر بولس الأول (1796 ـ 1801) Aul I.

الأحداث المأساوية في حياة القيصر بولس الأول Paul I. (1796 ـ 1801)، على سبيل المثال، الخلع والموت بعنف لأبيه، والمحاولات اللاحقة من أمه، كاثرين الثانية، لحرمانه من حق التعاقب على الملك، تركت انطباعاً

جدياً في تكوينه النفسي، فكان عهده أحد الفترات الأظلم في تاريخ روسيا. على الرغم من هذا، كان عهده العاصف فترة مواتية لليهود، فلقد كان موقفه منهم موقف المتسامح العطوف.وهذا يتجلى في التشريعات القليلة التي صدرت في عهده. فبناءً على نصيحة مستشاره، البارون Heiking، منح امتياز المواطنة إلى يهود Courland، وأعطاهم حقوقهم البلديةَ أيضاً، إذ لتاريخه كان اليهود في منطقة Courland محرومين منها. والموقف الأكثر أهمية هو معارضته لطرد اليهود من المدن العديدة من مثل Kamenetz-Podolsk وKiev. فحول هذا الوقت 1796 م قام مجلس الشيوخ بدون معرفة الإمبراطور بتشريع قانون فرض بموجبه مضاعفة رسم رخصة المتاجرة بالذهب على التجار اليهود ونمي للإمبراطور بأن فرض هذا الرسم أقر في عهد سابقته الإمبراطورة كاثرين الثانية عام 1794 م. وهكذا كان التجار اليهود يدفعون رسوماً ضعف ما يتوجب على باقي التجار من الجنسيات الأخرى.

☆ ☆ ☆

وفي عام 1799 م. قام السيناتور Derzhavin، شاعر روسي، بإرسال طلب إلى مدعي عام روسيا البيضاء يطلب فيه التحقق من شكاوى السكان اليهود لـ Shklov ضد مالكه General Zorich، وفي حوالي نفس الوقت إحدى المحاكم البيضاء الروسية كانت تحقق في اتهام لجريمة طقس الدم ضد اليهود. وكان Derzhavin يكره اليهود «أعداء السيد المسيح» فحاول أن يساعد Zorich، فاقترح على الإمبراطور بولس الأول بأن يصدر أمراً بأن لا تقبل شهادة الشهود اليهود حتى يثبت بأنهم أبرياء من الاتهام الموجه ضدهم بممارستهم لطقس الدم. هذا الاقتراح، لو أنه قبل، كان يمكن أن يكون كارثياً على اليهود الروس، لأنه كان يمكن أن يحرمهم من حق الشهادة في كل المحاكم، والتأثير العام له كان يمكن أن يحرم السكان اليهود من حق المواطنة. لكن الإمبراطور بولس الأول على أية حال، أشعر Derzhavin بأنه ليس هناك من حاجة للخلط بين الأمرين.

وفي عهده احتدم الصراع بين الفرق اليهودية من مؤيد للمذهب الحسيديم، ومعارض له، فكان منصفاً بينهما وأطلق من الحبس المعتقلين منهم، وكذلك أوقف حركة إجلاء اليهود من مواقعهم في المدن البولونية السابقة، وشجع مجلس الشيوخ لإصدار تشريعات خاصة بشأن اليهود، لكن عاجله الموت المبكر دون إتمامه لذلك، وفي عهده أيضاً تشكلت لجنه لمراقبة المطبوعات اليهودية.

☆ ☆ ☆

وضع اليهود في عهد الاسكندر الأول (1801 - 1825) .Alexander I

السنوات الأولى من عهد الإسكندر الأول. (1801 ـ 1825) تميزت بانتشار الأفكار التحررية والتشريعات المتحررة. فلقد تتلمذ الإسكندر الأول على أفكار كل من Laharpe وتأثر بأفكار Rousseau المفكر الفرنسي الذي كانت أفكاره التحررية إحدى بواعث الثورة الفرنسية التحررية، فحاول في زمن حكمه أن يضع هذه الأفكار في مجال التطبيق. وهكذا سادت في البلاد التشريعات المتسامحة فشملت معها أوضاع اليهود. بعد اصدار مجلس الشيوخ للقانون المؤرخ بتاريخ 9 من ديسمبر/ كانون الأول من عام 1802 م. والذي سمح لليهود بأن يشغلوا ما يصل إلى ثلث المقاعد البلدية، قامت حركة احتجاج على ذلك التشريع مطالبة بإلغائه لتعارضه مع الحقوق السابقة للسكان المسيحيين في العديد من المدن الروسية. وعلى الرغم من عداوة التجار المسيحيين لليهود، فإن بدء التحرر السياسي لليهود يمكن أن يقال بأنه بدأ بتشريع 1804 م للأقسام الإدارية، على أية حال، إمّا بتعمد أو بشكل غير واعٍ، لم تتفهم الإدارة الغرض الحقيقي من هذا القانون، مما عرقل أيّة محاولة مخلّصة إلى حل المسألة اليهودية بتحسين حالة اليهود الاقتصادية بأنفسهم.

كان غرض التشريع التشجيع في المركز الأول لانتشار التعليم الحديث بين الجماهير اليهودية، والتعجيل في تأهيلهم ليصبحوا مواطنين روس، ولقيادتهم إلى ممارستهم للأعمال الزراعية.

ولكن لسوء الحظ أولئك المؤتمنون على تنفيذ هذه الإجراءات كانوا مجردين من أي دوافع من الإنسانية والعدالة؛ وبدلاً مما سبق سعوا لنشر المعمودية المسيحية بقوة بين اليهود. وفي نتيجة هذا الموقف، أصبحت الجماهير اليهودية مرتابة من الحكومة وإجراءاتها.

☆ ☆ ☆

اليهود في عهد نقولا الأول Nicholas I., Pavlovich (1825 to 1855)

ولد القيصر نيقولا الأول عام 1796 م وتولى الحكم بين عام 1825 م وعام 1855 م وفي عهده سن العديد من التشريعات تحت إشرافه المباشر خاصة التي تتناول أوضاع اليهود في القيصرية، حتى أنه بلغ تعدادها 600 مرسوم. وإذا القينا نظرة على مجمل التشريعات التي تعود لأوضاع اليهود في روسيا القيصرية، فإننا نجد أن نصف التشريعات القانونية التي تخص اليهود في روسيا القيصرية بين 1649 و1881 م قد صدرت في خلال عهده، ووفق إشرافه المباشر.

لم يكن نيقولا الأول محباً للمعتقد الديني اليهودي، وحاول بكل جهده، أن يحول يهود روسيا إلى المعتقد المسيحي، سواء عن طريق التشريعات، أو عن طريق الترغيب والترهيب.

تميز موقفه نحو اليهود بكراهيته لإيمانهم، وبالمحاولات الدائمة لتحويلهم إلى المسيحية؛ ومن الناحية الأخرى، كان سيء الظن بهم، وسوء الظن هذا نشأ عن الاتهام بأنهم، أو على الأقل معظمهم، يشكل جمعية إجرامية متعصبة وجدت في الدين دعماً لأعمالها الشريرة. وليس هناك شك في أن اليهود في عهده قد حصروا في حضيرة المستوطنات، وفصلوا عن المسيحيين، بفضل سلسلة القيود القانونية التي خضعت لها القهال، وأقرت الإدارة الحكومية سلسلة من القيود على الحياة الوطنية والدينية لليهود تنم عن ضيق ملحوظ مُرفق بالجهل والتعصب كما تصف الموسوعة اليهودية. إضافة لما سبق كان هناك فقر مدقع يلف أولئك اليهود ضمن الحضيرة، مما أشاع مزيداً من الإحباط لدى السكان اليهود.

إن النظم الخاصة والقيود التي تتعلق باليهود والتي صدرت في العهود السابقة، والتي اعتبرتهم، لأنهم كانوا من غير المسيحيين، المناقض الطبيعي للمسيحيين، كانت تحت حكم نيقولا الأول واضحة بشكل غريب. وفي الحقيقة، فإن التشريعات في عهد نيقولا الأول فيما يتعلق باليهود عالجت المشاكل التاليةَ: **أولاً**، «التقليل من عدد اليهود في الإمبراطورية» والذي يترجم بتحويل العديد منهم إلى الديانة المسيحية كاحتمال مرجح. وثانياً، التقليل من اليهود بصورة تصل إلى حرمانهم من استقلالهم في الحقل الديني والقومي. وثالثاً، وهكذا بواسطة الإجراءات السابقة يصبح السكان اليهود غير مؤذيين إلى المسيحيين في كلا الحقلين الاقتصادي والأدبي. المشكلتان الأخيرتان أثبت أنهما مستحيلتان على الحل بواسطة الحكومة بشكل رئيسي، لأن الأخيرة لجأت لفرضهما بواسطة الإجراءات العنيفة. ولكي يَضعف التأثير الاقتصادي لليهود، ولإزالتهم من عزلتهم الدينية والوطنية، كان من الضروري تبعثرهم، وذلك بإعطائهم فرصة استقرار في مناطق واسعة سكنت منهم بشكل متناثر. وخوفاً، على أية حال، بأن مجموعات صغيرة من اليهود من أن تصبح أقوى اقتصادياً من الناس البليدين الجهلة حيث سكنوا، والسكان هم الذين كانوا ما يزالون عبيداً؛ ومخافة من أن يمارس اليهود تأثيراً دينياً على الروس، منعت الحكومة عن اليهود العلاقات العميقة المشجعة بينهم وبين المسيحيين الروس. ومن أجل تشجيع تحويل اليهود إلى المسيحية، لجأت الحكومة إلى الإجراءات المختلفة، والأكثر أهميةً بينها هي وهب اليهود المعمدين كل الحقوق التي يتمتع بها المسيحيون من نفس الرتبة. وكان هناك إجراءات مساعدة أخرى أيضاً. على سبيل المثال، من تعمدوا من اليهود أعفوا من دفع الضرائب لثلاث سنوات؛ والقتلة والمجرمون الآخرون الذين تبنوا المسيحية عوملوا بتساهل كبير. لكن الإجراءات اعتبرت من قبل اليهود بمثابة تحويل إلزامي إلى المسيحية، وكان هذا دافعاً نحو تقوية عزلتهم.

وعلى الرغم من القانون الذي سمح لليهود بدفع بدل عن الجندية فلقد

فرض عليهم تقديم عشرة جنود عن كل ألف منهم، في حين العدد هو سبعة عند المسيحيين، وخفض سن توجب الجندية إلى الإثنتي عشرة سنة، وفرض أيضاً تقديم شخص إضافي كجزاء تأخير عن كل ألف روبل مستحق من الضرائب لم يدفع، وفرضت المعمودية على المجندين، ووزعوا على أنحاء الامبرطورية مما شرذم اليهود.

وتم في عهده ملاحقة وأسر اليهود الذين كانوا لا يملكون جوازاً للسكن والذين كان يطلق عليهم كلمة «poimaniki.» وعلاوة على ذلك، وفي بعض النواحي كانت بعض السلطات تقوم على تمزيق الجوازات العائدة لليهود وتلقي القبض عليهم بحجة عدم حيازتهم لجواز يخولهم البقاء في البلاد، ولم يعد اليهودي أميناً لأيّ رجل لترك بيته. أما الأطفال فلقد عوملوا بقسوة وانتزعوا بالقوة، أو أخذوا بالخداع من أحضان أمهاتهم في ضوء النهار، وبيعوا بسوق النخاسة، كمن ليس له جوازات سفر.

كانت إصلاحات نيقولا الأول التربوية مشابهة في توجهاتها لإصلاحاته العسكرية. فلقد كان تعليم أطفال اليهود ينحو نحواً خاصاً في كل من حقلي التعليم الديني والقومي. وكان يتأثر إلى حد بعيد بالشروط العامة للحياة المدنية، وللعلاقات فيما بين اليهود والمسيحيين. لم يكن نيقولا الأول ليفارق تصميمه في تحويل اليهود نحو المسيحية، فلم يكن صديقاً لمن يحب أن ينشر روح التسامح فيما بين مختلف المعتقدات الدينية، وكان دافعه لحالة التنوير هو تحويل اليهود نحو المسيحية.

لكن وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت اوفاروف Uvarov كان في الظاهر صديقاً حقيقياً لليهود فقام على وضع الخطوط العامة للإصلاح التربوي يعاونه على ذلك اليهودي الألماني ماكس ليلينتال Lilienthal Max فتأسست المدرسة الحكومية التي تشمل الصفوف الابتدائية والتكميلية وكانت ممولة من قبل اليهود أنفسهم، وليس من قبل الخزينة العامة، رغم ما يدفعه اليهود من ضرائب للدولة. لكـن هذه المدارس أوكلت إدارتها للمسيحيين وفشـلت في

نظـر اليهـود بتشـكيل عنصـر تنوير لهـم في حقـل تراثهـم الدينـي والدنيوي.

وطبقاً للبرنامج السابق تم التبني بأن التلمود يحتوي على الشرور المختلفة. ورغماً عن ذلك فلقد تم تأسيس مدرستين ربانيتين لتدريب المعلمين والأحبار. ووضعت المدارس تحت مسؤولية رؤساء من المسيحيين، الذين كانوا علي أكثر حالات الخشونة والجهالة، والذين أمروا بغرس تعليمات في رؤوس الطلاب هي على نقيض تعليمات الإيمان اليهودي. وفي نفس الوقت تقريباً تم إضطهاد المعلمين الشعبيين اليهود («melammedim»)، الذين كانوا مسؤولين عن التعليم اليهودي للأجيال،. ولكن في نفس الوقت منحت هذه المدارس اليهود التعليم في حقول المعرفة العامة، ورغم ذلك فإنهم أخفقوا في إنجاز النجاح المتوقّع منهم. علاوة على ذلك، بعض القوانين شرعت بشكل آني مع افتتاح المدارس، وأيضاً لاحقاً، هي التي صحت الخوف على نفس النمط بين اليهود. وهكذا حرم اليهود بدون رحمة من العادات المقدسة المتوارثة منذ العصور القديمة، لكنها كانت قد أصبحت غير مهمة في أنفسهم، وبمرور الزمن ربما أصبحت بلا استعمال طبيعياً.

وكإجراء تربوي، حاولت حكومة نيقولاس الأول توجيه اليهود إلى العمل الزراعي. فالمزارعون منحوا امتيازات مختلفة في حقل دفع الضرائب، فأعفوا وسلالتهم من الخدمة العسكرية لفترة تمتد إلى خمسين سنة. . ولكن اليهود حرم عليهم إستئجار العمال المسيحيين للعمل لهم. ولكن في عام 1844م، أبطلت هذه الإجراءات المستبدة، وفي بنود 1852 شرعت قوانين جديدة لإقناع اليهود للموافقة على العمل في حقل الزراعة على مقياس أكبر. ولعزل اليهود، أعداد منهم طردت، تحت الذرائع المختلفة، من القرى، والبلدات، وكامل المحافظات. بالإضافة للأسباب العامة، كانت حالتهم الاقتصادية بثبات تتفاقم من أسوأ إلى أسوأ لأنهم كانوا قد أرغموا على دفع الضرائب مضاعفة من 1794 إلى 1817، وعندما ألغيت هذه الضرائب المضاعفة استبدلت بالضرائب اليهودية الخاصة من أجل القهال.

ربما يكون قرار إلغاء القهال عام 1844م هو الإجراء المفيد الوحيد لعهد نيقولا الأول. فهذه المؤسسة الانتخابية الشعبية، القهال، خدمت في وقت إنشائها في بولونيا وليتوانيا أغراضاً مفيدة لليهود في بولندا، حيث حمت اليهود من الجهات المعادية والعاصفة المحيطة بهم. أيضاً في روسيا قاتل القهال مراراً وتكراراً للدفاع عن المصالح اليهودية، لكن الخلافات الدينية ألتي اندلعت ضمن اليهود الروس، تحول القهال على أثرها إلى صالة للنزاع الحزبي والنزاع الداخلي. وتحول القهال إلى مؤسسة تهتم فقط بجمع الضرائب اليهودية لخزانة الإمبراطورية.

لكن إلغاء القهال كان له أيضاً جانبه السلبي. فلقد فقد بإلغائه المؤسسة ذات الصفة الرسمية المدافعة عن الحقوق اليهودية في وجه المصالح المسيحية، وحرم اليهود من العديد من المراكز التمثيلية التي كانت القوانين قد سمحت لهم بالمشاركة بها في زمن القهال.

لكن وعلى الرغم من عداوة نيقولا الأول نحو اليهود، فمما يجب أن يذكر له بأنه لعب دور حاميهم عندما اتهموا بجريمة طقس الدم ضد Velizh، في بادئ الأمر عندما اعتقد بصحة وحقيقة الاتهام، عامل المتهمين بالشدة العظيمة، لكن عندما أصبح واضحاً لديه أن الاتهام كان خاطئاً أدان الإجراءات الشاذة للجنة التحقيق تجاه اليهود. العديد من مراسيم التقييد لحقوق اليهود والتي أعلنت في عهد نيقولا الأول بقيت سارية المفعول حتى عام 1905.

☆ ☆ ☆

أليكساندر الثّاني. Alexander II., Nikolaievich (1855 - 81)

أي عصر جديد من الأمل ومن الإدراك الجزئي لمسألتهم جاء إلى يهود روسيا عند اعتلاء العرش أليكساندر الثّاني. Nikolaievich (1855-81) Alexander II. فلقد أظهرت النتائج الكارثية لحرب القرم سوء الماكينة الحكومية، ومعها عدم ملاءمة التشريعات الحكومية لتلبية الحاجات اليومية

للدولة؛ وأصبحت الحاجة ماسة للإصلاح ووضع بعض الإجراءات الإصلاحية قيد التنفيذ.وهكذا أبدى المجتمع الروسي بعض التسامح الديني تجاه الديانات الأخرى، وبدأ انتشار التعليم العلماني فيما بين أعضاء الشعب الروسي.لكن هذا الاتجاه جوبه ببعض التيارات المعارضة له مما دفع نحو التقليل من أثر تحسين أوضاع اليهود في روسيا.

في مقال في الموسوعة اليهودية حول الإمبراطور أليكساندر الثاني كتبه: Herman Rosenthal جاء فيه:

ولد أليكساندر الثاني في St Petersburg، بتاريخ 29 أبريل/ نيسان 1818؛ واغتيل هناك في 13 مارس/آذار 1881. خلف أباه، نيقولا الأول، في 2 مارس/ آذار 1855، قبل نهاية حرب القرم، وعند تسلمه الحكم بدأت بواسطته إصلاحات من كل الأنواع، الأكثر أهميةً هي إعتاق العبيد في عام 1861. ألغى في عهده حكم الإعدام أيضاً والحقوق الوراثيةَ لرجال الدين، أعاد تنظيم إقامة العدالة، أعطى حافزاً إلى الحكم الذاتي في المناطق المختلفة، من مدن، ومحافظات الإمبراطورية، حدد مدة الخدمة العسكرية، قدم بعض الإصلاحات الإنسانية في ميدان انضباط الجيش، ووجهت بشكل تشمل الجميع. تحت عهده، تطورت الصحافة والرأي العام إلى مدى كان مجهولاً سابقاً في روسيا، بسبب من التقييدات التي وضعت من الرقابة؛ وكل شكل من أشكال الصناعة، والتجارة، والفَن، والعلم، والأدب، شهد عصراً جديداً من النهضة.

☆ ☆ ☆

حاول نيقولاس الأول بطريقته الاستبدادية القاسية الخاصة تأهيل اليهود بأن يندمجوا في المجتمع الروسي ليصبحوا مواطنين روساً. من بين الإجراءات الصارمة التي فرضها كان فرض التربية العسكرية على الشبان اليهود في مدرسة cantonists للتربية العسكرية، والتي كان أعضاؤها من القاصرين اليهود الذين انتزعوا من أهلهم عن طريق القوة. وعبر الانضباط القاسي الذي كان يفرض

على التلاميذ، أرغموا في أغلب الأحيان على الانضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. إدراكاً منه للأخطاء التي ارتكبها أبوه في سياسته الاستبدادية نحو اليهود، سعى أليكساندر الثاني لتصحيح ذلك، وأظهر بصورة مبكرة تجاوباً ودّياً نحو مواضيع اليهود. ألغى مدرسة cantonists، سمح بدخول اليهود إلى المدارس العليا والجامعات، وبقوانين 16 مارس/آذار 1859، و27 نوفمبر/تشرين الثّاني 1861، منح إلى العلماء اليهود جامعة لتخريج التلاميذ منها، وسمح لليهود بممارسة تجارة الجملة، وبالمؤسسات الصناعية (1865) في بعض الظروف خارج الحضيرة اليهودية وفي المحافظات الداخلية لروسيا[1].

☆ ☆ ☆

في عصر اليكساندر الثاني كان اليهود قد حصلوا في معظم أنحاء أوروبا الغربية على مساواتهم بباقي السكان، لكن ما تم منحه في عهده من حقوق لليهود في روسيا، بسبب من بعض الظروف السياسية والاقتصادية، لم يكن ليشمل كل اليهود، ولكن شمل فقط بعض الطبقات منهم دون البقية من السكان. لم تكن هذه الإصلاحات تمس إلا العدد القليل من اليهود، فمثلاً من بين 2,500,000 يهودي من سكان الحضائر اليهودية المزدحمة في بولونيا وليتوانيا، لم يكن إلا القليل منهم يستطيع الخروج والإقامة خارج هذه الحضائر.

☆ ☆ ☆

هذه الإجراءات الفاترة السابقة، ومعها سوية حالات الغموض العديدة في القوانين الجديدة، تركت مجالاً واسعاً للمسؤولين لسوء الاستخدام، ونتيجة لذلك تعرض الصناع اليهود دائماً إلى الإزعاج منهم، ووصل في بعض الأحيان الإزعاج حتى الطرد من بيوتهم المؤسسة حديثاً. على الرغم من هذا، قدر اليهود الروس النوايا الطيبةَ من القيصر بالكامل، وإعتبروه دائماً كمحررهم. وهكذا

---

(1) Demidov st Donato, «المسألة اليهودية في روسيا»، St Petersburg, 188 p. 36.

جهد اليهود الروس بأنفسهم كي يتأقلموا مع المجتمع الروسي ليصبحوا ضمن نسيجه الاجتماعي، وكان ذلك خصوصاً في St Petersburg وموسكو، وفي مراكز تعلم اليهود Wilna، وكييف، وأوديسا، وفي كافة أنحاء جنوب روسيا. للمرة الأولى كان هناك نشرات دورية يهودية منشورة في اللغة الروسية: «Razsvyet» و«Sion»، و«عـريـن تـالـي»، Yevreiskaya Biblioteka، و«Voskhod»؛ والروس كانوا كثيرا مندهشين للأسلوب المتفوق لـOsip Rabinovich، Pinsker، Soloveichick، Levanda، والعديد منهم سعوا لإحاطة الجمهور الروسي الذكي علماً بأوضاع اليهود باللغة الدارجة، وحاولوا الدفاع عن حقوقهم من خلال ذلك. من بين اليهود الأرثوذكسيين أيضاً كان هناك عدد من الرجال من أصحاب العقول الحرة، صغاراً، وكباراً، هم الذين حاولوا تنوير الجماهير الأرثوذكسية وإنهاض المشاعر الوطنية فيهم من خلال النشرات والتعليم التحرري والثقافة الأوروبية، وبواسطة النشرات الدورية باللغة العبرية، مثل «ها Meli»؟، و«ها Karmel،» و«ها؟ efirah»، «والسابقة هي المجلات الأولى التي صدرت في اللغة العبرية في روسيا. لم يكن بالتأكيد عيب الجماهير اليهودية في أن البعض من الروس اليهود الشبان والتلاميذ كان نشيطاً في الحركة الثورية للسبعينات. أليكساندر الثاني عرف وقدر ولاء الغالبية العظمى من اليهود دائماً، وفي العديد من المناسبات كافأهم لخدماتهم إلى البلاد. عند اغتيال أليكساندر الثاني من قبل مجهولين، وهم الذين عرفوا لاحقاً، ندب يهود روسيا خسارة القيصر المحسن والمحرر لهم بعمق.

☆ ☆ ☆

أليكساندر الثالث. Alexander III (1881 - 94)

يؤشر عهد أليكساندر الثالث. (94 ـ 1881) إلى عصر ليس فيه رد فعل فقط، لكن عودة إلى الطرق التي كانت متبعة في عصور القرون الوسطى. ففي أثناء هذا العهد تشكلت لجنة تحت رئاسة الكونت Pahlen، للتحقيق بالمسألة

اليهودية؛ ومحصلة نتائجها كانت لصالح اليهود. أحد أعضاء اللجنة، Demidov، أمير سان Donato، دعا لإلغاء حضيرة المستوطنات التي حوصر في داخلها اليهود، بل ذهبت اللجنة بمطالبتها حق المطالبة بمنح اليهود الحقوق المساوية للروس. لكن قوانين، مايو/أيار، التي تقدم بها Ignatiev في 1882 كإجراء مؤقت حتى إكمال التحقيقات بلجنة Pahlen، كان أثرها العواقب الوخيمة على اليهود. فلقد استمر أليكساندر الثّالث بتأثره في موقفه نحو اليهود بتوجيهات وكيل المجمع الكنسي المقدّس، Pobiedonostzev، الذي عين نائباً عاماً في عام 1880م، والذي ذكر بأنه قال بأن الثلث من يهود روسيا يجب أن يجبروا على الهجرة، والثلث الآخر سيرغمون لقبول المعمودية المسيحية، والبقية سيجلبون إلى حافة المجاعة. وزعم برنامج Pobiedonostzev بأن الحكم المطلق والمذهب اليوناني الأرثوذكسي كانا الركنين الأساسيين من الإمبراطورية، منذ تاريخ إيمان الروس بالله وأن هذه هي الحقائق التاريخية. وهكذا ضمن موافقة أليكساندر الثّالث على تنفيذ إجراءاته الاستبدادية ليس ضد اليهود فقط، لكن أيضاً ضد الكاثوليك، واللوثريين، والأرمن.

☆ ☆ ☆

وفقاً لما أتى سابقاً من سياسة عامة للدولة، تم وضع القيود التي تحدد عدد الطلاب اليهود في المدارس العليا والجامعات (1887)، واستثناء اليهود من التعيين أو الإنتخاب كأعضاء في مجالس المدينة أو كأعضاء في مجلس النواب، والصرف من الخدمة للمستخدمين اليهود في دوائر سكك الحديد، وخطوط البواخر، وحتى من بعض المؤسسات الأخرى، كالمستشفيات (بالرغم من أنها كانت جزئياً مدعومة من قبل اليهود)؛ وعقبات رفعت أيضاً في وجه ممارسات شعائر الدين اليهودي. عنف المسؤولين البسيطين زاد تجاه اليهود، والحالة أصبحت أكثر حراجة بتحويل العديد من البلدات والمدن إلى قرى، وبطرد اليهود منها.. مناطق مثل Rostov وTaganrog، التي كانت جزءاً من الحضيرة اليهودية، ضمت إلى المنطقة العسكرية وتم طرد سكانها اليهود عام 1889م.

عدد كبير من اليهود طرد من St Petersburg بين 1888 1890. في وقت مبكر من الـ1891، تم تعيين الدوق الكبير Sergius (تم اغتياله في عام 1905) كحاكم عام لموسكو، وقرر إبعاد اليهود من موسكو بصورة سريعة وسرية مما حرم اليهود من جمع ديونهم. الطرد المماثل حدث في تولا، Novgorod، Kaluga، Ryazan، ريغا، الخ. واليهود الأجانب طردوا من البلاد بالأعداد العظيمة، وخصوصاً من جنوب روسيا. العديد من العوائل أمرت لترك ريغا وLibau في 1893؛ وفي نفس السنة كل السكان اليهود لـ Yalta وجهوا لترك تلك المدينة.

☆ ☆ ☆

كانت الأحوال الاقتصادية سيئة ضمن الحضيرة قبل هذا الطرد، وأصبح وضع اليهود أسوأ بعد هذا الطرد مما جعلهم يصنفون ضمن الفقراء من الروس. تفاقم الوضع الاقتصادي السيئ في روسيا مما أجبر الفقراء على العمل لمدة عشرين ساعة لقاء الخبز والماء فقط. وفي مقال نشر عام 1892 م في صحيفة الشمال حول وضع اليهود جاء فيه «أنه فقط ما يقرب من15000 يهودي هم من يملكون القدرة على العيش لكن الباقين هم دون القدرة على تحصيل ما يمكن أن يسد أود جوعهم أو يبقيهم أحياء يرزقون وهم أشد فقراً من أفقر المواطنين الروس الآخرين من المسيحيين.»

ورغماً عن التعتيم الإعلامي عن هذا الوضع السيئ لليهود ومنع انتقاله للخارج فلقد انتشر هذا الأمر في أوروبا الغربية مما أثار موجة عارمة من الإستنكار فيها.

☆ ☆ ☆

وكنتيجة لهذه السياسة العائدة للقرون الوسطى تم تشكيل لجان مختلفة من اليهود الروس للدفاع عن حقوقهم. ونظمت لجان في كافة أنحاء روسيا، وفي البلدان الأخرى لإغاثة اليهود المضطهدين في روسيا. وأثناء العقدين الأخيرين للقرن التاسع عشر أكثر من 1،000،000 يهودي ترك روسيا، الجزء الأعظم

ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بينما هاجرت الأعداد الأصغر إلى فلسطين، وأمريكا الجنوبية، وجنوب أفريقيا. هذه الحركة والتشريع القمعي في روسيا كانا وراء نمو القومية اليهودية بين اليهود الروس، ودفعهم إلى الاستعمار الزراعي في فلسطين، ونشوء منظمة الحركة الصهيونية.

☆ ☆ ☆

نيقولا الثاني .Nicholas II

لم تكن في محلها الآمال التي عقدها اليهود في روسيا على نيقولاس الثّاني إثر اعتلائه العرش في (نوفمبر/ تشرين الثّاني 1، 1894). لم تترك المعاملة المستبدة لليهود من قبل أليكساندر الثّالث مكانا لسوء الفهم بالنسبة إلى نواياه الحقيقية تجاه اليهود. بينما كانت سياسة نيقولاس الثّاني، أقل استبداداً، لكن أكثر مراوغة. فلقد خف التمييز القانوني ضد اليهود بعض الشيء في عهده، كما أنه توقف طرد اليهود من المحافظات الداخلية، ونجد هذا أيضاً في تطبيقه لقانون الخمسين الأكثر تحرراً، لكن دوافع مثل هذا الاسترخاء كانت نفعية وليس بدافع من تطبيق العدالة. بعض التأثير في هذا الاتجاه مورس بلا شك نتيجة لبعض العرائض العديدة المرفوعة من التجار المسيحيين ومزارعي الفرو الأستراخاني، Tambov، Borisoglyebsk، Tzaritzyn، الخ. ، الذين رأوا بأن إزالة اليهود من البلاد توصل إلى الخراب الاقتصادي.

من الناحية الأخرى، أعباء ثقيلة إضافية فرضت من حكومة نيقولا على يهود روسيا. مؤسسة احتكار المشروب الكحولي الحكومي (1896) حرمت آلاف العوائل اليهودية من إعالة عائلاتهم بسبب منعهم من تجارة المشروبات بالمفرق. وفي نفس السنة مزيد من القيود فرضت على حق الطلبة اليهود في الإقامة بجامعة موسكو، ومنع اليهود من العمل بسكك قطار السيبيري، وحددت نسبة النساء اليهود المسموح لهن دخول كلية الطب في بطرسبرغ إلى 3%، ولم يكن في الكليات الحديثة للهندسة في موسكو أي من الطلبة اليهود، ومنع

استعمال لغة اليديش (هي مزيج من اللغة العبرية واللغة الآرية كان يتكلمها اليهود في روسيا وبولونيا فهم لم يكونوا يعرفون لا اللغة الروسية ولا اللغة البولندية).

☆ ☆ ☆

اضطرابات ناتجة عن اتهام اليهود بارتكابهم لجريمة طقس الدم، وسلسلة من الأحداث المعادية لليهودية جلبت ضد يهود Irkutsk في 1896 وفي فبراير/ شباط 1897، اضطرابات معادية لليهود حدثت في Shpola، وحكومة كييف Kiev تتصرف بما يؤدي إلى دمار الكثير من أملاك اليهود، حدثت اضطرابات معادية لليهود أيضاً في Kantakuzov، وKherson، واتهام بارتكاب اليهود لجريمة طقس الدم في دولة فلاديمير؛ في 1899 عدد من الاضطرابات المعادية لليهود حدثت في Nikolaief وفي مكان آخر في جنوب روسيا، وفي السنة التالية، اليهود عانوا من الاضطرابات الإضافية والاتهامات بارتكابهم لجريمة طقس الدم.

☆ ☆ ☆

الأزمة الاقتصادية التي تتوجت في 1899 جلبت ضيقاً عظيماً على العديد من الجاليات اليهودية في جنوب روسيا، لكن جمعيةَ الاستعمار اليهودية أخذت إجراءات نشيطةً لإرسال المساعدة المناسبة إلى المحتاجين. . المنظمة الخيرية اليهودية أظهرت نفسها أيضاً في تلك السنة في مؤسسة جمعيات تمنح القروض لليهود، مدارس نموذجية، ومنازل رخيصة. علاوة على ذلك، مدارس تجارية وتقنية أسست في العديد من مدن الحضيرة.

☆ ☆ ☆

في عام 1899 تم طرد سبعين عائلة يهودية عاشت في Nijni Novgorod وفق رخصة مؤقتة، ومثلها أيضاً خمسة وستون pavers من مدينة كييف Kiev. قبول اليهود في الجامعات وفي المؤسسات التربوية الأخرى جعلت صعبة جداً.

في عام 1903 تم طرد يهود يقطنون في كييف Kiev، والقوقاز، وموسكو. اضطرابات مدمرة ومعادية لليهود سمح بوقوعها في Kishinef من خلال تغاضي الإدارات المحلية عنها، وهي التي كانت مدفوعة ومشجعة من قبل وزير الداخلية فون Plehve (تم اغتياله في عام 1904)؛ وفي سبتمبر/أيلول من نفس السنة حدثت اضطرابات مماثلة في منطقة Homel. وفي تلك السنة أيضاً صدر قرار بمنع الاجتماعات العائدة للحركة الصهيونية. كل هذه الإجراءات من الظلم (كما تصفها الموسوعة اليهودية) نفذتها الحكومة (كما اعترف فون Plehve إلى الزعيم الصهيوني، الدّكتور Herzl ثيودور هرتزل) بسبب من اشتراك الشباب اليهود في الحركة الاشتراكية.

☆ ☆ ☆

الإضطرابات في Kishinef وHomel والكساد الاقتصادي في ذلك العام أعطيا حافزاً قوياً إلى الهجرة اليهودية من روسيا، التي تضاعف عددها تقريباً خلال سنة.

استمرت الأمور في تفاقمها بتفشي الحرب الروسية اليابانية في فبراير/شباط، . 1904، وذلك عندما 30،000 يهودي ضموا إلي الكتائب العسكرية التي أرسلت إلى الشرق الأقصى. تم إرسال عدد كبير من الأطباء اليهود إلى الجبهة بصورة لا تتناسب مع تعداد اليهود في البلاد. وهكذا وجد السخط العام ضد الحكومة الذي كان سببه منظمة تجنيد الاحتياطي العسكرية، ومعه الاضطرابات المعادية لليهود والتي أضيف إليها الأزمة الاقتصادية الخطيرة، مما أوصل آلاف العوائل اليهودية إلى حافة المجاعة.

☆ ☆ ☆

بصيص من الأمل ظَهر إلى اليهود الروس حين تم تعيين الوزير التحرري، الأمير Svyatopolk Mirski، ليخَلف فون Plehve. ففي وعده بإجراء الإصلاح العام للوضع القائم، رأى اليهود أملاً في تحسين وضعهم

الحزين؛ لكن آمالهم، ومعها آمال كل الروس حطمت بالأحداث الصارمة لـ 22 كانون الثاني 1905 عندما مئات العمال قتلوا أو جرحوا في St Petersburg. خلال الكفاح للحصول على حكومة أكثر تحرّرا (1905) واليهود طبيعياً كانوا مشاركين إلى جانب الثوار.

☆ ☆ ☆

تاثر الوسط المثقف بالمجتمع الروسي بالحملة الصليبية المعادية للسامية «Novoye Vremya Svyet»، الخ.، وتم التفهم من قبلهم بأن ليس اليهود هم المسؤولين عن المحنة الاقتصادية لروسيا، ولكنهم والروس هم ضحايا لفساد النظام البيروقراطي السائد. الكتاب البارزون مثل تولوستوي، غوركي، وKorolenko إحتجوا على الحركة المعادية للسامية المنظمة ورأوا فيها خطراً ليس فقط على اليهود، لكن على الحضارة نفسها. من الناحية الأخرى، هناك جزء من الشعب الروسي الجاهل استمر في تبني العداء المنظم المستمر بعنفه ضد اليهود. وهكذا سوق أوراق مالية كورسك صمم على استثناء اليهود من العضوية في السوق، كما عمل مثله التجمع الزراعي ل Bessarabian؛ بالرغم من أن وزير الزراعة قد قام بتقدير ومدح زراعة العنب النموذجية التي زاولها يهود Bessarabian. قرار مماثل من الاستثناء صادقت عليه جمعية صناع أحذية أوديسا. التلاميذ اليهود لمدرسة Libau التجارية الذين جلبوا من قبل المدير في نزهة علمية إلى موسكو لم تسمح لهم السلطات بالدخول إلى المدينة. وكان هناك تمييز شديد آخر ضد اليهود في موسكو كان وراءه موقف الحاكم العام، الدوق الكبير Sergius من اليهود. ترجم المسؤولون البسيطون القانون وفق أهوائهم الخاصة، وبقي مستمراً رغم أن مجلس الشيوخ قد أقر تشريعات عكس ما يتبنون. الإجراءات القانونية في الحالات التي نشأت عن اضطرابات Homel كانت تحريفاً للعدالة، وهي التي ظهرت بالمحاولات العقيمة من ناحية السلطة القضائية لتبرير فصل الإدارة لليهود ولرمي اللائمة عليهم. تصرفات القضاء أقرف محامي الدفَاع عن اليهود بسبب من الإهانات والقيود التي كانوا يتعرضون إليها

من المحكمة، مما أوصلهم إلى اتخاذ القرار بالانسحاب من الدفاع عن المتهمين تاركيهم دون وكيل دفاع.

☆ ☆ ☆

الشرور العظيمة للنظام الرجعي لأليكساندر الثالث، ومعه قوانيين نيقولا الثاني، أوصلت اليهود الروس إلى المعاناة الصعبة. ما كان من ادعاء، بدون سند، لجعل اليهودي كبش الفداء لكل الفساد الحكومي والتخلف الاقتصادي في روسيا أديا إلى المظاهرات المعادية لليهود وللابتزاز اللانهائي، وإلى الدمار الكامل تقريباً لاحترام القانون، وإلى تفقير آلاف العوائل اليهودية وغير اليهودية، كل هذا مع فرض المعمودية الشاملة على كل اليهود بصورة إلزامية عملياً، أوصل إلى انتشار الهجرة بالصورة العريضة. من الناحية الأخرى، الإجراءات الحكومية قادت عدداً عظيماً من اليهود نحو السعي للتوظيف في الحرف وكعمال زراعيين في المزارع، ما أرغم المنتجين اليهود على تأسيس وتطوير الصناعات الجديدة على مقياس لم يسبق له مثيل ضمن الحضيرة، وخلق بين يهود روسيا يقظة ووعي وطنيين وجد التعبير عنهما في التعليم الذاتي الأوسع، وفي مؤسسة المجتمعات الأدبية والحلقات الثقافية، وفي نمو الصهيونية، وفي التصميم للمواصلة نحو نشر دعاية منظمة لرفع المستوى الحياتي والعقلي والأخلاقي للجماهير اليهودية.

☆ ☆ ☆

المسألة اليهودية في فرنسا

نظرة عامة

في مقال نشرته الموسوعة اليهودية عن اليهود في فرنسا « Jews in Fance» كتبه كل من الكتاب Joseph Jacobs, Israel Lévi, Isaac Broydé : جاء فيه :

لم يكن إبعاد Archelaus إلى Vienne من الـGaul في السنة 6م[1] وHerod Antipas إلى Lugdunum (Lyons) في سنة 39م[2] بالتأكيد العامل الرئيسي في الهجرة اليهودية نحو المنطقة الغالية؛ لكن، في الحقيقة، كان الدوافع نحو الهجرة هي الأسباب الإقتصادية العائدة لممارسة التجارة المتنقلة عبر الرحلات. وعلى الرغم من أنه ليس هناك برهان وثائقي يثبت حضور اليهود في هذه البلاد في زمن يعود تاريخه إلى وقت سابق من القرن الرابع، لكنهم كانوا بالتأكيد هناك قبل تلك الفترة. هيلاري من Poitiers (ماتتْ عام 366م) ممدوحة بسبب هربها من المجتمع اليهودي[3].

(1) Josephus, «Ant.» xvii. 13, 2 - 3; idem, «B. J.» ii. 7, 3; Dion Cassius Cocceianus, «Hist. Romæ,» lv. 27; Strabo, xvi. 2, 46.

(2) Josephus, «Ant.» xviii. 27, but differently in «B. J.» ii. 9, 6.

(3) Venantius Fortunatus, «Vita S. Hilarii,» iii.

ونص مرسوم الأباطرة Theodosius الثّاني. وValentinian الثالث.، والمعنون إلى Amatius، حاكم Gaul (يوليو/تموز 9، 425)، على منع اليهود والوثنيين من مزاولة القضاء ـ القانون ومن حصة المكاتب العامة («militandi»)، لكي لا يجبر المسيحيون بالخضوع إليهم من جهة، وليحرض اليهود على إعتناق الديانة المسيحية من جهة أخرى.[1]

في جنازة هيلاري، أسقف Arles، المقامة في عام 449م، اليهود والمسيحيون اختلطوا في الحشود وبكوا، بينما كان يغنى اليهود المزامير في اللغة العبرية.[2]

في سنة 465 الكنيسة أخذت موقفاً رسمياً من اليهود. مجلس Vannes (465) عرض للبحث العلاقة والتصرف بين رجال الدين المسيحيين ورجال الدين اليهود في حال حصول دعوة متبادلة لموائد الطعام. ولأن، الطعام المسيحي ممنوع تناوله على رجل الدين اليهودي، بحكم أنه لايتوافق مع ما هو حلال في الشريعة التلمودية، وفي حال قبول رجل الدين المسيحي تناول الطعام اليهودي، آنذاك يظهر رجل الدين المسيحي أمام رجل الدين اليهودي بأنه في مرتبة أدنى منه.[3]

☆ ☆ ☆

تواجد اليهود في منطقة Marseilles في القرن السادس الميلادي. وفي Arles وفي Uzès وفي Narbonne وفي Orleans وفي Paris وفي Bordeaux وفي Clermont - Ferrand وكانت هذه الأماكن هي مراكز الإدارة الرسمية الرومانية وتقع على خط شبكة الطرق التجارية الرئيسية، وكان لليهود فيها معابد

(1) «Constit. Sirmond.» vi., ed. Hoenel, «Corpus Juris Antejustin.» i. 458.

(2) Honoratus «Vita Hilarii,» 22; «Prosperi et Honorati Opera,» ed. Salinas, p. 304, Rome, 1732.

(3) «Concil. Vanet.» can12; Mansi, «Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio,» vii.954.

خاصه بهم.[1] وتشير المراجع إلى أن وضع اليهود القانوني في هذه المناطق كان مماثلاً لما كان عليه داخل الأمبرطورية الرومانية.[2].

وتشير المراجع إلى أن اليهود كانوا يمارسون في ذلك الزمن أعمال التجارة بالصورة الرئيسة، وتجارة النخاسة، والطب، وجباية الضرائب. وبقي اليهود على قدم المساواة خاضعين مع الآخرين للقانون الروماني حتى زمن انتصار الديانة المسيحية في زمن الإمبراطور كركالا.

☆ ☆ ☆

أثناء هذه الفترة، سعت الكنيسة لتعديل الشروط المعمول بها للمصلحة المسيحية. ففي مجالس الأقاليم، الأساقفة تبنوا سلسلة من الإجراءات لغرض خلق هوة بين اليهود والمسيحيين، وتأشير وضاعة اليهود. كما هو منصوص سابقاً من شرح للموضوع، منع مجلس Vannes رجال الدين من أخذ وجبات طعامهم مع رجال الدين اليهود.[3]

وكرر هذا المنع أثناء مؤتمر Agada في عام 517م. ومرة أخرى في المؤتمر الثالث Orleans تم منع الزواج بين اليهود والمسيحيين، وأيضاً في كل من مؤتمر Orleans الثاني عام 533م ومؤتمر Clermont, 535 ومؤتمر Orleans 538.

المسيحيون الذين لا يوافقون على فسخ عقودهم بالزواج يطردون من الكنيسة.

مجلس كليرمونت (535) حرَّم تعيين اليهود كقضاة في البلاد.

(1) for Clermont, see Gregory of Tours, «Hist. Franc.» v.11; for Orleans, ib. viii. 1.

(2) «Cod. Theod.» 4, xvi. 8: «Hieros et archisynagogos et patres synagogarum et ceteros qui synagogis deserviunt».

(3) «Concil. Vanet.» can. 12; Mansi, vii. 954; compare the action of the Council of Elvira in 305.

المجلس الثالث لـ538 Orleans والمجلس الثاني لـ581 Macon ذكر: بأن منذ عيشنا، بنعمة الله، في ظل حكم من الملوك الكاثوليكيين، «اليهود يجب أن لا يظهروا بين المسيحيين لأربعة أيام متتالية بعد الجمعة العظيمة.»

المجلس الرابع لـ 541 Orleans أمر بين الأشياء الأخرى بأن المسيحي الذي يعود إلى الديانه اليهودية «advena»، أو أعاد إلى دينه يهودياً كان قد عمد، أو امتلك لنفسه عبداً مسيحياً، أو حول إلى اليهودية أي واحد من الذين ولدوا من الأباء المسيحيين، يجب أن يعاقب بخسارة كل عبيده.

أي واحد ولد من الأباء المسيحيين وأصبح يهودياً، وحصل على حريته بشرط بقائه يهودياً، مثل هذا الشرط، يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار كفراغ، لأنه ظالم والمحرر يجب أن يتمتع بالحرية في أن يرتبط بالمسيحية.

مجلس Macon (581) كرر المنع ضد تعيين اليهود كالقضاة، وحرمهم أيضاً من منصب مكتب جابي الضريبة، «لكي لا يكون المسيحيون خاضعين إلى أولئك الذين يرفضون الله».

إلى منع الظهور علناً أثناء أسبوع الآلام أضيف الإلتزام بإظهار الوقار إلى القسسة وتحريم المشي أمامهم. أولئك الذين يكسرون هذا القانون يعاقبون من قبل القضاة المحليين.

على الرغم من مراسيم المجالس السابقة، استمر اليهود الذين يعيشون في البعض من البلدات في إحتجاز عبيد مسيحيين.

مجلس Macon، أمر بأن مثل هؤلاء العبيد كانوا يمكن أن يفتدوا مقابل إثني عشر دانق. واما يكونون مجموعة من الأحرار أو يستمرون في العبودية تحت سادتهم الجدد.

إذا رفض اليهود أن يحرروهم، العبد، حتى قبل تسديده وقبض سيده سعره، يجب أن يكون حراً في إختياره للسكن بين المسيحيين حيثما يشاء.

إذا نجح يهودي في تحويل العبد المسيحي إلى اليهودية يفقد اليهودي حقوق ملكيته على ذلك العبد.

مجلس Narbonne منع اليهود من أن يغنوا المزامير في دفن ناسهم الخاصين؛ أولئك الذين انتهكوا هذا المرسوم أرغموا على دفع غرامة إلى لورد المدينة.

المجلس الخامس لباريس (614) منع اليهود من السؤال أو من ممارسة الحقوق المدنية أو الإدارية على المسيحيين، ما لم تقبلوا هم وعوائلهم المعموديةَ من أسقف المكان.

نفس المنع جدد في مجلس Rheims في 624 ـ 625.

عاد هذا المجلس إلى سؤال العبيد المسيحيين وأمر، في حال، اليهودي حول أو عذب عبيده المسيحيين عند ذلك يجب أن يرجع هؤلاء العبيد إلى خزينة الدولة.



Under Childebert and Chilperic

قد يرى بأن هذه الإجراءات المختلفة لم تكن في أية حال أسست على الافتراض بأن اليهود أذلوا، لكن من الممكن إعتبارها بأنها كانت منسقة بوجهات نظر علماء الدين والسياسيين في ذاك الزمان.

الكنيسة، كما سيلاحظ، لن تقتنع بإصدار حظر للعلاقة بين المسيحيين واليهود، وهم الذين أصبحوا يخضعون، في بعض الحالات، للسلطة القضائية الخاصة، وفي نفس الوقت أنيط بالسلطات المدنية الإهتمام والمساعدة في تنفيذ إجراءاتها. إعتقد المجلس من الضروري أيضاً الحصول على سند القوة الدنيوية لشرائعه، وهذا الهدف تابعه بشكل لايكل وبالنجاح الكثير، عند ملوك Merovingian الذين أظهروا عموماً بأنفسهم الرغبةَ لقبول سلطته؛ رغماً عن أن البعض منهم ما كانوا مطيعين لطلبات رجال الدين.

البابا كريكوري الكبير (599) وبخَ الملكةَ Brunhilda، والملك Thierr،

والملك Burgundians، والملك Theodebert، ملك Austrasia، على قرارهم بالسماح لليهود إحتجاز عبيد مسيحيين. لكن مثل هذه المقاومة كانت نادرة: إنّ قوة الكنيسة في ذَلك الوقت، كانت في حالة بربرية تقريباً، أمر مشهور.

Childebert كان الملك المتعصب الأول، الذي صدق على قرارات المجلس الثالث لـ Orleans والتي تتعلق بحضور اليهود علناً أثناء أسبوع الآلام[1]، ووفقاً لـ Boretius ليس من المؤكد بأن هذا القرار أصبح جزءاً من الدستور في البلاد[2]، ألغى (555) Ferreol، أسقف Uzes، هذا القرار والسبب أن كان عنده علاقات صداقة مع اليهود.[3]

Chilperic بنفسه تأثر بما تريده الكنيسة. ففي عام 582 أوصل العديد من اليهود إلى الخط التعميدي، لكنهم ما كانوا جميعاً مخلصين، وعاد الكثير منهم إلى أصلهم «الغدر»؛ إستخدم كأمين للصندوق، أو وكيل شراء، يهودي يدعى Priscus، وحثه عبثاً لكي يعمد، ووعده إنْ تعمد بأن يجعل منه Nogentsur-Marne، وكذلك فعل مع Gregory of Tours الذي شجعه على العمادة. لكن أخيراً، إختاره إلى السجن «لكي يرغمه على العمادة رغماً عن أنفه.»

وعد Priscus الملك بالتوصل إلى نتيجة في الوقت المناسب.

وفي خلال فترة النزاع بين Priscus والبعض Phatir، تعمد عدد من اليهود تحت ضغط بعض الإغراءات الممنوحة من الملك وبينما Priscus كان على طريقه إلى الكنس مع مرافقه Phatir قام الأخير بذبحه ولجأ إلى كنيسة St Julien. القاتل قتل بعدئذ في مملكة Gontran من قبل أقرباء Priscus.[4]

---

(1) «Concil. Matisc.» can. 14; Mansi, xiv. 836»

(2) see «Beiträge zur Capitularienkritik,» p. 21

(3) «Vita Ferreoli, apud Marcus Antonius Dominicy, Ausberti Familia Rediviva,» App., p. 27, Paris, 1648»

(4) Gregory of Tours, «Hist. Franc.» vi. 17.

لم يكن الملك Gontrang أقل من الملك Chilperic في تعصبه.ففي مناسبة دخوله إلى مدينة Orleans عام 585م. إنضم اليهود إلى السكان في غنائهم بالمدائح له بلسانهم الخاص، لكن قال الملك من على منضدة الخطابة:

«إلى هذا الشرير والجنس اليهودي، الذي يزدهر فقط بواسطة الخبث.

اليوم كانوا مسرفين بتملقهم الصارخ؛ كل الناس قالوا: يجب أن يقدموا ولاءهم لي كلوردهم، وبهذا فقط يمكن إقناعي لإعادة بناء، على نفقة الدولة، كنسهم المحطمة من المسيحيين منذ عهد بعيد.[1]، وأنا لن أعمل لإجلهم شيئاً قد حرمه الله لقاء لا شيء.»

Clotaire II، الذي كان قد رفع إلى العرش في كونجرس الأساقفة، عجل لتشريع (أكتوبر/تشرين الأول 18، 614) شريعة المجلس الخامس لباريس (أكتوبر/تشرين الأول 10، 614) والذي حدد شؤون اليهود القانونية[2].

Gondebaud، الملك الرابع لـBurgundians، في نضاله المعادي لكلوفيس (500) Clovis كان قد تعرض إلى عداوة رجال الدين، فاجبر الأخير على الموافقة على اعتناق المسيحية.

في ذاك الزمن عرف ما يسمى بـ Loi Gombette والذي نص مع بعض الأمور الأخرى على تحريم الزواج فيما بين اليهودي والمسيحي وفقا لقانون IX Theodosius وأضاف إعتبار من يقوم بمثل هذا الزواج بأنه زان.[3]

وحوالي السنة 517 نفس قانون Gondebaud نص، في القانون المنسوب إليه، أن أي يهودي الذي ضرب أو رفس مسيحي يجب أن يعاقب بقطع يده، وهذا العقاب يمكن أن يستبدل بدفع تعويض من 75 دانق للمتأذي وغرامة من 12

---

(1) Gregory of Tours, «Hist. Franc.» viii. 1

(2) «Chlotar. Edit.» cap. x., ed. Boretius, i. 22

(3) «Lex Rom. Burg.» tit. xix. 4; «Monum. Germ. LL.» iii. 609.

والملك Burgundians، والملك Theodebert، ملك Austrasia، على قرارهم بالسماح لليهود إحتجاز عبيد مسيحيين. لكن مثل هذه المقاومة كانت نادرة: إنّ قوة الكنيسة في ذلك الوقت، كانت في حالة بربرية تقريباً، أمر مشهور.

Childebert كان الملك المتعصب الأول، الذي صدق على قرارات المجلس الثالث لـ Orleans والتي تتعلق بحضور اليهود علناً أثناء أسبوع الآلام[1]، ووفقاً لـ Boretius ليس من المؤكد بأن هذا القرار أصبح جزءاً من الدستور في البلاد[2]، ألغى (555) Ferreol، أسقف Uzes، هذا القرار والسبب أن كان عنده علاقات صداقة مع اليهود.[3]

Chilperic بنفسه تأثر بما تريده الكنيسة. ففي عام 582 أوصل العديد من اليهود إلى الخط التعميدي، لكنهم ما كانوا جميعاً مخلصين، وعاد الكثير منهم إلى أصلهم «الغدر»؛ إستخدم كأمين للصندوق، أو وكيل شراء، يهودي يدعى Priscus، وحثه عبثاً لكي يعمد، ووعده إنْ تعمد بأن يجعل منه Nogentsur-Marne، وكذلك فعل مع Gregory of Tours الذي شجعه على العمادة. لكن أخيراً، إختاره إلى السجن «لكي يرغمه على العمادة رغماً عن أنفه.»

وعد Priscus الملك بالتوصل إلى نتيجة في الوقت المناسب.

وفي خلال فترة النزاع بين Priscus والبعض Phatir، تعمد عدد من اليهود تحت ضغط بعض الإغراءات الممنوحة من الملك وبينما كان Priscus على طريقه إلى الكنس مع مرافقه Phatir قام الأخير بذبحه ولجأ إلى كنيسة St Julien. القاتل قتل بعدئذ في مملكة Gontran من قبل أقرباء Priscus.[4]

(1) «Concil. Matisc.» can. 14; Mansi, xiv. 836»
(2) see «Beiträge zur Capitularienkritik,» p. 21
(3) «Vita Ferreoli, apud Marcus Antonius Dominicy, Ausberti Familia Rediviva,» App., p. 27, Paris, 1648»
(4) Gregory of Tours, «Hist. Franc.» vi. 17.

لم يكن الملك Gontrang أقل من الملك Chilperic في تعصبه. ففي مناسبة دخوله إلى مدينة Orleans عام 585م. إنضم اليهود إلى السكان في غنائهم بالمدائح له بلسانهم الخاص، لكن قال الملك من على منضدة الخطابة:

«إلى هذا الشرير والجنس اليهودي، الذي يزدهر فقط بواسطة الخبث.

اليوم كانوا مسرفين بتملقهم الصارخ؛ كل الناس قالوا: يجب أن يقدموا ولاءهم لي كلوردهم، وبهذا فقط يمكن إقناعي لإعادة بناء، على نفقة الدولة، كنسهم المحطمة من المسيحيين منذ عهد بعيد.[1]، وأنا لن أعمل لإجلهم شيئاً قد حرمه الله لقاء لا شيء.»

Clotaire II، الذي كان قد رفع إلى العرش في كونجرس الأساقفة، عجل لتشريع (أكتوبر/تشرين الأول 18، 614) شريعة المجلس الخامس لباريس (أكتوبر/تشرين الأول 10، 614) والذي حدد شؤون اليهود القانونية[2].

Gondebaud، الملك الرابع لـBurgundians، في نضاله المعادي لكلوفيس (500) Clovis كان قد تعرض إلى عداوة رجال الدين، فاجبر الأخير على الموافقة على اعتناق المسيحية.

في ذاك الزمن عرف ما يسمى بـ Loi Gombette والذي نص مع بعض الأمور الأخرى على تحريم الزواج فيما بين اليهودي والمسيحي وفقا لقانون IX Theodosius وأضاف إعتبار من يقوم بمثل هذا الزواج بأنه زان.[3]

وحوالي السنة 517 نفس قانون Gondebaud نص، في القانون المنسوب إليه، أن أي يهودي الذي ضرب أو رفس مسيحي يجب أن يعاقب بقطع يده، وهذا العقاب يمكن أن يستبدل بدفع تعويض من 75 دانق للمتأذي وغرامة من 12

(1) Gregory of Tours, «Hist. Franc.» viii. 1
(2) «Chlotar. Edit.» cap. x., ed. Boretius, i. 22
(3) «Lex Rom. Burg.» tit. xix. 4; «Monum. Germ. LL.» iii. 609.

دانق للدولة. وفي حالة المضروب كان كاهناً تصبح العقوبة الموت ومصادرة الملكية.[1]

Conversion of Jews

لكي يؤمن النصر العام للكنيسة، سعى رجالُ الدين لجَلب اليهود إلى قبول المعمودية. سايمون الذي تعمد حول السنة 350 أصبح أسقفاً لمنطقة ميز[2] Metz مجلس (506) Agda قرر الشروط التي يجب أن يلتزم بها أي يهودي في سبيل تلقي المعمودية. Ferreol، أسقف Uzes، حولهم إلى المسيحية بالمعاشرة والإتصال المألوف معهم. وبخَ بشدة لهذا العمل من قبل Childebert، وأمر Ferreol يهود أبرشيته بأن يجتمعوا في كنيسة St. Theodoric، وأوعظ عليهم في خطبة تعميدية. شَجب بعض اليهود إيمانهم اليهودي؛ ومن تخلف منع مع الآخرين من أن يبقوا في المدينة، وتم طردهم من أبرشيته (558).[3]

القدّيس جيرمين (568) يهودي تعمد في Bourges وتسمّى Sigerich[4].

Avitus، أسقف كليرمونت، كافح لمدة طويلة في سبيل تعميد اليهود. بالنهاية كان هناك في عام (576) يهودي أراد أن يعمد.

صب أحد أخوته في الدين السابقين من اليهود نفطاً نتناً على رأسه.

وفي الأحد التالي قام الغوغاء الذين رافقوا الأسقف بهدم الكنس اليهودي كلياً. أخبر بعدئذ الأسقف اليهود بأن ما لم يرغبوا باعتناق المسيحية يجب عليهم أن يهجروا أسقفيته لأنها لن تحوي سوى مؤمنين من دين واحد. ويقالُ بأنّ خمسمئة يهودي قبلوا المعمودية، وانسحبت البقيَة إلى Marseilles[5].

---

(1) «Libr Leg. Gundob.» 102, 1-3; «Monum. Germ. LL.» iii. 573

(2) «Pauli et Petri Carmina,» 25, 25: Migne, «Patrol. Lat., Poet. Lat. Carol.» i. 60.

(3) «Vita Ferreoli,» l.c

(4) Venantius Fortunatus, «Vita S. Germ.» cap. 62.

(5) Gregory of Tours, «Hist. Franc.» v. 11; Venantius Fortunatus, «Carm.» v. 5, a poem written at the command of Gregory.

مثال Avitus تكرر من قبل Virgilius، أسقف Arles، ومن قبل ثيودور Theodore، أسقف Marseilles، وأصبح ضرورياً للبابا كريكوري الكبير، بأن يوجه نداء إلى اليهود الذين اشتغلوا في التجارة في Marseilles، بأن يتصرفوا باعتدال أكثر، ويمارسوا فقط الإقناع كطريقه وحيدة للتعامل مع الذين يتعمدون[1].

Sulpicius، أسقف Bourges قبل (644)، انغمس بالحماسة المساوية من أجل عمادة السكان اليهود.[2]

اليهود ما كانوا غير مكترثين في المشاكل التي دمرت البلاد أثناء الكفاح مع «بربر» ومع المواطنين الآخرين دافعوا عن مدينة Arles، وهم الذين حوصروا في (508) من قبل فرانكس وBurgundians.

عندما الأسقف Cæsarius،، أعطىَ دليل ميول نحو Burgundian واحد من أقربائه هرب إلى القوات العدائية، واليهود والقوطيون اتهموا الأسقف بالخيانة. طبقاً لمؤرخ، وجد يهودي لفَتح المفاوضات مع العدو ولاقتراح استسلام المدينة.[3] هذه القصّة لم تكن صحيحة.[4]



Under Dagobert

في عام 629م الملك Dagobert اقترح تهجير كل اليهود الذين لا يقبلون المسيحية من أراضي مملكته. كان محرضه إلى هذه الخطوة Heraclius،

---

(1) «Epist. Greg.» i. 47; ed. Migne, lxxvii. 509.

(2) Vita S. Sulpicii,» i. 14

(3) Vita S. Cæsaril Episc. Arelat.» i., by S. Cyprius, Bishop of Toulouse; ed. Migne, «Patrol. Lat.» lxvii

(4) see Israel Levi in «R. E. J.» xxx. 295 et seq

إمبراطور الشرق، الذي توقع له المنجمون دمار إمبراطوريته من قبل ناس مختونين.[1]

القصة، أسطورة في نفسها، ولم تنتشر حتى بعد الغزو العربي في عام 632م.

لكنها عرفت من مصادر أخرى فرجال الدين ما كانوا أبداً أقوياء جداً تحت أيّ من ملوك الـMerovingian كزمن حكم الملك Dagobert. فمنذ عهده إلى عهد الملك Pepin، لم يذكر تناقص لعدد اليهود في البلاد مماثلاً له.

لكن في جنوب فرنسا، التي كانت معروفة بـ«Septimania» وكانت من تابعية Visigothic ملوك إسبانيا، اليهود واصلوا سكنهم وإزدهارهم.

من هذا العهد (689) يؤرخ النقش اليهودي المعروف بأنه أول نقش يهودي يتعلق بفرنسا، كان من منطقة Narbonne.[2]

كان يهود Narbonne، بصورة رئيسية تجاراً، معروفين بين الناس، التي ثارت في أغلب الأحيان ضد ملوك Visigothic[3]. ومن المشهور بأن Julian of Toledo اتهم Gaul بأنه من التابعيه اليهودية.

Wamba (672 ـ 680) أمر بأن كل يهود عالمه يجب عليهم امّا أن يعتنقوا المسيحية أو أن يتركوا البلاد.

هذا المرسوم، الذي «هدّد مصالح البلاد، «كان مثار إنتفاضة عامّة.

كونـت Nimes، وHilderic؛ ورئيس دير Ramire؛ وGuimaldus، أسقف Maguelon، أخذوا اليهود تحت حمايتهم، وأرغموا جيرانهم حتى على اتباع مثالهم.

(1) Fredeg. «Chron.» 65, ed. Monod, p. 147; comp. «Gesta Dagoberti,» c. 24; Bouquet, ii. 586

(2) «R. E. J.» xix. 75

(3) Hist. Rebel. Adversus Wambam Insultatio in Tyrann. Galliæ i. 25; ed. Migne, xcvi. 797.

لكن التمرد سحق، ومرسوم الطرد وضع موضع التنفيذ في عام (673) م.

منفى اليهود ما كان لمدة طويلة، فمنذ عام (681) المجلس الثاني عشر لـToledo اعترف بهم، وفي عام 694، Egica طلب عقاب اليهود الراجعين، لكن هذا الإجراء كان موجهاً نحو أولئك الذين سكنوا محافظات Gaul، ولكي يساعد هذه المناطق في التعافي من الخسائر التي تكبدوها، وعموماً، السكان اليهود الذين سكنوا في البلاد ساعدوا الدوق حاكمها في إعادة المؤسسات الصناعية وبموهبتهم في حقل الأعمال وبعنايتهم لها.

لكن هذا كان دائماً مع الطلب منهم بأن يفهموا بأنه يتوجب عليهم العمادة والتسليم بالإيمان الكاثوليكي.[1]

☆ ☆ ☆

Carlovingian Period: «King of the Jews» at Narbonn

من رسالة البابا ستيفن الثّالث (768 ـ 772) Pope Stephen III إلى الأسقف Aribert من Narbonne كان يرى فيها بأن في وقته، كان اليهود ما زالوا يسكنون في Provence، وحتى في أرض Narbonne، ويتمتعون بمدة خدمة allodial وراثية، وكانوا معفيين من دفع ما يفرضه النظام الضريبي العالي في البلدات والأطراف بموجب تنازل من «ملوك فرنسا.»

إمتلك اليهود الحقول، ومزارع العنب، واستخدموا المسيحيين عمالاً لديهم.[2]

من المحتمل أن هذا التنازل من ملوك فرنسا لليهود كان يرتبط بالوضع القائم آنذاك، وفي الكفاح ضد العرب. «الروماني من Philomene»[3] يروي

(1) Dom Vaissette, «Hist. Générale de Languedoc,» ed. Privas, i. 75 - 751.

(2) StephaniPapæ Epist.» 2; ed. Migne, cxxix. 857.

(3) Dom Vaissette, ed. Du Mège, addit. to iii. 30.

كيف أن شارلمان، بعد حصار رائع لـ Narbonne، كافأ اليهود للموقف الذي أخذوه في محيط المدينة؛ منحهم، لأجل استعمالهم الخاص جزءاً من المدينة، ومنحهم الحق بالعيْش تحت ظل حكم «ملك يهودي،» كما المسلمون عاشوا في ظل حكم ملك مسلم.

مير، إبن سايمون من Narbonne (1240)، في «Milemet Miwah» يشير إلى نفس القصةِ، ويقول بأنها حقيقة مشهورة، ويضيف، بأن في حصار Narbonne الملك تشارلز، بعد أن قتل حصانه تحته، كان عرضة لأن يقتل، لكن يهودياً ترجل وأعطى الملك حصانه مما كلفه هذا العمل حياته الخاصة، فلقد قتل من قبل المسلمين أثناء القتال.

من أجل هذا منح الملك تشارلز اليهود جزءاً ثالثاً من البلدة وضواحيها.[1]

وهناك وثيقة تؤكد هذا وجدتْ مرة في دير Grasse، أظهرت بأن تحت حكم الإمبراطور شارلمان كان «ملك اليهود» ممتلكاً قسماً من مدينة Narbonne منحه له الملك شارلمان في عام 791.[2] وقد دعي هذا الجزء الخاص باليهود بـ«المدينة الجديدة».

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم شارلمان

مهما يكن قسط الحقيقة في هذه القصصِ السابقة، فالمؤكد بأن اليهود كانوا عديدين في فرنسا تحت حكم شارلمان، ووضعهم كان ينظمه القانون. فكان هناك صيغة ثابته للقسم اليهودي[3].

وسمح لهم بالخصومه القانونيه امام المحاكم مع المسيحيين[4]، وفي

(1) Neubauer, in «R. E. J.» x. 98 - 99.

(2) Note of Du Mège, «Mémoires de la Socété des Antiquaires,» 1829, viii. 340

(3) «Capit. de Judiæs,» cap. 4; Boretius, i. 258

(4) «Capit. Miss. Aquisgran. Alt.» cap. 13; Boretius, i. 152

علاقاتهم مع المسيحيين سمح لليهود بالراحة يوم السبت، وبالراحة للمسيحيين يوم الأحد[1].

منع عن اليهود المتاجرة بالسلع العائدة لملكية الكنيسة. ومنع عنهم أيضاً المتاجرة في العملة، والنبيذ، أو الذرة.[2] وحوكموا من قبل الإمبراطور نفسه، الذي تعود ملكيتهم إليه كأقنان.

عملوا في تجارة الصادرات، وكلفهم شارلمان الذهاب إلى فلسطين والعودة منها محملين بالبضائع الثمينة[3].

علاوة على ذلك، عندما Normons نزلوا على ساحل Narbonnese Gaul كان هدفهم من ذلك التجار اليهود[4].

إسحاق، اليهودي، الذي أرسل من قبل شارلمان في عام 797 م مع سفيرين إلى هارون الرشيد، كان من المحتمل أنه كان أحد هؤلاء التجار[5].

بين مجالس الأقاليم العديدة التي اجتمعتْ أثناء عهد شارلمان لا واحد من المجتمعين كان مهتماً باليهودية، بالرغم من أن عددهم قد ازداد.

وبنفس الروح كما في الأساطير المذكورة أعلاه ممثلُ شارلمان سأل الخليفة في بغداد السماح لأحد الاحبار اليهود الذهاب للاسْتقرار في Narbonne حيث سمح لهم بالسكن[6].

(1) Capit. de Judæis,» cap. 1-3; Boretius, i. 258: though it is doubtful whether this paragraph dates from Charlemagne

(2) ib.; also a doubtful paragraph according to Boretius.

(3) «Mon. Sangal.» i. 16; «Monum. Germ., Scriptores,» ii. 737.

(4) ib. ii. 14; ii. 757.

(5) «Einh. Annal.» ad ann. 801; «Monum. Germ., Scriptores,» 1, 190.

(6) Sefer ha-Ḳabbalah,» ed. Neubauer, in «Med. Jew. Chron.» i. 82.

ونمي أيضا بأنه تمنى عليه أيضا السماح بانتقال عائلة Kalonymus من Lucca إلى Mayence [1].

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم Louis Debonnaire (814 - 833)

كان الملك لويس Louis le Debonnaire (814 ـ 833) مخلصاً لمبادئ أبيه، فمنح اليهود الحمايةَ الصارمةَ، وأعطىَ اهتماماً خاصاً الى موقعهم كتجار.

ونعم اليهود في عهده بمعاملة خاصة ملؤها روح التسامح.

أخذ لويس تحت حمايته (قبل 825) الحبر Domatus وصموئيل، وإبنه الصغير من قبل Septimania.

وافق على طلبات تتناقض مع ملكيته لهم كأقنان، فسمح لهم بالبيع أو الاستبدال للأملاك الثابته والمنقولة التي بحوزة اليهود، وبالعيش وفقاً لشرعتهم ولقوانينهم الخاصة، ولإستئجار المسيحيين لعملهم، ولشِراء وبيْع العبيد الأجانب ضمن الإمبراطورية.

ومنع المسيحيين من تحويل مثل هؤلاء العبيد من واجباتهم بعرض المعمودية إليهم. وعاش اليهود بظل حماية الملك، فكان أيّ شخص يصدر عنه أذية لليهود، أو يمارس موتهم معرضاً للعقاب.

وحرّم على حد سواء تعريضهم إلى المحنة بالماء أو النار. وكانت التشريعات التي نصت على منح هذه الامتيازات لليهود معروضة ليس فقط إلى المسؤولين المدنيين، لكن أيضاً إلى الأساقفة، رؤساء أديرة، الخ.[2]. قبل لويس حمايته للآخرين أيضاً[3]، ولم تكن هذه الإمتيازات الممنوحة من قبله

(1) «'EmeḲ ha-Bakah,» p. 13.
(2) «Formul. Imp.» 30; Rozière, «Recueil,» No. 27; Bouquet, vi. 649.
(3) «Formul. Imp.» 31; Rozière, L.c. No. 28.

لفرد لوحده، لكن كانت تشمل على نفس النمط يهود البلاد كاملة. وقد تجلت هذه الإمتيازات في الحادثة التي حدثت ليهود Lyons.

تشكل بالتأكيد عهد مهم للمرحلة الممتدة منذ منتصف القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر؛ فلقد تحول المجتمع الفرنسي بفضل التطور عن النظام الإقطاعي والجشع الإعتباطي والاضطهاد الذي كان يعاني منه العبد الضعيف في الميدان الزراعي ومعه التاجر اليهودي على حد سواء وغيرة الكاثوليك من اليهود الذين كانوا يمارسون التجارة، بينما كلاهما إستثمر كل الأشياء بالتعصب الديني الذي أبدى نفسه لاحقاً في خلال الحملات الصليبية.

في نفس الوقت نشأت في هذا العهد المدارس الربانية، وذكر في حساب Amulo، بصورة واضحة، عندما الأدب العبري في فرنسا أنتج أعماله الأولى، وعندما جعل الأحبار المشهورون اليهودية الفرنسية شهيرة، استمر هذا التأثير الثقافي لعدة قرون. ولكن لسوء الحظ، على أية حال، التفاصيل التي تتعلق بهذه الفترة الانتقالية معروفة كالتالي:

في السينات، حول (876)، رئيس الأساقفة Ansegise، أسقف Gaul، طرد اليهود والرهبان من مدينته طبقاً لمؤرخ من القرن الحادي عشر[1]. وربما كان هذا الإشارة الأولى لنصرة الإقطاعية.

في 899 تشارلز، أمر بالمصادرة لصالح الكنيسة في Narbonne، كل أملاك اليهود الخاضعة لنظام ضريبة الأعشار المفروضه للكنيسة[2].

طبقا لـ Saige[3]، هذا يبين بأن اليهود قد لا يمتلكون الأرض التي فرضت ضريبة الأعشار عليها، لكنه لم يلغِ حقّهم بملكية الأرض المجانية.

على أية حال، في القرن الحادي عشر كانوا في ظل وضع مسالم لحيازتهم الأملاك التي تقع في محيط منطقة Narbonne.

(1) Odorani, «Chron.»ad ann. 883; Bouquet, viii. 237.
(2) Vaissette. iii. 63.
(3) «Hist. des Juifs du Languedoc,» p. 9.

987 - Hugh Capets الأول ـ 1137:

اضطهاد اليهود في Limoges وروين.

طبقاً للمؤرخ Richer، كما هو منصوص من قبل Monod، وملهماً بسوء الظن، Hugh Capet، «الذي كان جسمه مغطّىً كاملاً بالقرح الجلدية،» قتل من قبل اليهود في عام (996)[1]. طبقاً لـ Guadet، لم يكن يعني المؤرخ Richer بأن الأطباء اليهود كانوا سبب موته. وهناك وثيقة عبرية[2] تصرح بأن يهودياً من منطقة Blois، كان قد تحول إلى المسيحية، تمنى تحطيم جالية Limoges في عام (996)، واتهم اليهود بإستخدامهم خلال الأيام الثلاثة من عطل السنة تمثالاً من الشمع للورد الأرض، وسعوا لكي يتم موته، كما عملوا في زمن حلول روح القدس عند شهادة يسوع الناصري. لكن منذ خرافة حلول روح القدس التي جاءت إلى الوجود قبل بضعة قرون، كانت القصة عرضة للشك. بعد اتهام هذا المعمد، يظهر كاهن وينصح لورده بأن المدينة لن تتحمل بقاء اليهود فيها بعد.

في عام 1010م. Alduin، أسقف Limoges، عرض يهود أبرشيته للإختيار بين المعمودية والمنفى. قاد المناقشات معهم علماء دين لمدة شهر، لكن بدون نجاح كبير، لأنه من بين جميع اليهود فقط ثلاثة أو أربعة شجب إيمانه اليهودي؛ البقية هربوا إلى المدن الأخرى، بينما آخرون قتلوا أنفسهم[3].

وهناك نص عبري يفيد أيضاً بأن الدوق روبرت دوق Normandy بعد أن قرر مع توابعه تحطيم كل اليهود المتواجدين على أراضيه الذين لا يتقبلون المعمودية، الكثير من اليهود كانوا يُقتلون أو يَقتلون أنفسهم. بين الشهداء كان

---

(1) «Richeri Historia,» lib. iv., toward the end, p. 308, ed. Guade.

(2) Berliner's «Magazin,» iv.; «OẔar Ṭob,» p. 49.

(3) «Chronicles of Adhèmar of Chabannes,» ed. Bouquet, x. 152; «Chron. of William Godellus,» ib. 262, according to whom the event occurred in 1007 or 1008.

الحبر السيد. رجل غني ومثمن في Rouen، يعقوب b. Jekuthiel، ذهب إلى روما لمناشدة حماية البابا لمصلحة أخوته في الدين، والحبر أرسل وجيهاً عالياً لوضع حد للإضطهاد[1]. روبرت، كان مشهوراً عند الأتقياء لإجحافه الديني وللكراهية التي كان يحملها نحو الزنادقة؛ وهو أول الذين أحرق الطائفيين. ومن المحتمل بأن هناك بعض الاتّصال بين هذا الاضطهاد والإشاعة التي أصبحت تياراً في سنة عام (1010).

إذا صدقنا Adhemar من Chabannes، الذي كتب في عام (1030) م.، بأنه في عام (1010) م. قام اليهود الغربيون بمخاطبة، عبر رسالة إلى أخوتهم في الدين الشرقيين، يحذرونهم من حركة عسكرية ضد المسلمين. في العام الماضي، كنيسة الضريح المقدس كانت قد حولت إلى مسجد من قبل المسلمين وتدنيس المقدسات أثار الشعور العظيم في أوروبا، والبابا Sergius الرابع قرع جرس الإنذار[2].

غضب المسيحيين، يبدو، جلب إلى الوجود وانتشر الاعتقاد بوجود علاقة تفاهم سرية بين اليهود والمسلمين. راؤول Glaber بعد عشرين سنةً[3] عرف المزيد عن هذه العلاقة. طبقاً لما رواه، أرسل يهود Orleans إلى الشرق عبر شحاذ رسالة طالبوا فيها بتدمير كنيسة الضريح المقدس.

Glaberadds أذاع اكتشاف هذه الجريمة، وتم طرد اليهود بعدها من كل مكان. البعض طردوا من المدن، آخرون كانوا يقتلون، بينما البعض قتلوا أنفسهم؛ فقط قلة هم من بقي في كل «العالم الروماني.»

بعد خمسة سنوات عدد صغير من أولئك الذين هربوا عاد.

يقولُ الكونت Riant بأن هذه القصة الكاملة للعلاقات بين اليهود

---

(1) Berliner's «Magazin,» iii.; «OẔar Ṭob,» pp. 46-48

(2) «Monum. Germ., Scriptores,» iv. 137.

(3) Bouquet, x. 34.

والمسلمين هي فقط أحدى تلك الأساطير الشعبية التي تكاثرت عبر الزمن.[1].
الإضطراب العنيف الآخر ظَهر حوالي سنة (1065). في هذا التاريخ كتب البابا ألكساندر الثّاني إلى Viscount of Narbonne، وإلى Beranger، وإلى Guifred، أسقف المدينة، يثني عليهم بسبب منعهم مذبحةَ اليهود في منطقتهم، ويذكرهم بأن الله لا يحض على إراقة الدماء[2]. أي حملة صليبية كانت قد شكلت ضد مورين إسبانيا، والصليبيون الفرنجة قتلوا بدون رحمة كل اليهود الذين صادفوهم على طريقهم.

☆ ☆ ☆

المسألة اليهودية في فرنسا خلال الحروب الصليبية

لا يبدو أن يهود فرنسا قد عانوا كثيراً أثناء الحملات الصليبية، ماعدا، ربما، أثناء الحملة الأولى عام (1096)م.، عندما قام الصليبيون الفرنجة على جمع يهود Rouen في الكنيسة دون أي اعتبار سواء للعمر أو الجنس، ولم ينقذ من الموت سوى أولئك الذين تقبلوا المعمودية[3] فقط.

طبقاً لوثيقة عبرية، كان اليهود في كافة أنحاء فرنسا في ذَلك الوقت في خوف عظيم، وكتبوا إلى إخوتهم في بلدان الراين يعلنون لديهم رهبتهم ويطلبون منهم الصوم والصلاة من أجلهم[4]. بسعادة مخاوفهم كانت بلا أساس.

وفي وقت الحملة الصليبية الثانية، Jacob Tam، حفيد Rashi، كان عنده سبب لرثاء أعمال الصليبيين، الذين اندفعوا نحو بيته، واستولوا على أملاكه،

(1) «Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades,» p. 38, Paris, 1880.
(2) «Concil.» ix. 1138 and 1154; Vaissette, 355.
(3) Guibert de Nogent, ed. Bouquet, xii. 240; «Chron. Rothomag.»; Labbe, «Novæ Bibliothec?, manuscript Lib.» i. 367.
(4) anonymous text of Mayence, in A. Neubauer and Stern, «Hebräische Berichte über die Judenverfolgungenwährend der Kreuzzüge,» p. 47.

وحطموا كتاب القانون اليهودي المقدس، وحملوه إلى الحقل بهدف قتله. لكنه استنجد بأحد النبلاء الذي هب لمساعدته، واستطاع انقاذَه. إفرايم البوني هو الكاتب الوحيد الذي يخبر هذه الحادثة[1]، ولكن افرايم يضيف بأن في الجاليات الأخرى لفرنسا لا أحد قضى نحبه أو أرغم على شجب إيمانه اليهودي. لكن على الرغم من هذا، نتائج الحملات الصليبية كانت فظيعة على اليهود، فهذه الحركة الدينية العظيمة أنتجت حماساً للخيال الشعبي الذي كان عنده نتائِج مريعة عليهم. ففي هذا الوقت كانت تلك الاتّهامات من القتل الطقوسي قد انتشرت، والعديد من مظاهر مرض داء التعصب الديني عمت الناس في حين بقي القله منهم بعيدين عن هذا الداء.

من وجهة النظر الاقتصادية والإجتماعية كان هذا العهد بالنسبة لليهود نقطة تحول. حتى ذلك الوقت، اليهود كانوا بصورة رئيسية تجاراً؛ ومنذ ذلك الحين أصبح اليهود معروفين قبل كل شيء كمرابين. St. Bernard، رئيس دير Clairvaux، وهو الذي أوصى بالحملة الصليبية الثانية، والذي تدخل بشجاعة عظيمة لمنع مذبحة اليهود الألمان، سأل الملك لويس السابع لمنع اليهود من تقاضي فائدة من أولئك الذين يتوجهون نحو الأرض المقدسة. علاوة على ذلك، في كلام عن جشعهم، في الأماكن حيث لم يكن هناك يهود، كان المرابون المسيحيون أسوأ في معاملاتهم مع زبائنهم، ويقال بأنهم اتهموا باليهودية بسبب من هذه الممارسة[2].

بيتر، الموقّر، رئيس دير Cluny، كتب في (1146) إلى الملك يقول بأنه لم ينصح بمذبحة اليهود، لكنهم يجب أن يعاقبوا على مكاسبهم الحرام وسرقاتهم، وجيش الصليبيين يجب أن لا ينقذ كنوز اليهودي[3].

بسبب رفض لويس السابع لهذه النداءات، إتهم من قبل المؤرخين

(1) «Judenverfolgungen,» p. 64.
(2) «Epistola,» 363; ed. Mkigne, clxxxii. 564.
(3) «Epistola,» 36; ed. Migne, clxxxix. 366.

المعاصرين بان الطمع كان يحركه[1]. البابا ألكساندر الثّالث في رسالته إلى رئيس أساقفة (1179) Bourges وجه إليه نفس اللوم[2].

طبقاً لإفرايم البوني، البابا يوجينيوس الرابع برّأ الجنود الصليبيين من ديونهم إلى اليهود، ونفذت هذه البراءة في فرنسا[3].

☆ ☆ ☆

تهمة طقس الدم Blood Accusation

إرتبطت تهم القتل الطقسي في فرنسا بالحملات الصليبية مباشرة. واستناداً لرأي يهودي عن الحملة الصليبية الثانية[4]، الصليبيون، لكي يبرروا مآثرهم الدموية، إدعوا أحياناً بأنهم كانوا يعاقبون اليهود لقتلهم المسيحيين. وقد قيل بأن اليهود إرتكبوا هذه الجريمة لا لحاجتهم إلى الدم المسيحي للأغراض الطقوسية، لكن لكي يكرروا حادث صلب السيد المسيح. في Pontoise قيل قبل بعض الوقت (1171) م. بأنهم صلبوا مسيحياً بالغاً اسمه ريتشارد. التواريخ التي أعطيت والعائده لهذه الحادثة كانت متفاوته: كانت في (1163) حسب Waterlos Lambert، الذي مات في عام (1170)؛ وفي عام (1179) طبقاً لـ Rigord؛ وفي عام (1156) استناداً لـ Geoffroy من دير Martial . St من منطقة لـ Limoges، الذي مات في عام (1184) م.[5]. الجسم حمل إلى باريس وأشيع بأنه وقعت بسببه معجزات عديدة في كنيسة الأبرياء المقدسين، حيث دفن. الإتهامات المماثلة توجهت ضد اليهود في Epernay وفي Janville (قسم من Eure وLoire) تقريباً في نفس الوقت، حوالي سنة (1170)، لكن لا تفاصيل

(1) «Fragmentum Historicum Vitam Lud. Vll. Summatim Complectens,» in Bouquet, xii. 286.

(2) Bouquet, xv. 968.

(3) «Judenverfolgungen,» p. 64.

(4) «Judenverfolgungen,» p. 62.

(5) Bouquet, xii. 438; see also «Judenverfolgungen,» p. 34.

معروفة.[1]. الإنفجار في Blois كان الأكثر شهرة، وكلف حياةَ 31 شخصاً. القضية كانت من أكثر الحوادث المحزنة. رجل كان يسقي حصانه في Loire الذي خاف عند رؤيته يهودياً كان بالقرب منه، الحيوان ربا. كان هذا كافياً ليَجعل الرجل يصرخ حالاً ويتهم اليهودي بأنه رمى إلى الجدول، جسم طفل مسيحي كان قد صلب من قبل أخوته في الدين اليهودي. هو نفسه كان خائفاً من أن يلقى نفس المصير والموت. Thibaut من منطقة Champagne، كونت منطقة Blois، سجن كل اليهود فوراً في المدينة. كاهن آخر إقترح بأن الرجل اليهودي يجب أن يختبر بالماء، ولما كانت نتيجة الإختبار إلى صالحه، كان هذا برهاناً على أن جريمة اليهود امر محسوم. بعد أن رفضوا المعمودية، 31 يهودياً أحرقوا يوم الأربعاء، في (مايو/مايس 26، 1171). Jacob Tam، الذي علم بهذا الحادث الحزين، قرر بأن هذا اليوم يجب أن يكون أحد أيام الصوم، وجاليات فرنسا، في منطقة Anjou، والمحافظات على الراين أصبح هذا الصوم تقليداً لديها.[2]. روبرت du Mont أيضاً يقول بأن اليهود أحرقوا في باريس على نفس النمط في عام 1177م. لقتلهم St. William. الإعتقاد بهذه الأسطورة كان كافياً لكي يكون مفعولها ساماً جداً على اليهود في كامل مملكة فرنسا. Philip Augustus، الذي كان في عام 1180م.، في عمر الخامسة عشرة تولى العرش بعد والده لويس السابع، وطبقاً لمؤرخه Rigord، سمع من رفاقه النبلاء الشباب، زملائه الطلبة في القصر، كيفَ أنَّ يهود باريس كانوا يذهبون سنة بعد سنة إلى التراجعات تحت الأرض فى عيد الفصح أو أثناء أسبوع الآلام، ليضحوا بمسيحي لكي يغضب الدين المسيحي. في أغلب الأحيان أثناء عهد أخيه (قالوا) المذنبون القي القبض عليهم ورموا إلى النيران. فوراً بعد تتويجه، (في مارس/آذار 14، 1181)، أمر باعتقال اليهود في يوم السبت، من كل معابدهم، وسلبهم مالهم، وتجريدهم من ملابسهم (مؤرخ إنجليزي، Dicet Raoul of، يقولُ بأنّه

(1) Bouquet, xiii. 520.

(2) Bouquet, xii. 438; see also «Judenverfolgungen,» p. 34.

أطلق سراحهم لقاء فدية من 15،000 مارك فضّية). اليهود، يضيف Rigord، كانوا كثيرين، والعديد من الأحبار (didascali) جاؤوا للإقامة مؤقتاً في باريس؛ ففي ذاك الزمن كان اليهود قد أصبحوا أغنياء إلى حد امتلاكهم تقريباً لنصْف المدينة عن طريق عملهم بالربا؛ وعن طريق الربا تم لهم سلب معظم أملاك زبائنهم. وبعد أن إستشار الملك ناسكاً عاش في غابة فينسينز، أعتق الملك المسيحيين من كل ديونهم نحو اليهود، بإستثناء الخمس الذي حوله لنفسه.



طرد اليهود من فرنسا عام Expulsion from France, 1182

في أبريل/ نيسان من عام 1182 م.، نشر مرسوم الطرد، ونص على إعطاء اليهود فترة سماح من ثلاثة أشهر لبيع أغراضهم الشخصية؛ أما الملكية الثابتة، مثل البيوت، الحقول، الكرمات، الحضائر، ومعاصر النبيذ، كان مصيرها المصادرة. وحاول اليهود كسب النبلاء الفرنسيين إلى جانبهم، لكن دون جدوى. وفي يوليو/ تموز أرغموا على ترك الأراضي الملكية لفرنسا؛ ومعابدهم حولت إلى كنائس[1].

من الواضح أن هذه الإجراءات المتعاقبة كانت ببساطة من الوسائل التي كانت تملأ الصناديق الملكيةَ. السلع صودرت من قبل الملك وبيعت وحولت حالاً إلى نقود[2]. ومن الحسن أن نضيف بأن الممتلكات العقارية الملكية تحولت في ذلك الوقت نحو شريط ضيق جداً من الأرض، يمتد من حول مدينة باريس ومدينة أورلينز.

---

(1) Rigord, «Gesta Philippi Augusti,» i., vi. 12-17; ed. Delaborde, pp. 14 et seq.; see also Guillaume le Breton, «Philippidos,» i. 389 et seq.; ed. Delaborde, p. 23.

(2) Leopold Delisle, «Catalogue des Actes du Regne de Philippe Auguste,» 20, 21, 22, 27, 51, 58.

وفي نهاية القرن الثاني عشر لم يكن وضع جميع اليهود في المملكة الفرنسية سيئاً، خاصة إذا ما أخذنا بالاعتبار الوضع اليهودي في المانيا.

☆ ☆ ☆

القرن الثالث عشر. منطقة شمال فرنسا إعادة استدعائهم من الملك فيليب أوغست Recalled by Philip Augustus, 1198

بدأ هذا القرن، بعودة اليهود إلى جميع أنحاء المملكه الفرنسية (ثم خفض تقريباً إلى جزيرة فرنسا)، وانتهى بطردهم الكامل منها. في شهر يوليو/ تموزِ، 1198 قام الملك الفرنسي فيليب أوغسطس، «على نقيض التوقّع العام وعلى الرغم من مرسومه الخاص، استدعى اليهود إلى باريس وجعل كنائس الله تعاني من الإضطهاد العظيم» (Rigord). لم يكن باعث تبني الملك لهذا الإجراء حسن النية نحو اليهود، لأنه أظهر مشاعره الحقيقيةَ في وقت قصير قبل ذلك في قضية Bray. لكن منذ ذلك الحين تعلم الملك بأن اليهود يمكن أن يكونوا مصدر دخل مالي ممتاز، وخصوصاً كمرابين.

وبالرغم عن أنه حين استدعى اليهود إلى مملكته سمح لهم بممارسة أعمالهم على أراضيها، لكنه في نفس الوقت حظر على الدولة بأن يكون لها صلة معهم على صعيد الأعمال المصرفية كما يذكر المؤرخ Vuitry[1]، كما أنه وضع عملهم تحت السيطرة، فحدد سعر الفائدة القانوني، وألزمهم بأن يكون عندهم أختام تمهر بها كل أوراق أعمالهم. وكان طبيعياً فرض ضريبة على هذه التجارة، وأن يدفع اليهود رسوم وسم الختم الملكي على أوراقهم. ومنذ ذلك الحين صار هناك في حسابات الخزانة حساب خاص دعي ب «Produit des Juifs»، «أعمال اليهود» وزادت بشكل مستمر واردات الخزينة من هذا المصدر. وفي نفس الوقت كان من اهتمامات الخزينة ضمان أملاك اليهود، التي اعتبرت كإحدى المصادر المالية للخزينة.

---

(1) Etudes sur le Régime Financier de la France,» i. 315 et seq.

وفي وقت كانت فيه الدساتير تتوجه نحو الغاء القنانة، كان اليهود في فرنسا يعملون كأقنان للملك ضمن أنحاء المملكة. وكانت معاناة اليهود من بعض النواحي أشد صعوبة من معاناة العبيد، فلقد كان العبيد يستطيعون المطالبة بالعدالة ويلجأون إلى الكنيسة التي تمنحهم حمايتها.

وفي بعض النواحي كانت مواقعهم أصعب من مواقع العبيد، فالأخيرون يمكنهم في بعض الحالات أن ينشدوا العدالة، ويتحامون في أغلب الأحيان بالكنيسة؛ لكن لم يكن هناك طريقة للإستئناف أمام لليهود، وقد وضعتهم الكنيسة تحت حرمها. الملوك واللوردات قالوا «هذا اليهودي ملكي،» كما قالوا «هذه أرضي» وتم تبادلهم فيما بينهم تبادلهم لأملاكهم[1].

قلد اللّوردات الملك: «فسعوا لاعتبار اليهود كأملاك ثابته في إقطاعياتهم، وسعوا نحو إقرار عرف فيما بينهم في أنه حين ينتقل اليهودي من سكنه في إحدى المقاطعات التابعة لسلطة أحد اللوردات، إلى مقاطعة أخرى من ممتلكات لورد ثانٍ، يجب أن يمتلك اللورد السابق الحق بالأستيلاء على أملاك اليهودي المغادر.» هذه الإتفاقية أعلنت في عام 1198م. في المعاهدة التي تمت بين الملك وكونت منطقة شامباني «Count of Champagne»، ومن الشروط الأخرى عدم السماح بالاحتفاظ باليهود في أي مكان إلا بموجب براءة يصدرها الملك تفيد بذلك، وعلاوة على ذلك يجب على اليهود الحصول على إذن بممارستهم للأعمال المصرفيه من قبل الملك والكونت قبل شروعهم بذلك[2]. وقام باقي اللوردات الآخرون بتوقيع إتفاقيات مماثلة مع الملك[3]. ومن ذلك الحين فصاعداً وجد ما أصبح يسمى بحساب «أعمال اليهود «Produit des Juifs»، وكان

(1) Vuitry, l.c. after Brussel, «Nouvel Examen de l'Usage Général des Fiefs en France,» i., book ii., ch. xxxix., pp. 569 et seq., Paris, 1750; «Ordonnances des Rois de France,» i. 35, 44.

(2) Vuitry, l.c.

(3) see Brussel, l.c.

يشمل كلاً من رسوم الرخص الممنوحه لليهود، ورسوم الأختام، وضريبة الربا، .. الخ. ووفقاً لهذه السياسة الضريبية واصل الملك واللوردات منع رجال الدين من طرد أولئك الذين باعوا أو اشتروا السلع من اليهود.

☆ ☆ ☆

البابا Innocent III.

في الحقيقة، أخذ الملك واللوردات جناحاً قوياً ضدّ البابا Innocent الثّالث. وفي احتجاج البابا عام 1205 ضد الشروط الجديدة التي تتناول أمور اليهود وشؤونهم في المملكة الفرنسية كتب الحبر الأعظم إلى الملك يلومه على إنغماسه السابق: لقد نمي إليه وسمع، بأن اليهود بممارسة أعمال الربا أظهروا للعيان امتلاكهم لممتلكات كنسية، إحتلوا القلاع، عملوا كمضيفين ومدراء في بلاط النبلاء، لديهم خدم من المسيحيين، وممرضات مسيحيات من اللواتي ارتكبن جرائم مكروهةً معهم. السلطات المدنية أظهرت مزيداً من الإحترام للتواقيع الموقعة من المدين عند لحظة القرض من الاحترام إلى الشهود الذين أنكروا هذه المستندات. وفي السينات، سمح لليهود ببناء مبنى كنيس يعلو على مبنى الكنيسة التي كانت بجواره، وفيه غنى اليهود بصوت عالٍ أزعج الصلاةَ المقامة في الكنيسة المجاورة. ومشى اليهود في يوم عيد الفصح في الشوارع وعرضوا الإهانات إلى الإيمان المسيحي. بقيت بيوتهم مفتوحة حتى منتصف الليل لاستلام السلع المسروقة؛ وكان هناك حادث قتل، فلقد وجد مؤخراً طالب فقير مقتول في بيت أحد اليهود[1]. وكتب البابا بنفس الروح لدوق Burgundy وكل من كونتة Troyes وكونت Nevers [2] لكن جهوده كانت بلا جدوى. Eudes، دوق Burgundy، أعلم من قبل الملك فيليب أوغسطس، الذي أخذَ البابا الصليبيين تحت حمايته، وأعفى أولئك الذين توجهوا ضمن الحملة

(1) «Diplôme de Brequigny,» ii. 2, 610; Bouquet, xix. 471.

(2) 1208; Bouquet, xix, 497.

الصليبية للقدس من دفع الفائدة المستحقة لدائنيهم، أجاب «بأنّ البابا لا يستطيع، بدون موافقة الملك،، أن يعمل أيّ ترتيب قد يضر بحقوق الملك والبارونات،» ونصح الأخير بأن يعمل على مقاومة البدع التي تسود أنحاء المملكة بدلاً من هذه الترتيبات.

☆ ☆ ☆

اليهود في ظل حكم الملك لويس الثامن والقديس لويس

Under Louis VIII. and St. Louis

أسست في هذا الزمن القوانين التي يخضع لها اليهود في المملكة الفرنسية، فكان هناك ما يسمى بالأحكام الملكيه العائدة للعلاقة فيما بين اليهود والملك «Li meuble au Juif le roi sunt au roi,» , والأحكام العائدة للعلاقة فيما بين اليهود والبارونات «Li meuble au Juif sunt au baron» .[1] وأحكام لويس الثامن (1223 ـ 1226) العائدة لأوضاع اليهود في المملكة[2].

،«Etablissement sur les Juifs» of 1223,

ملهماً أكثر من أبيه بتوجهات الكنيسة المذهبية، عرف أيضاً الملك فيليب أوغسطس، كيف يعتني بمصالح خزانته. فعلى الرغم من أنه أعلن في نوفمبر/ تشرين الثّاني 8، 1223 بأن فوائد ديون اليهود تسقط عن ذمة المديونين الذين يشاركون في الحملة الصليبية، لكنه في نفس الوقت طلب من المديونين بأن يعيدوا دفع الرأسمال إلى اليهود في خلال مدة ثلاث سنوات، وحق الديون المتوجبة لليهود على المديونين، يجب أن يسجل ويوضع تحت سيطرة لورداتهم.

وبعد ذلك قام اللوردات بجمع الديون العائدة لليهود من المديونين

(1) «Etablissements de St. Louis,» ed. Viollet, ii. 249-250, ch. 132-133, drawn from the «Customs of Anjou».

(2) «Ordonnances,» i. 47.

وتقاضوا لقاء ذلك، دونما شك، بعض العمولة على عملهم. وأمر الملك لويس الثامن علاوة على ذلك بأن رسم الختم الخاص للأعمال اليهودية يجب أن يلغى واستبدل برسم الأختام العادية[1].

بالرغم من كل القيود المفروضه للإعاقة، إن لم نقل للقمع، كانت عمليات القروض، في عهد الملك لويس التاسع (1226 ـ 70)، مدانة بشكل صريح، بسبب من التقوى المرفقه بالحماسه نحو تعاليم الكنيسة. وكان أقل خضوع من فيليب أوغسطس إلى الإعتبارات المالية. على الرغم من إتفاقيات سابقة، ففي اجتماع عام حصل في Melun في ديسمبر/كانون الأول، 1230[2]، أرغم العديد من اللوردات على توقيع إتفاقية تمنع اليهود من إعطاء أيّ قرض. لا أحد في أنحاء المملكة كاملة سمح له بحجز يهودي تعود تابعيته إلى شخص آخر، وكل لورد يستطيع أن يسترد اليهودي العائد إليه، كما لو كان عبده الخاص («tanquam proprium servum»)، وهذا يسري حيثما وجد اليهودي ومهما طالت الفترة التي انقضت منذ أن استقر اليهودي في المكان الآخر. وفي نفس الوقت نظام عام 1223 م شُرع ثانية، وأصبح من المحرمات الاقتراض من اليهود سواء بالنسبة للملك أم للوردات. وفي عام 1234 م. ذهب الملك خطوة ثانية للأمام، وحرر المديونين من دفع القسط الثالث من ديونهم المسجلة لليهود؛ وأمر بإعادة هذا الثلث لمن دفعوا كامل ديونهم، لكن المدينين يجب أن يبرئوا أنفسهم من ثلثي الدين المتوجب عليهم ضمن حدود وقت محدد؛ وحرم سجن المسيحيين أو بيع عقاراتهم لكي تستعاد الديون العائدة لليهود[3]. وتمنى الملك بأن تكون هذه الإجراءات السابقة قد حققت الضربة القاتلة للربا.



(1) Petit-Dutailles, «Etude sur la Vie et le Regne de Louis VIII.» Paris, 1894, in 101st fascicle of the Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes.

(2) «Ordonnances,» i. 53.

(3) «Ordonnances,» i. 54.

القيود المتزايدة تحت سانت لويس

Increased Restrictions Under St. Louis.

قبل مغادرته للحملة الصليبية في عام 1249 تقواه الصارمة جداً دفعته لطرد اليهود من الأراضي الملكية ومصادرة جزء من أملاكهم، وتم فرض الطرد لليهود من المملكة ولكن فقط بشكل جزئي[1]. وبناء على طلب من Paul Christian، (PabloChristiani)، أرغم اليهود، في جميع الأوقات وتحت عقوبة الغرامة، على لبس، الـ«rouelle» أو وضع شارة وفقاً لما أمر به مجلس Lateran المنعقد عام 1215 م. وهي المؤلفة من قطعة من القماش باللون الأحمر على شكل دائرة قطرها أربعة أصابع تلصق على الملابس الخارجيه في كل من جهة الصدر والظهر.



الإشارة التي كان اليهود يضعونها في ألمانيا أيام النازية

(1) see on this obscure question Bouquet, xxiii. 214; Matthew Paris, iii. 104; I. Loeb, in «R. E. J.» xx. 26.

مناقشات بين اليهود والمسيحيين

Disputations Between Jews and Christians

الحماس الديني لسانت لويس ظَهر على أشكال وطرق أخرى أيضاً. ففي يوم من الأيام، طبقاً لـ Joinville[1]، كان هناك مناقشة عظيمة بين رجال الدين المسيحيين واليهود في دير Cluny. وكان هناك فارس، بعد أن طلب من رئيس الدير الأذن بالكلام أولاً، قال لزعيم أحبار اليهود: «أوتعتقد بأن مريم العذراء، قد حملت الله في جسمها ويديها، وقد ولدته بينما هي عذراء، وهل كانت أماً لله؟» إثر إجابة اليهودي للفارس بالنفي، ادعى بأنه أحمق بعد أن دخل بيته وضربه. هرب اليهود حاملين حبرهم المدمى معهم. عندما انتقد رئيس الدير الفارس على تصرفه، أجاب الأخير بأنه كان عيباً عظيماً حصول مثل هذه المناقشات، ومنذ ذلك الحين صار المسيحيون المسالمون من خلال سوء فهمهم لحجج اليهود ينظرون إليهم ككفار.

فيما يتعلق بهذا، قال سانت لويس للمؤرخ «لا أحد، ما لم يكن حسن الثقافة سيسمح له بالمناقشة معهم، لكن إذا كان المستمع رجلاً غير متخصص، ويسمع شتم الناموس المسيحي، سوف يدافع عن معتقداته الدينية بسيفه، وسيطعن به جسم المجدف لمعتقداته الدينيه قدر ما يستطيع على فعل ذلك.» هذه المؤتمرات لم يكن اليهود هم من يسعون نحوها فهم كانوا يعلمون علم اليقين ما هو مدى الخطورة التي تنطوي عليها. لكن رجال الدين والرهبان المسيحيين هم من امتلكوا الرغبة بذلك، ليس لتحويل اليهود نحو المعمودية، ولكن لإظهار رؤية هزيمة رجال الكنس اليهودي أمام المسيحيين. وجود اليهود ذاته كان موضوع أزعاج للبسطاء من المسيحيين، وكان حسناً أن يوضح لهم بأن الإصرار من «أولئك الثوّار» على عدائهم كان بسبب غباء إعتقاداتهم. بهذه الأطروحات المعادية لليهود حرر في القرن الثاني عشر العديد من المؤلفات

(1) «Vie de Saint Louis,» ed. De Wailly, pp. 18-19.

المعادية لليهودية من مثل: «Annulus seu Dialogus Christiani et Judei de Fidei Sacramentis,» by Rupert; «Tractatus Adversus Judeorum Inveteratum Duritiem,» by Pierre le Venerable, but attributed wrongly to William of Champeaux; «Tractatus Contra Judeum,» anonymous; و «Liber Contra Perfidiem Judeorum,» by Pierre de Blois[1].

وفي القرن الثالث عشر مثل هذه الإطروحات حررت ليست فقط في اللغة اللاتينية لكن أيضاً في اللغة الفرنسية؛ ومثال على ذلك: «De la Disputaison de la Sinagogue et de la Sainte Eglise» (Jubinal, «Mystères du XVe Siècle,» ii, 404-408), and «La Disputaison du Juyf et du Crestien»[2].

وتفيد المصادر العبرية بصورة واضحة أن الأحبار في ذلك الزمن قد عذبوا أحياناً من قبل المسيحيين، وعموماً من قبل أعضاء رجال الدين[3].

اهتماماً بالرد على الجانب اليهودي في المناقشات هناك مجموعة فضولية من القرن الثالث عشر لديها الأجوبة عنوانها: «إلى الكفّار والمسيحيين» محررة من قبل الضابط يوسف وعدد من أفراد عائلته[4]. و بين المناقشين المسيحيين كان البعض منهم أعضاء أكثر بروزاً من رجال الدين الفرنسيين: رئيس أساقفة السينات Sens، مستشار باريس Chancellor of Paris، معترف الملكة confessor of the queen، أسـاقـفـة Mans، Meaux، Poitiers، Angouleme،

(1) on these works see Israel Lèvi in «R. E. J.» v. 239 et seq., and Isidore Loeb, «La Controverse Religieuse Entre les ChrÕtiens et les Juifs au Moyen Age en France et en Espagne,» in «Revue de l'Histoire des Religions,» 1888, p. 17.

(2) Jubinal, «Mystéres du XVe Siécle,» ii, 404-408, and «La Disputaison du Juyf et du Crestien» «Hist. Littèr. de la France,» 23, 217.

(3) Geiger, «Proben Jüdischer Vertheidigung Gegen Christ. Angriffe im Mittelalter,» in Breslauer's «Jahrbuch,» i. and ii., 1850-51.

(4) Zadoc Kahn, «Le Livre de Joseph le Zelateur,» in «R. E. J.» i. 222 et seq., iii. 1 et seq.

Angers، Vannes، مالو St. Malo، آبوت من Cluny، The Abot of Cluny والرهبان الدومينيكيون. «النقطة المدهشة والإستثنائية في أجوبتهم كانت الحرية الفكرية لرجال الدين المسيحيين وحرية كلام اليهود.» وفي النهاية بناء لأمر صادر عن البابا جرجوري تم مصادرة التلمود من الكنس اليهودي. وفي مارس/آذار 3، 1240، بينما اليهود كانوا في المعابد، كل نسخ التلمود المتواجده في الكنس إستولي عليها.

وتوالت في هذا العصر التهم الموجهة لليهود على ممارستهم القتل الطقسي، وتم الحكم على بعضهم بالموت عقاباً على ذلك. كما كان هناك بعض السجالات الدينية التي كان اليهود يلقون التنكيل على أثرها، وأجبروا في بعض الأنحاء على إرتداء الشارات الداله على أنهم من التابعية اليهودية، وزيدت الضرائب المفروضة عليهم بصورة خاصة، وصودرت نسخ التلمود الذي أعتبر كتاب معاد للمسيحيه وتم جمعه واحراقه في كل أنحاء البلاد.



نفي اليهود من فرنسا عام 1306 على يد فيليب العادل

قبيل منتصف عام 1306م كانت الخزانة الملكية الفرنسية فارغةً تقريباً، وكان الملك فيليب العادل على وشك أن يعمل السنة التالية كأحد الفرسان الصليبيين (Templars) لذا قرر قتل الأوزة التي تضع البيض الذهبي.

أصدر الملك حكماً على اليهود بالإبعاد عن أراضي المملكة، وصادر عن طريق القوة الممتلكات العامة والخاصة العائدة إليهم.)[1]

بيعت في المزاد العلني بيوتهم، وأراضيهم، وموجداتهم المختلفة؛ وحُجِزت للملك الكنوز التي وجدت مدفونة في المساكن التي تعود إلى اليهود.

(1) Bouquet, xxi. 27; «Continuation de Nangis,» p. 355.

وبنية سد خواء الخزينة قام الملك فيليب العادل، دون أي اعتبار لأي أمر آخر، بأن حلّ كدائن عوضاً عن اليهود في وجه المدينين لهم من الشعب الفرنسي وانتزع من مدينيهم المسيحيين سداد ديونهم، وهم الذين كان عليهم أن يعلنوا عن مقدار دينهم بأنفسهم. علاوة على ذلك، ثلاثة شهور قبل بيع ممتلكات اليهود، أخذ الملك الإجراءات لتأمين بأن هذا الحدث يجب أن يكون متوافقاً بمنع استعمال المال المقصوص، وأن ثمن السلع المباعة يجب أن يدفع بعملة معدنية غير مخفضة. أخيراً، مخَافة بأن يكون اليهود، لربما أخفوا البعض من كنوزهم، أعلن بأنّ خمس أيّ كمية، من المال أو الأشياء ذات القيمة، تكتشف مخبأة من قبل اليهود، تمنح للمكتشف.[1].

وفي 22 تموز وأثناء وجود اليهود في السجون، أعلم اليهود بالقرار الذي ينص على وجوب تركهم البلاد خلال مدة شهر من الزمن باللباس الذي عليهم، وأمروا بترك ديونهم وأملاكهم ولم يسمح لهم سوى بامتلاك 12 دانق عند مغادرتهم البلاد[2]. . كان طرد فيليب العادل لليهود، بمثابة تجفيفه في مملكته أحد أكثر المصادر المثمرة المالية، سواء في حقل الأعمال التجارية، أو في حقل الأعمال الصناعية[3]. بعد هذا الزمن امتدت سعة المملكة الفرنسية لتشمل كلاً من: Champagne, the Vermandois, Normandy, Perche, Maine, Anjou, Touraine, Poitou, the Marche, Lyonnais, Auvergne, and Languedoc, reaching from the Rhto the Pyrenees-Provence. ولم يعد من الممكن اللجؤ إلى أي مكان سوى منطقة: Lorraine, Burgundy, Savoy, Dauphiné, Roussillon, وفي جزء من Provence ومن الممكن تقدير عدد الذين هجروا بـ100,000 مهاجر وفقاً لما ذكره المؤرخ Grätz[4].

(1) Vuitry, «Etudes,» new series, i. 91 et seq.; Simeon Luce, «Catalogue des Documents du Trésor des Chartres Relatifs aux Juifs sous le Regne de Philippe le Bel».

(2) «R. E. J.» ii. 15 et seq.; Saige, pp. 27, 28, 87 et seq.

(3) Simeon Luce in «R. E. J.» ii. 16.

(4) «Gesch.» 3d ed., vii. 245.

اليهود تحت حكم لويس العاشر (1314 ـ 1316)

عبرت تسع سنوات بالكاد على طرد اليهود عام 1306 عندما استدعى لويس العاشر. (1314 ـ 16) اليهود مجدداً للعودة إلى مملكته فرنسا. ففي مرسوم أرخ بتاريخ 28 يوليو/تموز 1315، سمح لويس العاشر لليهود بالعودة للسكن في مملكته لفترة اثنتي عشرة سنة، وخولهم المكوث في المدن التي عاشوا فيها قبل إبعادهم. كان إصداره لهذا المرسوم جواباً على طلبات الناس من مثل Geoffroy الباريسي، وهو الشاعر الشعبي في ذلك الوقت، ومما جاء في أقواله، أن اليهود كانوا لطفاء بالمقارنة مع المسيحيين الذين أخذوا مكانهم كدائنين، والذين سلخوا مدينيهم وهم أحياء[1]. ومن المحتمل بأن الملك لويس العاشر كانت مصلحة خزانته عنده تأتي بالدرجة الأولى؛ فلقد دخلت أموال المصادرات السابقة الخزانة، وبتحديده لفترة السماح باثنتي عشْرة سنة فقط، سيكون عنده فرصة جديدة لافتدائهم في نهاية هذه الفترة. ويظهر أيضاً بأن اليهود قد أعطوا الملك مبلغاً مقداره 122،500 ليرة كبدل لإصدار مرسوم الامتياز بالعودة.

ومن المحتمل أيضاً، كما يصرح Vuitry، بأن عدداً كبيراً من الديون التي تعود لليهود لم تحصل من المدينين؛ وهكذا حدد مرسوم العودة بأن ثلثي الديون القديمة العائدة لليهود يجب أن تدخل للخزينة الملكية في حال تحصيلها من المدينين. وحددت أيضاً بعدد من الشروط استقرار اليهود في أراضي البلاد؛ البعض من الكفالات التي منحت لليهود بناء لطلبهم كانت لقاء مبالغ دفعت من قبلهم . كان عليهم أن يكسبوا رزقهم من نتاج عمل أياديهم أو بتسويق بضاعة ذات نوعية جيدة؛ كانوا مجبرين لبس الشارة الدائرية، وأن لا يناقشوا الأمور الدينية مع الرجال غير المتخصصين. لم يشكل اليهود بعد عودتهم تجمعاً لكتلة واحدة سواء في سكنهم في أحياء مقصورة عليهم؛ أم في تحصيلهم لديونهم

(1) (Bouquet, xxii. 118).

السابقة من المدينين، أم لأي أمر آخر يعود لحياتهم السابقة. معابدهم ومقابرهم أعيدت إليهم بشرط أن يدفعوا الثمن المعادل لها؛، أما في حال عجزهم عن سداد ما يتوجب من الثمن، فإن الملك يعطيهم المواقع الضروريةَ لذلك مقابل بدل معقول. كتب القانون المقدس لديهم التي ما كانت قد أرجعت إليهم أعيدت إليهم أيضاً باستثناء التلمود. ونص القرار الملكي، بأن بعد فترة الاثنتي عشرة سنة التي منحها لهم الملك لن يطردوا ثانية بدون إعطائهم فترة سنة يتخلصون خلالها من ملكيتهم ويحملون سلعهم الباقية معهم عند ترحالهم. منعوا من استعمال الربا ومن تحصيله عبر السلطات الملكية بالقوة. كما أعلن الملك أخيراً بأنه وضع اليهود تحت حمايته الخاصة، وبأنه رغب في أن يمنح أشخاصهم وملكيتهم حمايته من كل عنف، أو جرح، أو ظلم[1].

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم فيليب الخامس (1316 ـ 1322)

واصل الملك فيليب الخامس (1316 ـ 22) في بادئ الأمر سياسةَ الملك لويس العاشر فيما يتعلق باليهود. وبمراسيمه الصادرة بتاريخ أبريل/نيسان، 1317، وفبراير/شباط، 1319، منحهم بعض الامتيازات، التي حسنت من مركزهم الاجتماعي. عدل الملك الأحكام التي يخضعون لها؛ ألغى فقط في المدن وضع الشعار الدائري باللون الأحمر الذي كان اليهود مجبرين على ارتدائه؛ وأصبح اليهود خاضعين لشرطتهم الخاصة؛ حددت النظم والعمليات المالية التي يمكن لليهود ممارستها؛ وخولهم حق امتلاك بيوتهم[2]. من ضمن القرارات الملكية كان قرار عدم السماح ببقاء الملكية مسجلة على اسم الأموات وأوجب انتقالها للورثة من عائلته، وبقيت القاعدة العامة السابقة العائدة لزمن سانت لويس، وهي أن ملكية اليهود تعود إلى السيد seignior الذي يسكنون

(1) Ordonnances «i. 604; Brussel , p. 617; Vuitry , l. c. p. 98.

(2) «Ordonnances,» i. 646, 682; Vuitry, l.c. 101.

ضمن مجال مقاطعته؛ وأعلن الملك بشكل واضح عن بقائهم خاضعين لضريبة العمر الطويل (tallage) العائدة للإقطاعي الذي يقطنون ضمن مقاطعته، ولدفع الضرائب النسبية بالنسبة إلى كـمية ثرواتهم. وسمح لهم فقط ببيع البضاعة ذات النوعية الجيدة، وأجبروا على أن يضمنوا ويكفلوا جودتها وأن يعيدوا الثمن للمشتري المخدوع، في حالات ثبوت الاحتيال.

لكن لسوء حظ اليهود، كانت هذه الفترة هي زمن البؤس الطبيعي والثقافي. ففي عام 1320 م. ظهرت جماعة (Pastoureaux)، فرقة من الفلاحين ورعاة الماشية، في الغالب كان عمر أفرادها أقل من عشرين سنةً، متشوقة للمعارك، والمغامرة، والسلب. كانوا تحت قيادة رجال من عديمي الضمير، رجل كاهن منقاد من كنيسته وبسبب من آثامه، وراهب مجرد من وخز الضمير كانا محاطين بحشود الفاجرين وقطاع الطرق. تجمع وصل تعداده إلى 40،000 من الأفراد إجتاحوا Languedoc، صابين غضبهم وهجومهم أساساً على اليهود، الذين لم يتجاسر أحد على حمايتهم. خمسمائة من السكان اليهود لجأوا إلى قلعة Verdun sur Garonne، وحاولوا أن يدافعوا عن أنفسهم بشكل جريء؛ لكنهم عندما رأوا بأن جهودهم دون جدوى، قرروا بأن الأكبر سناً بينهم يجب أن يقتل الآخرين؛ تقريباً الكل مات ماعدا الأطفال، الذين لم يكونوا قادرين على حمل السيف وفي النتيجة تلقوا العمادة المسيحية. حاكم Toulouse، حاول ضبط هذه الفرقة من قطاع الطرق، فسجن البعض منهم في تلك المدينة، لكنهم حرروا من قبل الغوغاء، الذين من ثم داروا لذبح اليهود. الـ (Pastoureaux) كانوا في كل مكان مدعومين من قبل الغوغاء، وأحياناً من قبل المواطنين، الذين إمّا شجعوا المذبحةَ أو كانوا يخشون حماية اليهود. في Alby، حاول ممثلو الملك (القناصل) إيقاف الحشد في باب المدينة، لكن جماعة الـ(Pastoureaux) شقت طريقها بالقوة في صيحة واحدة وهي أنهم جاؤوا لقتل اليهود؛ عامة الناس إستقبلتهم كأصدقاء وإخوة، «لحب السيد المسيح، ضد أعداء الإيمان.»

في Lezat، جعلت الغوغاء القناصل قضية مشتركةً مع اليهود. حتى إن المسؤولين عن الأمن شاركوا في التعصب الشعبي أحياناً. تقدم الـ (Pastoureaux) أوقف فقط في منطقة مندوب أمير Carcassonne [1]

عين الملك تشارلز الخامس مفوضين بعد ذلك للإستفسار عن القضية في مناطق مندوبي أمير Toulouse، Perigord، وCarcassonne؛ وكان الباعث وراء عمله ما عانته الخزانة الملكية من اضطراب في تحصيلها للضرائب والناتج عن الاضطرابات التي حلت بالبلاد؛ كلفت المدن التي حدثت فيها المشاكل بدفع غرامات. وهكذا أظهرت الأحداث المختلفة التي وقعت بالبلاد عن ضعف السلطة والعداوة السائدة في البلاد نحو اليهود. في قلعة تيري في عام 1318 دخل المشاغبون إلى الكنس، وحطموا المعبد، ونهبت منه لفائف القانون المقدس[2] بعض المنتحلين المحتالين عبروا البلاد يدعون بأنهم وكلاء الملك وَقاموا بتفتيش بيوت اليهود وسلبوا موجوداتها باسم القانون. وفي مدينة Troyes، إتهم اليهود بأنهم دخلوا الكنائس، وأنهم يصيحون بصوت عالٍ في معابدهم مما يسبب بإزعاج المؤمنين أثناء الخدمات القدسية في الكنائس؛ عقب ذلك أمر الملك شارل الخامس بتاريخ (26 فبراير/شباط، 1320) الشرطة في Troyes بأن يتوجهوا لمعاقبة اليهود بشدة على ذلك بحيث لا يجرؤون بعد ذلك على ارتكاب مثل هذه الإساءة[3]. وفي 12يوليو/تموز، 1317، طلب الملك توقيف عدة أشخاص بتهمة الشروع في قتل طفل، وإثنان من يهود Chinon شُنقا بسبب هذه التهمة. وفي Puy، إتهم اليهود بنفس الطريقة[4]. ويروي أحد مؤرخي العصر أن

(1) P. Lehugeur, «Hist. de Philippe le Long,» 1897; Grätz, «Geschichte,» 3d ed., pp. 255 et seq.

(2) 1319 في Actes du Parlement de Paris «5230.

(3) Bibliotheque de l'Ecole de Chartres ,1849 p. 414.

(4) Mandet, «Hist. du Velay» iv. 117.

«بعض الناس في ذلك الوقت إستولى عليهم هذيان نتيجة إنتشار الوباء. وقد سيطر رعب خيالي على عقول العامة؛ وسيطرت الثرثرة على الجو العام في البلاد لا حديث سوى عن سحر، وسحر دون أي مواثيق.»[1]. في حماسهم، تخيل الناس في منطقة Guienne بأن المصابين بداء الجذام شكلوا مؤامرة لتحطيم مواطنيهم، وكان ذلك إمّا بتركهم المستشفيات لكي يصابَ الأصحاء، أو بتسميمهم الأبار ونافورات مياه الشرب. عقب ذلك ألقي القبض على بعض من هؤلاء التعساء، وبدون أيّ شكل من أشكال المحاكمة أحرقوا بنار الحصة كان الملك ضعيفاً جداً فلم يستطع قمع هذه الإنتفاضة، وحاول أن يوظفها في سبيل تحقيق بعض المكاسب المالية. وهكذا شكل لجنة استقصاء وتحقيق؛ المصابون بداء الجذام اعتقلوا، وأولئك المتهمون سيقوا نحو التعذيب والحرق بنار الحصة، وصودرت أملاكهم. كل هذه الأحداث كانت قبل 21 يونيو/حزيران، أسقف Alby أخذَ على نفسه اتباع مثال الملك، لكنه في النهاية أجبر على الكف عن الاستمرار وغرم ببعض الغرامة. اليهود المصابون بداء الجذام عاشوا بعيداً بعزلة عن بقية الجالية السليمة المعافاة، والذين كانوا مصابين مثلهم شكلوا حالة الفزع العام، وعانوا تقريباً من نفس التهم والمصير من المصابين بداء الجذام الآخرين.

وهناك البعض أفاد بأن اليهود لم يجرؤوا على تسميم مياه الأنهار فأوكلوا إليهم القيام بهذه الجريمة.

وهناك رواية ثانية للقصة، جاء فيها أن هناك يهودياً رمى سُمّاً في النهر أثناء جولة له. وعندما أُعلم الملك بهذه الجريمة المزعومة، أدان اليهود وأجبرهم على دفع غرامة من 150،000 ليرة وصودرت سلعهم، والأغنياء من بينهم سجنوا كتأمين على دفعهم للغرامة.. وزَعم بأن هناك رسائل وكتباً من قبل ملوك تونس وغرناطة إلى اليهود، يكلفون بها اليهود بأن يسمموا المسيحيين. وفي 27

(1) Fleury, «Hist. Eccl.» ch. 92.

أغسطس/آب مائة وستون يهودياً رموا ليحترقوا في فرن في Chinon، كان بينهم الحبر المشهور اليعازر يوسف من Chinon. المذابح الأخرى بلا شك حدثت في Languedoc، وسجلات منهم أبقيت في Kalonymus b. Kalonymus. كتب في عام 1322 في Vitry وفي Brûle أن أربعين يهودياً سجنوا وواجهوا الموت وكلف إثنان منهم بقتل البقية. في العديد من الأماكن، كما هو في منطقة Tours, Chaumont, وVitry، اليهود، مثل المصابين بداء الجذام، وضعوا على حمالة الجناح وطلب منهم شَجب المتواطئين. وكامل تفاصيل تأريخ هذه الأحداث يلفه الغموض.

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم جون الطيب.

بعد الكارثة التي حصلت في Poitiers في عام (1356) وأسر جون الطيب، دخلت فرنسا في المضايق المريعة. فدية الملك كانت قد ثبتت على مبلغ مقداره 3،000،000 ecus من الذهب. الجنود يسلبون السكان في كل مكان؛ والحقول قد أهملت حراثتها منذ ثلاثة أعوام، والمارك الفضية كانتْ تساوي 102ليرة. وكان الوصي، الدوق تشارلز دوق Normandy، يفاوض مع Manassier من Vesoul لإستدعاء اليهود إلى فرنسا؛ وكان من شروط المفاوضات منح اليهود إجازة سكن في فرنسا لمدة عشرين سنة على أن يدفع ثمناً للدخول مبلغ مقداره 14 فلورين ذهبياً لكل عائلة، وفلورين واحد وإثنان tournois لكل طفل أو خادم، وضريبة سنوية من سبعة فلورينات لكل عائلة، ومن فلورين واحد لكل طفل أو خادم[1]. الدستور منحهم ما سبق إليه من قبل dauphin تشارلز، وصدق في 1 مارس/آذار، 1360، من قبل الملك جون، كان هذا القرار تحررياً جداً بالنسبة لليهود الذين حاولوا أن يأخذوا إحتراساً تجاه ما عانوه من الظلم

(1) Ordonnances, iii. 468, 469.

خلال الأزمان السابقة. ولما كان اليهود الذين عادوا إلى فرنسا في ذلك الوقت قد امتهنوا بصورة رئيسية مهنة إقراض المال، نصت الإمتيازات التي منحت إليهم بصورة واضحة في تصريح الملك بذلك؛ سمح لهم الإقراض على أن يكون سعر الفائدة بنسبة أربعة ناكرين على كل باوند بالإسبوع. كان اليهود في البلاد قليلي العدد بشكل واضح إذ إنه بين 1394 و1359 لم يكن هناك أيّ أثر ينم عن النشاط الثقافي لليهود. بينما كان جون في جنوب فرنسا (ديسمبر/كانون الأول 27، 1362) سمح لليهود بمزاولة مهنة الطب والجراحة، بشرط أن يحوذوا على النجاح في فحص يجريه خبراء من المدربين المسيحيين. لكنه بازدواجيته المشهورة أعلن، في أكتوبر/تشرين الأول، 1363، أن الامتيازات الممنوحة لليهود قد انتهكت من قبلهم فأبطلت. وبعد ذلك أرغمهم على لبس الشارة الدائرية الحمراء ثانيةً، وتحدياً لدستور 1360 جَعلهم خاضعين للمحاكم المشتركة أينما كانوا يعيشون[1].

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم شارل الخامس (1364 ـ 1380).

أبقى الملك تشارلز الخامس (1364 ـ 80)، على أية حال، الشرع الذي شرعه في الزمن الذي كان فيه وصياً على العرش والعائد لأوضاع اليهود في البلاد. تدخل كونت Etampes مرات كثيرة في برلمان باريس وفي المحاكم المدنية والإكليروسية الأخرى، نيابة عن اليهود، لضمان حريتهم أمام السلطات القضائية العامّة.

عاشَ في هذه الأثناء يهود باريس بشكل هادئ في منطقة سانت أنطوان، قرب مسكن Hugues Aubriot، رئيس المجلس الكبير لباريس، وهو الذي منحهم حمايته. وأوضح أعداء Aubriot هذه النية الحسنة تجاه اليهود بعد ذلك بالقول بأنه كان مولعاً باليهوديات الجميلات. وإنتقد أيضاً بأنه أعاد إلى اليهود

(1) Ordonnances, «iii. 603, 641.

الأطفال الذين كانوا قد عمدوا[1]. كل السرقات التي إرتكبت ضد اليهود عوقبت بشدة وفوراً، حتى عندما كان المنتهكون يعودون إلى طبقة النبلاء[2]. لكن هذه الحالة أثارت الغيرة لدى البعض، ومدينو اليهود، والذي كان البعض منهم من بين النبلاء ذوي الرتبة الأعلى، سعوا لطرد اليهود ثانية من المملكة. وهكذا نحو نهاية عام 1367 أو بداية 1368 أصدر الملك تشارلز الخامس مرسوماً بإبعاد اليهود عن المملكة، لكنه أبطله قبل أن يوضع موضع التنفيذ[3].

وفي Languedoc، حيث كان الضيق عظيماً جداً وسعر الفائدة أعلى بالضرورة من أجزاء أخرى من البلاد كان اليهود مكروهين بشكل مرير.

كان هناك محاولات عديدة لإرغام اليهود على حضور الخدمة في الكنائس. وبناء على شكوى من Deys (أو دنيس) Quinon، مدعي عام اليهود، وضع الملك تشارلز الخامس نهاية لهذه الشكوى في تاريخ 22 مارس/آذار 1369، لأنه وفقاً لهذا الأمر «اليهود قد يعانون من الأذى الجسماني العظيم»[4].

وفي عام 1370، عندما زاد الملك الضرائب العامة، أكد الإمتيازات السابقة الممنوحة إلى اليهود، وطلب منهم فقط 1،500 فرنك. وفي عام 1372 أعاد إليهم بعض المخطوطات التي كانت قد صودرت. لكن في نفس الوقت لم يتغاض عن مصالحه الخاصة، وبخاصة متى كان في حاجة للمال، ففي عام 1378 عقد اتفاقاً مع اليهود نص على أنه مقابل إعفائهم من كل الضرائب والمكوس الأخرى، كان يتوجب عليهم أن يدفعوا له مبلغ 20،000 فرنك ذهباً على أربعة أقساط، و200 فرنك في الإسبوع[5]. وفي عام 1379 منحهم تنازلاً فيما يعود لرسوم معارض الشمبانيا وBier.

(1) Chronique des Quatre premiers Valois p. 295.

(2) Simeon Luce, «Rev. Hist.» vii. 362 et seq.

(3) «Mandements de Charles V.» ed. Delisle, No. 430, pp. 216, 217.

(4) «Ordonnances,» v. 167, 168.

(5) «Ordonnances «vi. 339.

اليهود تحت حكم تشارلز السادس

بموت تشارلز الخامس في عام 1380، حلت أيام سوداء على فرقة الدائنين من اليهود، حيث أصبح مكوثهم في فرنسا يعتمد على ما هناك من مصلحة للخزانة في ذلك. فبعد تولي الملك الجديد تشارلز السادس سدة الحكم، شعب باريس كان فاقداً للصبر تجاه رفع الضرائب الإستثنائية التي فرضها الملك تشارلز الخامس، فسارت التظاهرات تجاه القصرالملكي لرفع الإعتراض على ذلك للملك. وكان هناك فريق من النبلاء قد التحق بالجموع المتظاهرة مطالباً بطرد اليهود من البلاد. فقط قبل ذلك بوقت قصير، كان حق البقاء لليهود في البلاد قد منح لهم لقاء دفعهم للملك بعض المبالغ. ولما لم يرسل المستشار أي رد فوري على المطالب الشعبية، تجمع الناس في الشوارع واستولوا على السجلات وأموال الخزانة العامة. ثم أسرع المتظاهرون نحو المنطقة التي يقطن فيها اليهود، أربعون بيتاً لليهود سلبت ونهبت بكل موجوداتها. في هذا العمل كانت الجماهير مدفوعة من قبل النبلاء والبرجوازية، الذين انضموا إلى الغوغاء لكي يستولوا على وثائق ديونهم تجاه اليهود. سلب تلي بالذبح لكل يهودي صودف في الطريق؛ وهكذا لجأ اليهود إلى القلعة وطلبوا ضمهم للمسجونين خوفاً من وقوعهم بأيدي الغوغاء. الملك لم يستجب لمطالب الناس بطرد اليهود، وفي اليوم التالي أمر اليهود بالعودة إلى بيوتهم، وأمر تحت طائلة العقوبات الحادة، إعادة ممتلكاتهم إليهم. لكن قليلاً جداً أطاع الطلب الملكي[1].

ونتيجة لهذه الاضطرابات العديد من اليهود تركوا باريس، بينما قبل آخرون المعمودية المسيحية.[2]

توالت بعد ذلك الأحداث تجاه اليهود من جهة، والإحتجاجات على

(1) order «Chron. des Réligieux de St. Denis»; «Chron. de Charles VI.» i. 53-57, in «Documents InÕdits de l'Hist. de France»)

(2) دي باريس، Felibien Lobineau, «Hist»iii.

الضرائب الجديدة المفروضة من الملك من جهة أخرى، وفي كل اضطراب كان يحدث في البلاد كان اليهود يعانون في مختلف الأماكن نتائج هذا الإضطراب.

أصدر الملك تشارلز السادس في 17سبتمبر/ أيلول 1394 أمراً ملكياً بصورة مفاجأة أعلن فيه، بأنه منذ وقت طويل كان قد أعلم بوجود شكاوى ضد اليهود حول سوء معاملتهم مع المسيحيين، وبعد العديد من التحقيقات، إكتشفَ العديد من الإنتهاكات المرتكبة من قبل اليهود للإتفاقية الموقعة معهم. لذا أمر كقانون، وكقانون غير قابل للنقض فيما بعد، بأن لا يسكن يهودي في الأماكن الخاضعة لسلطاته. لكن المرسوم لحظ فترة سماح لليهود لكي يسووا أوضاعهم قبل مغادرتهم للبلاد. وبعد مغادرة اليهود للبلاد أعفى الملك المسيحيين من ديونهم.

نفذ مرسوم الإبعاد الصادر عن الملك تشارلز السادس بالشدة العالية. والنبلاء الذين تضاربت مصالحهم مع قرار الطرد، أرغموا على الطاعة للأمر. دوق Foix، الذي كان له ميل إيجابي نحو الجالية اليهودية في Pamiers، بأت مساعية بالفشل لإبقائهم عنده في الدوقية. روعي استثناء وحيد في منطقة Dauphiné وكان السبب هو أن ولي العهد عندما ترك هذه المحافظة للملك تشارلز السادس إشترط بشكل واضح بأن يُسمح لليهود باستمرار بقائهم هناك والاحتفاظ بامتيازاتهم الجارية. وهكذا بقى يهود منطقة ولي العهد السابقة في Dauphiné غير ملموسين حتى نهاية القرن السادس عشر، وعندما مدد مرسوم الطرد مدد إلى تلك المحافظة أيضاً. ولكن على أية حال، معظم اليهود كان قد هاجر قبل تولي الملك لويس الحادي عشر. (1461 ـ 83) الذي مكث على العرش لفترة طويلة؛ وكان يتهم اليهود بممارستهم للربا المفرط وبالتعامل مع أعدائه. وعندما كان في منطقة Flanders، فرض على اليهود غرامة ثقيلة جداً.

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم لويس الثاني عشر

سبع عشرة سنة بعد إلحاق منطقة Provence (1481) أصدر مرسوم الإبعاد ضد اليهود عن تلك المحافظة. هذا المرسوم، الذي من المحتمل ما كان قد نفذ بالشدة المتطرفة، لولا تجديده من قبل لويس الثّاني عشر في عام 1501. بعد هذا التاريخ، بإستثناء منطقة Marseilles، حيث نجح اليهود في إبقاء أنفسهم هناك حتى عام 1758. لم يكن هناك يهود من الـ Maranos في منطقة الـ Provence. إذ إنّ اليهود من Maranos البرتغال والإسبان إستقروا في الحقيقة في القرن السادس عشر في مناطق Bordeaux، Bayonne، وفي النواحي الأخرى؛ لكنهم عوملوا كـ«مسيحيين جدد» في البدء، ولكنهم بعد ذلك بدأوا بالتصريح بأنهم يعتنقون الديانه اليهودية بشكل مفتوح فقط بعد عام 1730.

في بداية القرن السابع عشر بدأ اليهود ثانيةً العودة إلى فرنسا. استوجب هذا صدور مرسوم جديد فصدر بتاريخ (23 أبريل/ نيسان، 1615) مرسوم موقع من الملك لويس الثّالث عشر حرم فيه على المسيحيين، تحت عقوبة الموت والمصادرة التعرض بالأذى لليهود، ومنح الحماية لليهود والسماح بالتحدث معهم. وفي عام 1683 أصدر الملك لويس الرابع عشر قراراً بطرد اليهود من المستعمرة المكتسبة حديثاً Martinique. وعند ضم مقاطعة Alsace ولورين، كان الملك لويس الرابع عشر في باديء الأمر يميل نحو إبعاد اليهود القاطنين في تلك المحافظات، لكنه عاد وأخذ بعين الإعتبار المنفعة التي يمكن أن تعود عليه من إبقائهم؛ وفي 25 سبتمبر/ أيلول 1675، منحهم رسائل تسجل براءة شملهم برعايته وحمايته الخاصة. هذا، على أية حال، لم يمنع أن يخضعوا إلى كل أنواع الإبتزاز، وموقعهم بقي بدون تغيير عن الزمن الذي كانوا فيه تحت ظل الحكومة النمساوية.

☆ ☆ ☆

بدايات الإنعتاق

في أثناء القرن الثامن عشر تعدل موقف السلطات نحو اليهود، وبدأعصر جديد من التسامح الديني يسود على جميع المناطق فانعكس على تصحيح لبعض التشريعات القانونية العائدة لوضع اليهود في البلاد. قامت السلطات بمراجعة لبعض الإخلالات التي تنص على إبعاد اليهود عن البلاد؛ فتم التسامح بابقاء اليهود القادمين من منطقة البرتغال أو ألمانية في منطقة باريس. أصوات المسيحيين المستنيرين، مثل Dohm، الذي طالب بالعدالة للناس المحرومين منها، بدأ بأن يكون مسموعاً. سمى اليهودي ألزاسي Cerf Berr، الذي قدم خدماته سابقاً إلى الحكومة الفرنسية كممون إلى الجيش، وكمترجم لدى لويس السادس عشر. الوزير الإنساني Malesherbes إستدعى لجنة من البارزين اليهود لتقديم اقتراحات لتحسين شرط أخوتهم في الدين. تضمنتْ هذه اللجنة Cerf Berr وممثلين ساميين من اليهود البرتغاليين من Bordeaux وBayonne، مثل Furtado، Gradis، إسحاق Rodrigues، لوبيز Dubec، الخ. النتيجة المباشرة لجهود هؤلاء الرجال كان إلغاء ضريبة الرأس المنزلة على كل يهودي يسكن في فرنسا، ورخصة السكن في كل أجزاء فرنسا في عام 1784. بعدئذ المسألة اليهودية رفعت باثنين من الرجال العباقرة، وهما بعد ذلك أصبحا من رجال الثورة الفرنسية البارزين وهما الكونت Mirabeau و abbé Grégoire، والأخير، بينما كان في مهمة دبلوماسية في بروسيا، عمل على التعرف على Mendelssohn ومدرسته، التي كانت تعمل من أجل الإنعتاق الثقافي لليهود. في كتيب حول، «Sur Moses Mendelssohn et la Reforme Politique» (London, 1787)، دحض Mirabeau حجج اللاساميين الألمان مثل Michaelis، ودعا لمنح اليهود الحقوق الكاملة للمواطنة. أثار هذا الكتيب العديد من الكتابات طبيعياً مع أوضد اليهود، والجمهور الفرنسي أصبح مهتماً بالموضوع. بناء على اقتراح Roederer، منحت الجمعية الملكية للعلوم والفنون جائزة لأفضل مقالة في الجواب على السؤال: «ما هي أفضل الوسائل لجَعل اليهود أكثر سعادة ومنفعة

في فرنسا؟» كان هناك تسع مقالات كتبت وقدمت للمسابقة اثنتان فقط كانتا غير مناسبتين لليهود. الجائزة منحت معاً لثلاث مقالات، كتبت على التوالي من قبل Salkind Hurwitz وهو يهودي بولندي يعمل كمترجم في المكتبة الملكية لباريس؛ والثاني كان Thierry عضو في برلمان نانسي؛ والثالث هو abbé Grégoire، لكن المقال الأكثر أهمية كان مقال abbe بسبب مكانة شخصِ المؤلف.



النقاش في داخل الجمعية الوطنية

في هذه الأثناء إندلعت الثورة، وعند سقوط سجن Bastile أصبحت الاضطرابات في كل مكان من Alsace. وفي بعض المناطق، هاجم الفلاحون مساكن اليهود، مما أجبرهم على أن يلجأوا إلى منطقة Basel. صورة كئيبة لحالتهم وأوضاعهم كانوا عليها قبل أن تبحث الجمعية الوطنية في (3 أغسطس/آب) موضوع انعتاقهم الكامل الذي طالب به Abbé Grégoire. شاركت الجمعية الوطنية إمتعاض الأسقف السابق وتركت موضوع الانعتاق دون إقرار؛ أخيفَ Abbé Grégoire من قبل النواب المعادين للسامية في الـ Alsace، خصوصاً من قبل Rewbell الذي أعلن بأن مرسوم منح حقوق المواطنية لليهود يكون بمثابة الإشارة نحو دمارهم في منطقة الـ Alsace. وفي 22 ديسمبر/كانون الأول، 1799، عادت المسألة اليهودية ثانية أمام الجمعية العامة لمناقشَتها وإدخال كل مواطن في خدمة الحكومة دونما اعتبار لمذهبه الديني. قام Mirabeau، والكونت Clermont Tannerre ومارس Abbé Grégoire بكل ما يملكون من فصاحتهم في سبيل إقرار الانعتاق المطلوب؛ لكن الاضطرابات المتكررةَ في ال Alsace والمعارضة القوية لنواب تلك المحافظة ومعارضة رجال الدين من مثل Clericals، وLa Fare، أسقف نانسي، وأسقف Maury، وآخرون، كانوا وراء السبب بتأجيل القرار ثانيةً.

اليهود من أصل برتغالي ويهود Avignonese فقط، هم من أصبح يتمتع بكامل الحقوق المدنية كفرنسيين متجنسين، وأعلنوا مواطنين كاملين من قبل أغلبية برلمانية مؤلفة من 150 نائباً بتاريخ /jan 28/ كانون الثاني 1790. أثار هذا النصر الجزئي أملاً جديداً لدى يهود المناطق الألمانية، ودفع بهم نحو بذل جهود أكبر في سبيل الكفاح نحو الحرية. وهكذا استطاعوا أن يكسبوا المحامي البليغ غودارد، الذي كان تأثيره في الدوائر الثورية على قدر عال من الفاعلية. ومن خلال أعماله، قام الحرس الوطني والأقسام المتنوعة بإعلان مؤازرتهم لقضية المسألة اليهودية، وأرسل الأسقف Malot من قبل الجمعية العامة من الكومونة للدفاع عن قضيتهم أمام الجمعية الوطنية. لكن لسوء الحظ كانت الأحداث الخطيرة التي وقعت في البلاد من مثل الهياج المطول في Alsace، قد استولت على اهتمام الجمعية الوطنية، ومعها العواطف المعادية للفريق الكتابي الذي ظَل يصب اهتمامه على مراقبة الدعاية النشيطة لليهود وأصدقائهم. وقبل أيام قليلة من حل الجمعية الوطنية (سبتمبر/أيلول 27، 1791) عضو من نادي Jacobin، كان في السابق عضواً في مجلس البرلمان، مسمى Duport، صعد منبر الخطابة بشكل مفاجئ وقال: «أعتقد أن منح تلك الحرية للعبادة لا ينتج عن ذلك المتسامح أيّ امتياز في الحق السياسي». لكن المسألة العائدة لحقوق المساواة العائدة لليهود تم تأجيل إقرارها أيضاً. وكان ما زال المسلمون ورجال كل الطوائف يعترف لها بالتمتع بالحقّوق السياسية في فرنسا، ومما قال: «أطلب بأن يسحب طلب تأجيل الإقرار، و أن يصدر مرسوم الموافقة على منح اليهود في فرنسا حق التمتع بامتيازات المواطنين الكاملين.» هذا المقترح قبل وسط التصفيق العالي. لكن Rewbell سعى، في الحقيقة، لمعارضة هذه الحركة، لكنه قوطع من قبل Regnault، رئيس الجمعية، الذي قال «بأنه سيعارض تعديل الدستور بنفسه.»

☆ ☆ ☆

وضع اليهود أثناء زمن الأرهاب

وهكذا أصبحت اليهودية في فرنسا، مثلما كتب النائب الألزاسي Schwendt إلى ناخبيه، «لا شيء أكثر من اسم دين متميز.» على أية حال، لم يوقف الرجعيون هياجهم، وأخضع اليهود إلى المعاناة الكثيرة أثناء عهد الإرهاب. وفي Bordeaux، ساوم مصرفيون يهود، في قضية Girondins، وقبلوا بأن يدفعوا مبالغ كبيرة لإنقاذ حياتهم؛ وفي الـ Alsace كان هناك بالكاد يهود لم يغرموا بالغرامات الثقيلة. تسعة وأربعون يهودياً سجنوا في باريس كمشتبه بهم؛ تسعة منهم نفذ بهم حكم القتل. سلبت المعابد اليهودية، إحتفال السبت والمهرجانات حرما، وأحبار سجنوا. وهكذا أعطى اليهود الفرنسيون في هذه الأثناء براهين وطنيتهم وامتنانهم إلى الأرض التي أعتقتهم. العديد منهم سقطوا على ساحة الشرف من أجل انتصار جيشِ الجمهورية في وجه قوات تحالف أوروبا.



موقف نابليون بونابرت

لم يكن نابليون بونابرت[1] يميل بالصورة الإيجابيه نحو المسألة اليهودية، وهكذا كان هناك العديد من المحاولات لتحطيم ما تم في ظل الثورة من أحكام لمصلحة اليهود أثناء توليه الحكم.

الرجعيون Bonald، Fontanes، Molé، وآخرون قادوا هذه الحملة

(1) ليس هناك أي اشارة لنداء قام به نابليون أثناء وقوفه أمام أسوار عكا دعا فيه اليهود إلى المجيء إلى فلسطين أو أي اشارة لاجتماع سري بينه وبين وجهاء اليهود قبل ترؤسه للحملة على مصر، والمتكلم يهودي والموسوعة هي يهوديه ولو صح هذا الأمر لما غفل عنه الكاتب، ولكن هذا البحث كتب في زمن يسبق كتاب حايم سوكولوف تاريخ الصيونية 1600، 1919، والإجتماع اللاحق الذي تم عام 1806 لم يكن على جدول أعماله مثل هذه الأمور وأسرار الحملة على مصر ومستنداتها التي اكتشفت في وزارة البحرية الفرنسية لم تكن قد عرفت بعد.

ضدهم، والذريعة لتقليل حقوقهم وجدت بسهولة. تهمة الربا المفرط وضعت أمام نابليون عند عودته من أوسترليز (1806)، هو كان في ستراسبيرغ، حيث الإجحاف المتجذر لدى المعادين لليهود كان ما زال نشيطاً. وهكذا قام نابليون بشَحن مجلس المستشارين لتنقيح التشريع الحالي فيما يتعلق باليهود. لكن أغلبية أعضاء هذا المجلس ما كان، على أية حال، ميالاً لتشريع القوانين التقييدية ضد كل اليهود بسبب من آثام بعض المرابين. الأشخاص المؤثرون، بينهم كان وزير الداخليةَ، Champagny، سعى لتوجيه نابليون إلى رأي أفضل من اليهود. ولفت إنتباهه إلى السرعة التي أصبح فيها اليهود من بين مهرة الفنون والعلوم، والزراعة والحرف.

لكن نابليون، في 30 مايو/مايس، 1806، أصدر مرسوماً علق فيه لمدة سنة تنفيذ الأحكام العائدةَ لمصلحة الدائنين اليهود في Alsace وفي محافظات Rhenish. وفي نفس المرسوم إستدعى جمعيةَ وجهاء اليهود، زعماً منه لإبتكار الوسائل المساعدة لتحسين وضع اليهود. بين البارزين الـ 111 المختارين بشكل إعتباطي، من قبل الحكام، كان هناك رجال مشهورون من مثل Isaac Berr, his son Michel Berr, Abraham Furtado, Sinzheim, Abraham Vita di Cologna، والعديد من الآخرين، الذين كانوا مدركين بالكامل بأنهم دعوا للدفَاع عن اليهودية في وجه العالم. من الجلوس الأول (السّبت26، يوليو/تموز، 1806) للجمعية، التي ترأسها إبراهيم Furtado، تم نزع نية نابليون السيئة بكياستهم وولائهم الوطني. وبسبب من الآراء الدينية المختلفة، لم يكن هناك إنسجام بين الأعضاء، ولكنهم كانوا متفقين في أجوبتهم على الأسئلة الإثني عشر التي وضعت أمامهم من قبل مفوض الحكومة. النقطة الرئيسية للسؤال كانت حول القوانين المدنية وقوانين الزواج اليهودية، والأحكام التي تتعلق بالعلاقات بين اليهود وغير اليهود، والأحكام التي يخضع لها الربا كانت يجب أن تتطور لتتماشى مع العصر الحديث.



في سبتمبر/أيلول 18، 1806، أعلن المفوض Molé إلى الجمعية أن الإمبراطور كان راضياً عن أجوبة الأسئلة الموجهة للزعماء اليهود وبأنه نوى، في سبيل إحقاق العدالة الموافقة على إقامة Sanhedrin. مماثل لوضع Sanhedrin السابق، هذا Sanhedrin يتكون من واحد وسبعين من الأعضاء، ثلثي الأعضاء من الأحبار وثلث من رجال غير متخصصين، يرأسهم رئيس يعاونه اثنان كنائبين للرئيس.

وفي 9 فبراير/شباط، 1807، أربعة أيام بعد حل جمعية الوجهاء اليهود، عقد الـ Sanhedrin، تحت رئاسة ديفيد Sinzheim، إجتماعه الأول في قاعة دار البلدية. أجوبة جمعية الوجهاء كانت الموضوع الرئيسي للمناقشة. بعد عدة جلسات صدقت الأجوبة المكتوبة بكل من اللغة الفرنسية والعبرية. وكان لبعض المبادئ التي عرضت من جمعية الوجهاء قوة القانون على كل يهود الإمبراطورية الفرنسية. لكن من كان يتولى تنفيذَ هذه القرارات؟ حتى ذاك الزمن كانت مجمعات اليهود السكنية في كل مدينة تشكل بصورة منفصلة إدارتها الخاصة، وبدون أيّ اتصال بالحكومة.

لذا فإنَّ نابليون، انسجاماً مع ميوله نحو مركزية السلطة، وضع قوانين خاصة تنظم أوضاع اليهود وتخضعهم لسلطة مركزية. وهكذا في مرسوم أصدر من مدريد في 17 مارس/آذار، 1808، فَرض نظام consistories الذي ما زال سارياً في فرنسا. وكانت صيغة القسم التي اقسم أعضاء consistories الأوائل على احترامها: «أقسم وأعد أمام الله، وعلى الإنجيل، على أن أظهر الطاعة لدساتير الإمبراطورية والولاء إلى الإمبراطور، وأعد أيضاً أنني سوف أبلغ عن أي شئ ينمى إلي يكون على نقيض مصالح السلطة أو الدولة.» وبمرسوم آخر، دعي اليهود لتبني أسماء لعائلاتهم؛ ولم يسمح لهم، على أية حال، إعتماد أسماء البلدات أو الأسماء التوراتية. لكن عقب هذه المراسيم فوراً، وبنفس التأريخ، صدرت مراسيم حددت لعشر سنوات حرية ممارسة اليهود لأعمالهم

التجارية. وطبقاً لشروط هذا المرسوم الأخير لم يسمح لأي يهودي أجنبي بالاستقرار في الأقسام الألمانية، ولم يسمح لأي واحد من تلك الأقسام الألمانية بالإنتقال إلى أيّ منطقة أخرى. وفرض على كل يهودي فرنسي كان يشتغل في أيّ تجارة الحصول على رخصة بذلك من الحاكم، وأيّ رخصة كانت ممنوحة كانت مرفوقة بشهادة من القضاة المدنيين وconsistory تثبت حسن سلوك حاملها. عقود اليهود التي لا تستطيع أن تظهر براءة اختراع كانت باطلة وملغية. لم يكن مسموحاً لأي يهودي ضمن الجيش بدفع بدل عن الخدمة العسكرية. وبسبب من الشكاوى العديدة المرفوعة من قبل اليهود وفقاً للتقارير الإيجابية المرفوعة من السلطات، كان هناك إستثناءات من هذه القيود منحت بعد فترة إلى يهود Paris, Leghorn, Pyrenees، وخمس عشرة منطقة أخرى في فرنسا وإيطاليا. وفي نهاية مدة السنوات العشر للقيود لم تفرض من جديد، على الرغم من جهود بعض أعداء اليهود.

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم لويس الثامن عشر

عندما تولى الملك لويس الثّامن عشر الحكم بعد نابليون لم يحصل في عهده أي تغيير في الشروط السياسية لليهود. وهكذا خاب أمل أعداء اليهود عندما عزوا الأمل بأن Bourbons سوف يعجلُ بالعمل لإلغاء ما سن من قوانين لا ترعى مصالح اليهودِ. ومنذ زمن الإنعتاق، جَعل اليهود الفرنسيون هدفهم التقدم نحو الأفضل مراعين عدم إعطاء أعدائهم أي ذريعه أمام الملك تحضه على التقليل من حقوقهم كمواطنين. لم يعد اليهود من الفقراء أو الدائنين للناس، واحتل العديد منهم مواقع عالية في الجيشِ والحاكمية، وفي الفنون والعلوم. وكان لهم نصر جديد حققوه في فرنسا في عام 1831 حين تم الاعتراف الرسمي النهائي بحقوقهم.

☆ ☆ ☆

بعد اعتراف الدولة بحرية المعتقدات، كان لا بد لليهود من أن يدعموا وزراءهم، بينما الوزراء الآخرون كانت تدعمهم الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية المدعومة من قبل الحكومة. هذه الأوضاع القانونية أزيلت في تلك السنة، بفضل تدخل دوق Orleans، وفريق من ضباط المملكة، وإلى الحملة التي قادها في البرلمان كل من النواب Rambuteau وViennet. مدفوعاً من قبل هؤلاء الرجال الوجهاء البارزين قام وزير التربية، في نوفمبر/تشرين الثّاني 13، 1830، بحركة لوضع المؤسسات الدينية اليهودية على قدم المساواة بالمؤسسات الكاثوليكية والبروتستانتية بالنسبة إلى دعم الخزانة العامة للمعابد وللأحبار. الحركة كانت مصحوبة بإغراءات التقدير من اليهود الفرنسيين، قال الوزير، «منذ إزالة حالات عجزهم في عهد الثورة، أظهر اليهود بأنهم يستحقون ما منح لهم من الامتيازات.» وبعد مناقشة قصيرة اعتمدت المطالب من قبل أغلبية كبيرة. وفي يناير/كانون الثّاني، 1831، عبر Chamber of Peers صدقت بـ 89 صوتاً إلى 57، وفي فبراير/شباط 8 صدق القرار من قبل الملك لويس فيليب، الذي منذ ذلك الزمن أظهر رغبته بوضع الديانة اليهودية على قدم المساواة بالمعتقدات الأخر وبعد قليل، الكلية الربانية، التي كانت قد أسست في Metz في 1829، عرفت كمؤسسة رسمية، ومنحت إعانة مالية من قبل الدولة.

ولكن رغم مساواة اليهود مع باقي السكان من الفرنسيين المعتنقين الديانة المسيحية، فلقد بقي يطلب من اليهود عند توليهم منصباً رسمياً بأن يقسموا قسم الولاء السابق ولكن بعد رفض أحد الربانة اليهود أن يقسم هذا القسم ونشوب أزمة بسببه عام 1846 انتهت بإلغائه وهكذا دخل اليهود في عصر الإندماج في داخل النسيج العام للمجتمع الفرنسي، وبرز العديد منهم في الحقول المختلفة للعلوم والفنون والفكر والفلسفة والسياسه والجيش.

حاول الرجعيون في العقد الأخير للقرن التاسع عشر، بعد أن فشلت كل محاولاتهم لإسقاط الجمهورية، بأن يلجأوا إلى معاداة السامية، بواسطة إثارة الرأي العام الذي نجحوا بإبقائه بحالة هياج دائم لأكثر من عشر سنوات. إتهموا

اليهود بخراب البلاد وبكل الجرائم التي كانت من نسيج الخيال الخصب لكل من Drumont أو Viau وما يمكن أن يخترعاه؛ وترفع المتهمون عن الإجابة على مثل هذه الهجمات الإفترائية في أغلب الأحيان، لكن عدداً عظيماً من الناس إعتقد بأن هذه التهم حقيقية. وأي حملة بدأت ضد ضباط الجيشِ اليهود، والتي تتوجت بمسألة دريفوس المشهورة. هذه القضية الحزينة، التي جَلبت فرنسا إلى حافة الخراب، فَتحت عيون الجمهوريين على خطط الأصوليين reactionists؛ وعنفوان معاداة السامية خفت وسريعاً وصلت إلى الإختفاء.

☆ ☆ ☆

وفقاً لما جاء في مرسوم مارس/آذار 17، 1808، قسم السكان اليهود لفرنسا إلى سبعة مجامع consistories، وضمت ما مجموعه 160،46 ساكناً. هذا العدد من السكان مقسم على النحو التالي: 155،16 عاد إلى قسم الراين السفلى، 10،000 إلى منطقة الراين العليا، و005،20 إلى بقية فرنسا. أماكن مجمع اليهودية consistories كانتْ: Paris, Strasburg, Wintzenheim (later Colmar), Metz, Nancy, Bordeaux, and Marseilles. ومع زيادة السكان اليهود أسس مجمع جديد consistories في كل من Lyons (1857) وفي Bayonne (1859)، وفي عام 1845 أسست ثلاثة مجمعات جديدة consistories في الجزائر. وفي خلال حرب فرانكو البروسية 1870، فَقدت اليهودية الفرنسية مجمعات ثلاثة consistories هي الأكثر سكاناً في مقاطعة الزاس واللورين؛ لكن، بسبب العدد العظيم من اليهود الذين احتفظوا بالجنسية الفرنسية، هاجر البعض من السكان من تلك المجموعات اليهودية إلى فرنسا، واستبدلوا المجمعات السابقة بثلاثة مجمعات جديدة أسست في Vesoul، Lile، وBesancon. وفي الوقت الحاضر (1903) يشْمل الإثنا عشر مجمعاً يهودياً consistories، 89 خلية يهودية، قسمت بين 33 حبراً، وتعداد مجمل السكان فيها حوالي 100،000 شخص، حوالي 60،000 يسكنون ويعيشون في العاصمة باريس.

☆ ☆ ☆

على الرغم من أن حركة اليهودية الإصلاح في المانيا بين 1830 1840 إنقسمت إلى معسكرين عدائيين، لكنها لم تجد لها سوى صدى ضعيف في فرنسا. المحاولات في الإصلاح التي قادها Terquem O.، بتحريره سلسلة من الكراريس، مسمّاة: «Zarfatiques Lettres»، هاجم فيها كل المؤسسات والتقاليد الدينية، لم تلقَ أي نجاح ذا أيّ تأثير. وكان سبب ذلك يعود إلى عقلانية الجمهور الفرنسي من جهة وإلى روح التسامح التي أصبحت من الأمور الفطرية لدى الشعب الفرنسي من جهة ثانية. ولكن على أية حال، المراسيم والصلوات الطقوسية اليهودية أخذت شكلاً أكثر حداثةً. وبحدود 1831 أصبحت اللغة الفرنسية هي الوحيدة المسموح بها القاء الخطب وسط المجمعات Consistory. وفي عام 1856 Ulmann إستدعى إلى باريس كل أحبار المجمعات consistories لمناقشة إعادة تنظيم الطقوس لليهودية الفرنسية. وكان من بين المقترحات الأكثر بروزاً التي قدمت لهذه الجمعية: الرخصة لاستخدام الأورغون في الكنس؛ وجَلب الأطفال المواليد الجدد إلى الكنس لاستلام بركة الحبر؛ التلقين الديني؛ غطاء التوابيت بالزهور، وضع الستائر في داخل مستودع الجثث، وتوظيف العربات الأكثر فخامة؛ وتبني لباس رسمي لشبه الأحبار مشابه لملابس الكاهن الكاثوليكي، مع الاختلاف الطفيف. إضافة إلى هذه التطورات راجعت الجمعية كتاب الصلاة وألغت البعض من الصلوات.

☆ ☆ ☆

الفصل السابع

المسألة اليهودية في الجزر البريطانية

نظرة عامة

في مقال نشر في الموسوعة اليهودية كتبه: Joseph Jacobs : حول اليهود في مدينة لندن، Jews in London جاء فيه:

لندن هي أكبر مدن إنجلترا.

طبقاً لوليام من Malmesbury، جلب وليام الفاتح بعض اليهود من روين إلى لندن في حوالي عام 1070 م. وليس هناك دليل على وجودهم السابق في إنجلترا. إضافةً إلى هؤلاء المستوطنين من روين، زيرت لندن من قبل اليهود من وادي الراين، حوالي عام 1107 م.. أحد الذين أتوا من منطقة Mayence، كان في نزاع مع صديق له اسمه Crispin Gilbert؛ و Abbot من ويست مينستر وهو اليهودي الآخر الذي أتى أيضاً إلى لندن ولكنه تعمد على يد Anselm [1].

وجاء في مقال آخر لنفس الكاتب Joseph Jacobs حول اليهود في إنجلترا Jews in England بأن: «أغلب حوادثِ التاريخ اليهودي الذي ارتبط بتلك البلاد حدث في مدينة لندن.» وليس هناك دليل على وجود لليهود في إنجلترا قبل غزو

(1) Opera,» III., epist. cxvii

النورمان. الوثائق القليله التي تعود لقوانين الكنيسة الأنجلوسكسونية، تتعلق إمَّا بالممارسات اليهودية حول عيد الفصح أو تشير إلى مرور الزوار، من تجار العبيد اليهود من منطقة Gallo، وهم الذين استوردوا عبيداً من الإنجليز إلى السوق الرومانية، وهكذا أتت المسيحية إلى منطقة بريطانيا.

وليام من Malmesbury [1] يذكر بوضوح بأن وليم الفاتح هو الذي أحضر اليهود من منطقة روين إلى إنجلترا، وليس هناك سبب للشك في بيانه.

إن هدف الغزاة يمكن أن يكون محزوراً بسهولة. Domesday يقول بأنه من الواضح أن الهدف هو الحصول على المستحقات الإقطاعية المتوجبة إلى الخزانة الملكية بالعملة المعدنية بدلاً من أي نوع أخر، ولهذا الغرض كان ضرورياً أن يكون عنده جهاز من الرجال يجوب البلاد لجمعها. [2]

أقدم وثيقة تشير إلى وجود مستوطنة يهودية جَماعية توجد في «Terrier of St. Paul's» تعود لزمن عام 1115 م.، حيث هناك إشارة إلى مكان ما في «شارع يهودي،» والذي نستطيع من وصفه أن نستدل على أنه يشير إلى جزء من منطقة Old Jewry.

في عام 1130 م. تحمل يهود لندن دفع غرامة مالية مقدارها 2،000، وهو مبلغ هائل في تلك الأيام كفدية «للرجل المريض الذي قتلوه» ومن المحتمل أن الغرامة تضمنت بجزء منها غرامة عن اتهامهم ببعض السحر. بين الأشخاص الذين دفعوا هذه الغرامة كان Rabbi Josce or Joseph «Rubi Gotsce»، وهو الذي كان ولداه إسحاق وإبراهيم العضوين الرئيسيين لجالية لندن قبيل نهاية القرن، والذي كان سكنه في منطقة روين يعود امتلاكه إلى العائلة منذ عام 1203م. [3].

---

(1) Gesta Rerum Anglorum,» ed. Duffy, p. 500.

(2) Gesta Rerum Anglorum,» ed. Duffy, p. 500.

(3) «Rot. Cart.» 105b.

في 1158 إبراهيم بن عزرا زار لندن وكتب هناك رسالته عن السبت، يوم الراحة عند اليهود، أو «Yesod Mora».

بحدود عام 1177 م. كانت لندن المركز الرئيسي لليهود في إنجلترا وأي من اليهود يموت في أي جزء من البلاد كان لزاماً عليه أن يدفن في العاصمة لندن، في المقبرة التي من المحتمل أنها قد عرفَت فيما بعد ب «Jewin Garden» والآن بشارع «Jewin».

طرد اليهود من جزيرة فرنسا في عام 1182 م. ما أدى إلى مجيء وانضمام العديد من اليهود المقيمين سابقاً في فرنسا إلى جالية لندن، والذي من المحتمل أن يهوذا سير ليون زار هذا المجمع، وهو الذي أصبح اسمه يعرف بـ «Leo Le Blund» في قائمة يهود لندن والذي ساهم في ديسمبر/ كانون الأول 1185 م. في الحملة ضد صلاح الدين،. وتضمنت هذه القائمة يهوداً من باريس، Joigny، Pontoise، Estampes، إسبانيا، والمغرب.

في بادىء الأمر لم تتقرر بدقة الأحكام التي يخضع لها اليهود على الأراضي البريطانية. فكانت هناك محاولة لتطبيق نفس الأحكام التي كانت سائده في أنحاء القارة الأوروبية، وكان ذلك يطبق حيث كان هناك أملاك تعود ملكيتها لملك البلاد، وقد أشير لذلك بصراحة في عهد الملك هنري الثاني.

في بعض المخطوطات كان هناك «ما يسمّى بقوانين إدوارد، المعترف»؛ لكن الملك هنري منح بموجب اتفاق متبادل إلى الحبر يوسف، اليهودي الرئيسي للندن، وكل أتباعه، السماح لهم بالتنقل في أنحاء البلاد دون دفع ضرائب أو رسوم، وشراء أي شيء يعرض عليهم، وبيعه أو تحويل ملكيته للآخرين، والقسم على التوراة ككتاب مقدس.

اهتمام خاص أعطي للقسم اليهودي، الذي كان قسم الواحد من اليهود يعادل قسم إثني عشر مسيحياً. البند السادس من الإتفاقية كان مهماً، فلقد منح اليهود حق الإنتقال لأي مكان يقصدونه، سوية مع ما هناك من أثاث يعود إلى

ملكيتهم، كما لو أن هذه الأغراض كانت ملكيةَ الملك الخاصة: («sicut res propriæ nostræ».

لكن هذه العلاقة الحميمة بين الملك واليهود اضطربت بالكامل إثر ما قام به الملك ستيفن، الذي قام بإحراق بيت يهودي في أكسفورد (تقول بعض المراجع مع يهودي في داخله) لأنه رفض دفع مساهمة بنفقات الملك.

اليهود غرموا على حد سواء من قبل الإمبراطورة مود ومن قبل الملك ستيفن، إثر هذا الحادث.

وسجل أثناء حكم الملك ستيفن الاتهام الأول لقتل الدم الطقوسي ضد اليهود، وهو حادث مقتل الطفل وليام من Norwich (1144). هذه الحادثه تلاها في وقت لاحق من القرن تهم مماثلة لمقتل الطفل هارولد في Gloucester (1168) وروبرت فيSt. Edmunds Bury، (1181).

لم تجرِ محاكمة في أيٍ من هذه الحالات السابقة.

وبينما الصليبيون في ألمانيا كانت سيوفهم توجه نحو اليهود، طبقاً للمؤرخين اليهود، منع الملك ستيفن حصول أيٍ من الحوادث المماثلة في أنحاء البلاد.[1].

وبإعادة الطلب من الملك هنري الثاني، وبعد انسحاب الفلمنجيين الفوضوي من البلاد، جدد اليهود نشاطهم.

وبعد مدة خمس سنوات من مقتله وجد اليهود في كل من: London, Oxford, Cambridge, Norwich, Thetford, Bungay, Canterbury, Winchester, Newport, Stafford, Windsor, and Reading. رغماً عن أنه لم يسمح لهم بدفن موتاهم خارج لندن قد استمر إلى زمن 1177 م.

---

(1) Herbräischte Berichte,» p. 64.

إنتشارهم في كافة أنحاء البلاد مكن الملك من الإستدانه عليهم كلما سنحت الفرصة لذلك؛ وبواسطة رؤساء أقسام الشرطة في المقاطعات كانت تجبى منهم الدفعات النصف سنوية بموجب جداول خاصة بذلك. لكن الملك عاجلاً لاحظ فرصة استعمال اليهود للأغراض السياسية من قبل الآخرين. غزو Strongbow من إيرلنده (1170) مول من قبل Josce، يهودي من Gloucester؛ وغرم الملك Josce بسبب إقراضه للمال ليستعمل في سبيل أعمال مناوئة للملك. كقاعدة عامة، على أية حال، الملك هنري الثاني لم يَحد بأي صورة الفعالية المالية لليهود؛ ومؤرخو الوقت لاحظوا هذا الإحسان المفرط من قبل الملك نحو هؤلاء الأجانب ذوي الإيمان الغريب عن البلاد، وهم الذين حشدوا الثروات الكافيةَ لبناء بيوتهم السكنيه من الحجارة التي كانت تستعمل فقط في بناء القصور الملكية، والتي كان الغرض من استعمالها من اليهود هو الحصول على الأمان في بيوتهم. وظهر الموقف المؤيد لليهود في انجلترا، بين الأمور الأخرى، بزيارة إبراهيم بن عزرا في 1158، وإسحاق من Chernigov في 1181، وبالمصيف إلى إنجلترا اليهودي الذي نفى من فرنسا من قبل فيليب أوغسطس في 1182، ومن المرجح أنه كان بينهم السير يهوذا الباريسي ليون Judah Sir Leon of Paris. وفي زمن الملك هنري الثاني كانت القضايا اليهودية ومنحهم الحريه في ممارسة أعمالهم من أهم الأمور التي تركز عليها اهتمام الملك.

رغم ذلك كان هنري الثاني يوجه جهده نحوَ المواضيع العائده إلى المواضيع اليهودية. بحدود 1168، عندما أقام تحالفاً مع فريدريك Barbarossa، إستولى على الممثلين الرئيسيين لليهود وأرسلهم إلى منطقة Normandy، بينما غرم المعمرين منهم بمبلغ 5،000 مارك[1].

وعلى أية حال، عندما طلب من بقية البلاد دفع ما يعادل عشر ممتلاكاتهم كمساهمه منهم للحملة الصليبية ضد صلاح الدين في عام 1186م.، طلب من

---

(1) Gervase of Canterbury, ed. Stubbs, i. 205.

اليهود دفع ما يعادل ربع قيمة الممتلكات اليهودية. وكانت نتيجة جمع العشر من البلاد مبلغاً يساوي £.70،000، أما قيمة ما جمع كربع من اليهود فكان يساوي £.60،000؛ وبكلمة أخرى، كانت قيمة الملكية الشخصية لليهود تعادل ربع قيمة الموجودات التي في البلاد كاملة. وعند موت المرابي هارون لينكولن دخل إلى خزانة الملك كنز كبير بالصورة المفاجئة يقدربأكثر من £.15،000 هو قيمة ديون الميت على المديونين في كل أنحاء البلاد وهي التي أصبحت تعود إلى الملك. وعلى العموم نعم اليهود في عهد الملك هنري الثاني بنعمة الإستقرار والهناء إلى الحد بأن الملك اتهم بأنه كان مناصراً لأعداء السيد المسيح، وفي نهاية عهده ارتفعت روح الحروب الصليبيه التي كانت تشيع التعصب الديني في البلاد، وعانى اليهود من النية السيئة للطبقات الراقية، كما ظهرت النتائج الكارثية بعد اعتلاء ابنه الملك ريتشارد العرش من بعده.

☆ ☆ ☆

مذابح في لندن ويورك وتنظيم أعمال اليهود وسجلاتهم

أخذ ريتشارد الأول الصليب قبل تتويجه (سبتمبر/أيلول 3، 1189). عدد من اليهود الرئيسيين لإنجلترا قدموا بأنفسهم ليظهروا ولاءهم في ويست مينستر عند تتويج الملك؛ لكن يظهر بأنه كان هناك انتشار لخرافة معادية لليهود تمنع اليهود من المشاركة في مثل هذه المناسبات المقدسة. رفضوا أثناء المأدبة التي تلت التتويج. انتشرت الإشاعة من ويست مينستر إلى لندن، بأن الملك ريتشارد الأول طلب إجراء مذبحة لليهود؛ وقام الغوغاء في حي اليهود القديم، بعد المهاجمة العابثة على مدار اليوم لبيوت اليهود المشادة بالحجارة القوية، بإشعال النار فيها أثناء الليل، وقتل أولئك الذين حاولوا الهروب.

غضب الملك من هذه الإهانة إلتي وجهت نحو كرامته الملكية، لكنه لم يأخذ أي خطوات لمعاقبة المنتهكين، بسبب أعدادهم الكبيرة.

بعد مغادرته البلاد على رأس الحملة الصليبية، إضطرابات وخسائر في

الأرواح حدثت في لين، حيث حاول اليهود مهاجمة الذين تعمدوا والتجأوا الى الكنيسة. بعد مغادرته على رأس الحملة الصليبية. بحر عاتي الأمواج من السكان المعادي لليهود إرتفع ضدهم، أحرقت بيوتهم، وتم قتلهم بعنف. كذلك، في معرض Stamford، في مارس/آذار 7، 1190، الكثير من اليهود ذبحوا، وفي مارس/آذار 18 سبعة وخمسون يهودياً ذبحوا في Bury St Edmunds؛ يهود منطقة لينكولن فقط أنقذوا أنفسهم بواسطة اللُجوء الى القلعة.

☆ ☆ ☆

الهجمات على اليهود حدثت أيضاً في كولتشيستر، ثيتفورد، وOspringe، لكن الحادثةَ الأكثر تميزاً حدثت في يورك في ليلة من مارس/آذار 16 ـ 17، 1190. قلق تولد لدى اليهود نابع من أثر المذابح السابقة ومن حرق العديد من بيوتهم من قبل الغوغاء الصليبيين المنطلقين نحو الالتحاق بقافلة الملك، يهود يورك مع زعيمهم Josce سألوا مراقب قلعة الملك في يورك لاستقبالهم مع زوجاتهم وأطفالهم، وبعد دخول اليهود إلى القلعة عادت الغوغاء لمحاصرة القلعة، واليهود الذين في داخل القلعة إما ذبحوا أنفسهم، أو تم تجميعهم وقتلهم أو حرقهم من الغوغاء.

أثناء غياب الملك ريتشارد في الأراضي المقدسة وأثناء أسره، وقع اليهود في انجلترا تحت ممارسة الابتزاز من William de Longchamp؛ وبعدما وقع الملك في الأسر دعي اليهود للمساهمة بفدية الملك فكان نصيبهم من المال المدفوع هو £486 9s. 7d. من أصل £1,803 7s. 7d. وبعد عودة الملك ريتشارد إلى البلاد قام على تنظيم شؤون اليهود في البلاد ليأمن عدم تكرار ما حصل يوم تتويجه فأعلن أنه الوصي العام على اليهود في كافة أنحاء البلاد، وقام في عام 1194 بإخضاع قروض اليهود لسجل رسمي خاص دعي Exchequer of the Jews وكل دين غير مسجل بالصورة الرسمية في هذا السجل لايعترف فيه ولا يتوجب دفعه من المديون، وكانت حصة الملك تبلغ 10% من كل مبلغ يحصل عن طريق السلطات و2% من كل مبلغ يسجل في سجلات الديون، وهكذا أصبح الملك

شريكاً مضارباً مع اليهود في كل أعمال الربا العائدة إليهم، وهكذا لم يعد يعتبر اليهود من الأجانب المقيمين في البلاد في نهاية القرن الثاني عشر، وهذا ينتج عنه أنهم أصبحوا يتمتعون بحق التوارث لممتلكاتهم الذي كانوا فيما قبل محرومين منه. ولم يعودوا يحسبون من الزنادقة فلقد اعترفت الكنيسة بمعتقداتهم.

☆ ☆ ☆

اليهود تحت حكم الملك جون

هذه الشروط، على أية حال، لم يقدر لها أن تدوم طويلاً. فبحدود عام 1198 كتب البابا Innocent الثالث إلى كل الأمراء المسيحيين، وكان من ضمنهم الملك ريتشارد ملك إنجلترا، يدعوهم لإرغام اليهود على التنازل عن كل مبالغ الربا المتوجبة عليهم، وكان هذا الطلب يلغي دور اليهود المالي في البلاد. وفي يوليو/تموز 15، 1205، عرض البابا مجدداً مبدأ إدانة اليهود ومجازاتهم بالعبودية الدائمة على عملهم بصلب السيد المسيح. وتلت دعوة البابا السابقة بسرعة، في إنجلترا، الدعوة العلمانية.

الملك جون، الذي كانت لديه أسبابه الخاصة لكره اليهود، وبعد أن أصبح المدين إليهم منذ كان فتى في إيرلنده، في باديء الأمر تعامل معهم كوصي، ومن أجل مبلغ يعد صغيراً نسبياً والبالغ 4،000 مارك، صادق على ديون الحبر Josce وأبنائه، وجَعله مطبقاً على كل يهود إنجلترا؛ وكتب احتجاجاً حاداً إلى رئيس بلدية لندن ضد الهجمات التي كانت بشكل مستمر تشن على يهود تلك المدينة لوحدها دون كل مدن إنجلترا. أعاد تعيين يعقوب رئيس أساقفة كل اليهود في انجلترا (يوليو/تموز 12، 1199).

لكن بخسارة Normandy في 1205 تبدل موقف الملك جون من اليهود. ففي قمة نصره على البابا، طلب مبلغاً لا يقل عن 100،000.£ من البيوت الدينية لإنجلترا، و66،000 مارك من اليهود (1210). أحدهم يدعى إبراهيم من

بريستول، رفض دفع حصته من 10،000 مارك، فأصدر الملك أمراً بخلع سبعة من أسنانه وانتزاع واحد في اليوم، حتى يخضع للأمر ويدفع ما يتوجب عليه[1].

في عام 1211 العديد من الأحبار الإنجليز إشتركوا بالحج الصهيوني ليوسف بن Baruch، الذي يقال، بأنه كان مصحوباً، بأكثر من 300 حبر إنجليزي وفرنسي، في رحلته إلى الأرض المقدسة. رغم ذلك، فإن الملك جون جهد بقدر الإمكان أن لا يخرج اليهود من البلاد، فلقد كانوا عنصراً مهماً الى جانبه في الكفاح المثلث بين الملك، والبارونات، والبلديات، وفي أثناء عهده وعهد إبنه تكون التاريخ الدستوري لإنجلترا. حتى في بنود الدستور العظيمة أدخل منع الملك أو أزلامه اليهود من الحصول على الفوائد في حالة عدم وجود ورثة للميت.

☆ ☆ ☆

اليهود والبلديات

في عهد الملك هنري الثالث (1216) أصبح موقع اليهود أسهل جداً، لكنه دام فقط لفترة قصيرة. البابا Innocent III كان عنده في العام السابق مجلس Lateran لتشريع القانون الذي يفرض الشارة على اليهود؛ وفي 1218 ستيفن Langton، رئيس أساقفة Canterbury، وضعه موضع التنفيذ في إنجلترا، كانت الشارة تأخذ شكل رقعة بيضاء مستطيلة بطول إصبعين وعرض أربعة أصابع. في باديء الأمر فكر اليهود بتجنب التقييد بها بترك الأرض جملة، فأعطى الملك أوامره لمراقبي الموانئ بمنع أي يهودي من مغادرة البلاد بدون رخصة من الملك.

الموقع المتغير لليهود ظهر على نحو مدهش في عام 1222، وذلك عندما

(1) Roger of Wendover, ii. 232; but see Ramsay, «Angevin Empire,» p. 426, London, 1903.

أحرق شماس في أكسفورد بسبب ارتداده للديانة اليهودية بعد أن تزوج من يهودية؛ بينما في القرن الثاني عشر حدثت عدة حالات مماثله في إنجلترا، ولا عقاب تلا «الجريمةَ»[1].

عمل الكنيسة تلي بالمعارضة المماثلة المفروضه على القصبات الإنجليزية. هنري في موافقته إعتقد أنه من الضرورة تعيين لجان من أربع وعشرين عضواً يسألون عن أمن اليهود في كل من Gloucester وHereford، وأعلم وضع سلطته القضائية الشخصية لمدراء شرطته الخاصين أو شرطته العامة في أيّ نزاع يقع بين اليهود والمسيحيين.

كان هذا مصدر إزعاج عظيم إلى البلدات، التي بدأ سكانها بالهروب من المستحقات الإقطاعية ومن الرسوم الملكية المقطوعة بمبلغ صافٍ يُعرف بـ («firma burgi»). وكان هذا الهروب يعفيهم من سلطة الملك القضائية؛ لكن الاستثناء الشامل المتعلق بالأمور اليهودية، أعطى الملك الذريعة ليستولي مراراً وتكراراً على ممتلكات القصبات. العرائض أرسلت وفقاً لذلك إلى الملك في حالات كثيرة لإزالة يهوده من القصبات، وهم طردوا من Edmunds Bury St في 1190، نيوكاسل في 1234، ويكومب في 1235، Southampton في 1236، Berkhamsted في 1242، Newbury في 1244؛ وأخيراً شرع في عام 1253 السماح لليهود بأن يستقروا بحرية في مثل هذه البلدات كما كانوا في منطقة Archa لحفظ أعمال اليهود التي كانت الضريبة المتقاضاة عليها لصالح الخزينة الملكية تشكل عنصراً مالياً مهماً. ومنذ ذلك الحين حصر اليهود بالسكن في حوالي خمس وعشرين بلدة في إنجلترا، وأصبحوا في الحقيقة، أثاث الملك. أيّ محاولة لتجنب بنود هذا التشريع قوبل بشكل متصلب بالطرد، إبتدأ من Winchelsea في 1273، من Bridgnorth في 1274، ومن ونزور في 1283. وبهذه القيود أصبح انتقال السكن من مكان إلى آخر من الأمور شبه المستحيلةَ

(1) Maitland, «Canon Law in England,» pp. 158-179.

لأي يهودي لسبب دفع ضريبة tallage، التي أصبحت الوسيله الرئيسيةَ للإبتزاز تحت حكم هنري الثّالث.

☆ ☆ ☆

اليهود والبارونات Jews and the Baronage

لكنْ كان هناك سببٌ آخر لتحديد اعمال اليهود بالبلدات، لأن عائدات الملك من أعمال اليهود كانت تشكل ربحاً صغيراً جداً من قروض اليهود إلى مواطني البلدات، لأنه كان مع البارونات الصغار، ورجال الدين المتنفذين، وهم من كانوا يشكلون الزبائن الرئيسيين لأعمال اليهود. البارونات الصغار، في الحقيقة، وجدوا أنفسهم يقفون بين حجري الرحّى الأعلى والأسفل في إقتراضاتهم من اليهود، دينهم اليهم سقط في السبيل الأخير إلى أيدي الملك امّا بالميراث بسبب موت الدائن أو بسبب انتقال اليهودي إلى مقاطعة أخرى فيستولي الملك على أمواله في المقاطعة السابقة tallaged. لكن إضافةً إلى هذا، قلد Baronage نافذو التاج في إستعمال اليهود للإستيلاء على أملاك البارونات الصغار؛ يمنح البارون اليهودي المال، يشترك معه بالربا، ويستولي على الأراضي إذا أخفق المدين في دفعه للديون المستحقة.

تصاعدت الشكاوى من هذا بحدود زمن عقد المجمع الكنسي لووستر Worceste في 1240[1]،

وبعد عشرين سنةً تقريباً (1259) إلتمس البارونات الذين تضرروا من الملك إيجاد بعض العلاج لهذا الخطر بعد دخوله طبقة النبلاء الكبار[2].

بتفشي إجراءات حرب البارونات العنيفة تم تبني إزالة كل آثار الدين المتوجب إمّا إلى الملك أو إلى البارونات الكبار. الجالية اليهودية في كل من

(1) Wilkins, «Concilia,» i. 675-676.

(2) Stubbs, «Select Charters,» p. 365.

London, Canterbury, Northampton, Winchester, Cambridge, Worcester, and Lincoln were looted (1263-65), Montfort، و arch والدين إمّا حطم أو أودع في مقر البارونات في Simon de Montfort Ely. لكن في الحقيقة، كان البارون الأخير هو الذي كان منذ زمن مبكر قد طرد اليهود من بلدته ليستر Leicester، عندما كان في ذروة قوته بعد معركته مع لويس فأبطل وألغى كل ديون اليهود المتوجبه على المدينين.

عانى يهود لندن من موقعهم كحاجز بين الملك والبارونات. وفي عام 1215 فضل الملك جون الرابع اليهودي واستعمل شواهد قبور المقبرة اليهودية لإصلاح قصره Ludgate [1].

وفي عام 1263، نهب البارونات يهود لندن تمشياً مع معارضتهم لظلم الملك، الذي سقطت بين يديه ديون اليهود في لندن وفي مكان آخر.

هذا الإنفجار كان قد سبق في عام 1262 من قبل باضطرابات شعبية ضد اليهود والذي قتل فيها لا أقل من 700 شخص. ولجأ البعض من اليهود إلى برج لندن هرباً من الأحداث. هو خطأ، على أية حال، الإفتراض بأن هناك يهودياً منفصلاً في ذلك الحي. أغلب المحاكمات التي حدثت فيما يتعلق بالاتهامات الطقوسية حملت إلى البرج (حادثة مقتل طفل Norwich). على الرغم من هذا إستمر البرج على أن يكون مكان الحماية الرئيسية لليهود ضد عنف الغوغاء؛ وذكر بأنهم كانوا بين مدافعيه الرئيسيين في 1269 ضد إيرل Gloucester والمحرومين.

في عام 1244 شهدت لندن إتهام القتل الطقسي. طفل يوجد ميتاً من أثر الجروح البليغة، وأعلن يهودي معمد بأن هذا شكل من الرسائل العبرية. الجسم دفن بالبهاء الكثير في كاثدرائية St. Paul's، واليهود غرموا بالمبلغ الهائل من

(1) Stow, «Survey of London,» ed. Thoms, p. 15.

60،000 مارك (حوالي 000،£40). لاحقاً، في 1279، بعض يهود Northampton، على إتهام قتل ولد في تلك المدينة، جلبوا إلى لندن، وسحبوا في ذيول الخيول، وشنقوا.

نحو الجزء التالي من إقامتهم في لندن، أصبح اليهود أكثر فأكثر مضطهدين، والعديد منهم، لتفادي المجاعة، لجأ إلى الوسائل المريبة، مثل النشل. هذا قاد أحياناً إلى الإتهامات الخاطئة؛ وعلى مناسبة واحد يهودي سمي Manser ابن هارون طلب للتحقيق بأمر يتعلق ببعض أدوات النشل التي كانت قد وجدت على سقف بيته قرب الكنس (1277). في السنة التالية لا أقل من 680 يهودياً سجنوا في البرج، و267 شنقوا بجريمة نشل العملة. في مناسبة أخرى، أعطى عمدة المدينة أمراً بأن لا لحم أعلن غير سليم من قبل الجزارين اليهود يجب أن يعرض للبيع إلى المسيحيين[1].

☆ ☆ ☆

إغلاق المعابد

العديد من النزاعات القضائية كانت هناك بين عمدة المدينة والسلطة القضائية التي تنظر في سجل الديون المسجلة لدى الخزينه العامة في حساب Jewish Exchequer والعائدة لليهود.

هكذا في السنة 1250 من التماس حجز disseizin لمباني مدينة لندن سحبت من أمام لجنة Jewish Exchequer وحولت للنظر فيها أمام محكمة خصصت من رئيس البلدية، وأرجعت إلى المكان الأول في عام 1271. ومنذ تلك السنة منع اليهود من إكتساب مزيد من الملكية في لندن، وهذا كان يضعف ضريبة أعشار الكنيسة[2].

(1) Riley, «Chron.» p. 177.

(2) «De Antiquis Legibus Liber,» pp. 234 et seq.

كانت الكنيسة حذرة جداً لمنع أيّ انتهاك لحقوقها؛ وسعت لتقليل اعداد الكنس في البلاد قدر المستطاع. في 1283 الأسقف Peckham دعا كل المعابد اليهودية في أبرشيته في لندن إلى إغلاق أبوابها؛ ولهذا السبب لم يسجل سقوط أيّ كنس في أيدي الملك زمن الطرد عام (1290).

بعد التجربة في التشريع اليهودي الذي إصدره إدوارد الأول Edward I. منذ عام 1269 فصاعداً، كان هناك جواب واحد أنه إبن حقيقي للكنيسة ولطلباتها: إذا لم يكن اليهود بحرفيين صناعاً ولا تجاراً أو مزارعين، ولما منعت أعمال الربا عليهم، البديل الوحيد لهم هو ترك البلاد. طرد اليهود فوراً من Gascony وهي محافظة كانت ما زالت خاضعة لسلطة إنجلترا وكان في ذلك الوقت زائراً فيها؛ وفور عودته إلى إنجلترا (يوليو/تموز 18، 1290) أصدر الكتابات إلى مدراء شرطة كل المقاطعات الإنجليزية التي تأمرهم بفرض مغادرة اليهود للبلاد قبل عيد جميع القديسين لتلك السنة. سمح لهم حمل إغراضهم وملكيتهم النقالة؛ لكن بيوتهم صودرت لصالح الملك، إلا في حالة بضعة أشخاص مفَضلين سمح لهم بالبيع قبل أن يغادروا. البعض منهم سرقوا من قبل ربابنة السفن التي نقلتهم إلى Witsand؛ آخرون أغرقوا في طريقهم إلى فرنسا. وبين الـ16،000 الذين تركوا البلاد، حوالي عشر منهم ذَهب إلى Flanders، وتحمل الملك نفقات السفر؛ عدد من المغادرين وجد بعد وقت قصير في الأحياء اليهودية في باريس. لم تكن غنيمة الملك الكمية العظيمة، الأجرة الكلية للبيوت التي وقعت بين يديه وكانت لليهود ما كانت أكثر من 130.£، ومجمل الديون العائده الى اليهود، والتي لم يكن من المتاح سوى جمع ما هو أساسي منها، لم تتجاوز 9،000.£. فعل إدوارد ما كان عفواً للأمة، فالكنيسة لا تسمح لليهود بأن يصبحوا عنصراً أساسياً من الأمة الإنجليزية، ولذا كان لا بد لهم من أن يتركوا البلاد.

عند الطرد، سقطت بيوت اليهود فى أيدي الملك، ماعدا بعض الحالات الخاصه التي حولها إلى بعض أتباعه الخاصين. إجمالاً، حوالي خمسة وعشرون

بيتاً فقط هي التي تملكها الملك بعد طرد اليهود من البلاد مما يدعو للريبة والاستعجاب إذ لا يمكن الـ 2،000 من يهود لندن كانت تسكن في ذلك العدد الصغير من المساكن.

أثناء المئتين والعشرين سنة من إقامتهم في البلاد كان وضع اليهود يزداد سوءاً بثبات. في باديء الأمر، عوملوا بالإحسان الخاص مما سمح لهم جمع ثروة كبيرة، وشكلوا جزءاً أساسياً من المنظومة الملكية. إثنان وثلاثة منهم مذكورون كأطباء، وعدة رهبان قيل بأنهم تحولوا إلى اليهودية. جَمعوا الكتب وبنوا لأنفسهم مساكن واسعة؛ لكن بعد المذابح تحت حكم ريتشارد الأول، وما فرضه عليهم الملك جون أصبحوا أقناناً عبيداً بشكل تدريجي من أثاث الملك المجرد ومن وقت لآخَر باعهم إلى مقدم السعر الأعلى. علاقاتهم مع جيرانهم، كانت في بادىء الأمر ودية، ولكن عبر الزمن كانوا يشعرون بالمرارة أكثر فأكثر.

☆ ☆ ☆

العودة إلى انجلترا

منذ زمن الطرد عام 1290 إلى القرن السابع عشر لم يزر اليهود مدينة لندن إلا نادراً، وكان القلة من الزوار يأتون بشكل رئيسي من إسبانيا.

وفي عام 1542 عدد معين من الأشخاص اعتقلوا بناء على شك بهم بأنهم من اليهود. لكن في الحقيقة، بدأوا يظهرون ويذكرون بشكل طبيعي ففي خلال مسرحية قديمة (كل إمرأة في مرحها،1609) زوجة مواطن كانت تنصح الذين يرغبون الذهاب إلى المحكمة بأن يستأجروا بذلةً من اليهود: «أنت قد تستأجر بذلة جيدة من يهودي.» من هذا يظهر بأن المرور للتجار العابرين اليهود ومعهم الملابس المستعمله بدأ يظهر.

في منتصف عهد تشارلز الأول تقريباً عدد من اليهود الإسبان، برئاسة أنطونيو Fernandez Carvajal، إستقروا في لندن لكي يشاركوا فيها بأعمال التجارة بين هولندا والمستعمرات الإسبانية. عبروا إلى انجلترا كإسبان،

وحضروا بصورة جماعية في مصلى السفارة الإسبانية ؛ لكن عندما حزب الأحرارالمستقلين، وعلى رأسهم كرومويل، أصبحوا يتولون ادارة الشؤون الإنجليزية، قام عدد من اليهود على مساعدته للحصول على المعلومات حول التصاميم الإسبانية. في هذه الأثناء منسى بن إسرائيل حاول الحصول على الإذن والرخصة الرسمية للسماح بعودة اليهود إلى إنجلترا. لكن في المؤتمر الذي انعقد في الوايتهول في ديسمبر/كانون الأول 18، 1655، تركت المسألة دونما قرار بذلك؛ لكنها وضعت موضع الإختبار العملي في السنة التالية بحالة Robles، وكانت النتيجة بأن منح كرومويل اليهود إيجار مقبرة lease في منطقة Mile End لمدة 999 سنة[1].

ونحو منتصف القرن السابع عشر استقر عدد كبير من التجار Maranos في لندن وشكل هناك تجمعاً سرياً، وعلى رأسهم أنطونيو Fernandez Carvajal. كان حجم أعمالهم كبيراً بالمشرق، شرق وغرب إنديز، جزُر كناري، والبرازيل، وقبل كل شيء مع هولندا، إسبانيا، والبرتغال. وشكلوا صلةَ وصل مهمةَ في شبكة الإنتشار التجاري خصوصاً في كافة أنحاء العالم الإسباني والبرتغالي من قبل Maranos أو(يهود بالسر). موقعهم مكنهم لإعطاء كرومويل وسكرتيره، Thurloe، معلومات مهمة بالنسبة إلى خطط كل من الملك تشارلز ستيوارت في هولندا والإسبان في العالم الجديد. ظاهرياً عبروا كإسبان كاثوليك؛ لكنهم كانوا أصبحوا معروفين إلى الحكومة أنهم يهود بالإيمان.

الرأي العام في هذه الأثناء في إنجلترا كان قد هيأته الحركة البيوريتانية المتعاطفة مع أي اقتراح نحو عودة اليهودية ولإقناع المتطرفين في البرلمان لإعادة دخول اليهود إلى إنجلترا. العرائض التي تفضل إعادة دخول اليهود لإنجلترا كانت قد قدمت إلى الجيشِ بحدود 1649 من قبل اثنين من معمدان أمستردام،

(1) «Jew. Chron.» Nov. 26, 1880.

يوحنا كارترايت وإبنها إبينزير Johanna Cartwright and her son Ebenezer («عريضة اليهود لأجل الاستدعاء، القانون البرلماني لإبعادهم خارج إنجلترا»)؛ وإقتراحات أخرى قدمت من مثل، ومن قبل المستقلين عموماً. الكثير تحركوا في نفس الاتجاه مدفوعين بالأسباب المسيحية الباطنية؛ وجذبت وجهات نظرهم كما جاء سابقاً حماس منسى بن إسرائيل، الذي في 1650 نشر كتابه «أمل إسرائيل»، الذي دعا فيه للعودة إلى فلسطين تمهيداً إلى ظهور المسيح المنتظر. المسيح المنتظر لا يستطيع أن يظهر حتى يعم وجود اليهود في كل أنحاء الأرض. طبقاً لأنطونيو دي Montesinos، القبائل العشرة كانت قد اكتشفت في الهنود الأمريكان الشماليين، وإنجلترا كانت البلاد الوحيدة التي استثني منها اليهود من الوجود. إذ أدخلتهم إنجلترا، ظهور المسيح المنتظر قد يتوقع.

في هذه الأثناء، السياسة التجارية التي أدت إلى إصدار قانون الملاحة في أكتوبر/تشرين الأول، 1651، كان كرومويل تواقاً إلى جَذب اليهود الأغنياء في أمستردام إلى لندن لكي يحولوا مصالحهم التجاريةَ المهمةَ بشمال شرقي أمريكا الجنوبية من هولندا إلى إنجلترا.

مهمة القديس جون إلى أمستردام، التي اقترحت سابقاً، كبديل لقانون الملاحة، قيام تحالف بين المصالح التجارية الإنجليزية والهولندية، أدت إلى التفاوض مع منسى بن إسرائيل وجالية أمستردام ومنح الترخيص إلى منسى بالعودة، لكنه كان غير قادر على إستعماله بسبب الحرب بين إنجلترا وهولندا، التي دامت من 1652 إلى 1654. حالما الحرب توقفت، أرسل منسى بن إسرائيل نسيبه، ديفيد Abravanel Dormido، إلى لندن ليقدم إلى المجلس التماساً لإعادة دخول اليهود. المجلس، على أية حال، رفض الالتماس. أقنع كرومويل منسى نفسه بالمجيء إلى لندن، وحضر في نهاية عام 1655، وأرسل «عنوانه المتواضع» إلى كرومويل. وعقد مؤتمراً وطنياً في الوايتهول في مطلع ديسمبر/كانون الأول، ضم البعض من المحامين المشهورين، وقسسة، وتجاراً في المملكة. المحامون أعلنوا لا شيء هناك ضد استقرار اليهود في إنجلترا، لكن

القسسة والتجار عارضوا إعادة الدخول، وأوقف كرومويل المناقشة لكي يمنع صدور قرار مضاد.

مبكراً في السنة التالية (1656) تجدد الموضوع من خلال إعلان الحرب ضد إسبانيا، التي أدت إلى توقيف أنطونيو Rodrigues Robles، وأجبرت Maranos اللندنية الإقرار بيهوديتهم كوسيله لتجنب الإعتقال كإسبان ومصادرة سلعهم. كنتيجة نهائية، منح كرومويل إجازة شكلية إلى اليهود تسمح لهم بالاستقرار والمتاجرة في إنجلترا بشرط أن لا يقتحموا بعبادتهم الحقل العام وبأنهم سيمتنعون عن إقناع المسيحيين بأن يصبحوا من اليهود. تحت ستار هذه الرخصة Carvajal وسايمون دي Caceres إشتريا قطعة أرض لجعلها مقبرة يهودية في عام 1657، وسليمان Dormido، إبن أخ منسى بن إسرائيل، أدخل إلى صالة التبادل الملكي ـ البورصة ـ كسمسار مجاز حسب الأصول في مدينة لندن بدون أخذ القسم العادي منه الذي يتضمن إيماناً في المسيحية. Carvajal كان سابقاً يحوز على الإجازه بالسكن denization له ولإبنه.

هذه الطريقة السرية جداً لحل المسألة اليهودية في إنجلترا كان لها فائدة عدم رفع الشعار المعادي للسامية؛ ومكن الملك تشارلز الثّاني، عند عودته، تجنب أخذ أي عمل تجاه عريضة تجار لندن التي تطلب منه إبطال السماح الممنوح لليهود من قبل كرومويل.

وقيل بان الملك قد تلقى العون من قبل أشخاص عدة من اليهود، من مثل Mendes da Costa and Augustine Coronel ـ أثناء منفاه. وفي عام 1664 محاولة أخرى من قبل إيرل Berkshire والسّيد Ricaut لفرض طرد اليهود، لكن الملك في المجلس طمأن الأخير باستمرار الإحسان السابق.وكان هناك محاولات اخرى لطرد اليهود وضع حداً لها مجلس شورى الملك.

لم تكن أوضاع اليهود قد حددت بعد بصورة واضحة. لكن هناك حالة في 1684، إرتبطت بشركة الهند الشرقية، أكد بأنهم كانوا كفاراً أجانب، وأعداء دائمين إلى التاج البريطاني؛ وحتى المدعي العام أعلن بأنهم استقروا في إنجلترا

فقط تحت رخصة سرية. وفي واقع الامر، الأغلبية منهم كانت ما زالت معزولة عن باقي المجتمع.

قيل أن الملك وليام الثّالثُ تلقى عوناً عند عودته إلى إنجلترا قرض من 2،000،000 غلدر من Antonio Lopez Suasso، وبعدئذ البارون Avernes دي Gras، لم يعترض عندما أجبر بعض التجار من اليهود الرئيسيين للندن في 1689 على دفع الضريبة التي جمعت على سلع الأجانب؛ مع ذلك رفضت عريضة من جامايكا لطرد اليهود. ولكن بمدة خدمته العرش، على أية حال، جلب اتصالاً أقرب بين لندن وجاليات أمستردام، وهكذا ساعد في نقل مركز المالية الأوروبية من الهولنديين إلى العاصمة الإنجليزية. مبكراً في القرن الثامن عشر، شملت الجالية اليهودية للندن ممثلي الخبراء الماليين اليهود الرئيسيين لشمال أوروبا، من مثل Mendez da Costas، Abudientes، Salvadors، Lopezes، Fonsecas، وSeixas. وفريق ألماني صغير وصل وأسس كنساً في عام 1692؛ لكنهم كانوا في النتجة أعداداً صغيرة، ولم يحسبوا في العلاقات بين اليهود والحكومة. مرفق التجار اليهود الأكبر عرف. مارلبورو بشكل خاص حصلت على فوائد عظيمة من خدمات Sir Solomon de Medina، وفي الحقيقة إتهمت بأخذ إعانة مالية سنوية علناً منه. ويقدر بأن هؤلاء التجار جَلبوا معهم إلى البلاد رأسمال £.1،500،000، الذي زادوا بمنتصف القرن إلى 5,000,000. وبحدود 1723 صدر قانون برلماني خاص سمح لهم بامتلاك الأرض بشرط أن يقسموا عندما يسجلون قسم الإيمان؛ وسمحوا لهم بحذف الكلمات «على إيمان مسيحي.» من نص القسم. بعد بضع سنوات (1740) سمح لليهود بالاستقرار في المستعمرات البريطانية لفترة تتجاوز سبع سنوات بشرط أن يصبحوا من المواطنين[1]. بعدئذ جداول للتجنس قدمت إلى البرلمان الآيرلندي، وعبرت مجلس العموم في 1745 و1746، لكنها أخفقت في عبور نظيرها الآيرلندي في 1747؛ وأسقطت في النهاية. في هذه الأثناء، خلال التمرد اليعقوبي من عام

(1) 13 Geo. II., cap. 7.

1745 اظهر اليهودي الولاء المعين إلى الحكومة. خبيرهم المالي الرئيسي، سامسن جديون، قوى سوق الأسهم المالية، وعدة من الأعضاء الشبان تطوع في الهيئة للدفاع عن الوضع المالي في لندن.

☆ ☆ ☆

وسابقاً لهذا التاريخ اجتمع اليهود في بيت خاص لممارسة الصلاة والعبادة وجعلوا منه كنساً وكان يقع في زقاق Creechurch، شارع Leadenhall؛ ومن المحتمل وجود مكان إجتماع ثانٍ في منطقة St Helens بحلول عام 1662. أماكن العبادة هذه كانت معروفة ومشهورة جداً عند الناس، مع أنها حميت من الرؤية من خلال الدخول اليها عبر أبواب متتابعة ثلاثة وغيرها من الوسائل التي تساعد على الإخفاء. توماس Greenhalgh قام بزيارة الكنس الواقع في زقاق Creechurch في عام 1664؛ ومن سجل تعداد الولادات التي حصلت في السنه الجارية يظهر بأن حوالي 280 يهودياً إستقر في لندن في بداية عهد الملك تشارلز الثاني. ولكن لا بد وأن زاد عددهم إلى حد كبير بحلول عام 1677، بدليل وجود أكثر من خمسين اسم يهودي في دليل لندن الأول[1]، مما يؤكد على أن تعداد سكان هذه الأماكن يصل على الأقل إلى 500 شخص. وهناك العديد من الأدلة التي تؤكد بأن العديد من الأجانب قد ادعوا بأنهم من اليهود في تلك السنة[2].

الكثير من المعارضة وجهت ضد وجود اليهود من قبل مواطني لندن، واعتبروهم منافسين هائلين لهم في ميدان التجارة الخارجية. إضافة إلى عريضة مرفوعة من توماس Violett ضدهم في 1660، كان هناك اعتراضات أخرى في 1664، 1673، و1685 لوضع حد لنشاطهم وحتى إلى إقامتهم في إنجلترا. لكن النقطة الفاصلة كانت المنحة التي أعطيت إلى يهود لندن من قبل الملك تشارلز

(1) Jacobs and Wolf, «Bibl. Anglo-Jud.» pp. 59-61.

(2) L. Wolf, in «Jew. Chron.» Sept. 28, 1894, p. 10.

الثاني إنتهى جريان مفعولها مع موته، وبأن سلعهم كانت خاضعة لأحكام ممتلكات الغرباء في البلاد[1]؛ تجار لندن الكبار، على أية حال، عرفوا الفوائد التي تشتق من التجارة اليهودية الكبيرة بين المستعمرات الإسبانية والبرتغالية وبلاد المشرق العربي، التي، في الحقيقة، إنجلترا كانت مدينة بشكل كبير لإستيرادها من تلك الأنحاء بالملايين. Rodriques Marques في وقت موته (1668) ما كان عنده أقل من 1،000،000 milreis أودع إلى لندن من البرتغال. يهود فرديون وفقاً لذلك إعترف بهم كسماسرة في سوق Royal Exchange، مع أن ذلك في الواقع ليس من المسموح به قانونياً. سليمان Dormido، Manasseh منسى إبن أخ إسرائيل، إعترف بهما كسماسرة رسميين بحدود عام 1657، وآخرون تلوا، حتى أن الزاوية الجنوبية الشرقية لقاعة التبادل خصصت للسماسرة اليهود. وفي عام 1697 مجموعة جديدة من التعليمات صادقت عليها لجنة التبادل التي عينت من قبل النواب، وحصرت عدد السماسرة الإنجليز في 100، والسماسرة الأجانب في 12، والسماسرة اليهود إلى 12. كان جميع اليهود 12 الذين اعتمدوا من طائفة اليهود ال Sephardim ماعدا Benjamin ليفي، الذي كان من المحتمل أنه أشكنازي. وكان هناك عريضة في 1715 ضد الاعتراف باليهود كأعضاء في بورصة التبادل في لندن تم رفضها من المجلس التشريعي.

☆ ☆ ☆

بالصورة السريعة أسس الـ Sephardim مؤسسات عمومية، واتبعوا فيها المثال الذي كان سائداً في مدينة أمستردام وهم الذين كانوا في معظمهم قد قدموا منها. مدرسة باب الأمل The Gates of Hope School أسست بحدود عام 1664؛ وتليت بمدارس الفيللات الحقيقيةَ the Villa Real Schools في عام 1730. مدرسة The Sephardic Orphan Asylum كانت قد أسست بحدود عام 1703، والمجمع الذي يبتدئ اسمه «Honen Dalim»، أسس في عام 1704

(1) Tovey, «Anglo-Judaica,» pp. 287-295.

لمساعدة النساء الحوامل، ولدعم الفقراء، ولإعطاء منح الزواج إلى البنات اليتيمات.

في عـام 1736 أسست جمعيـة مجتمع الأزواج، وبعد أحد عشر سنةً the Beth Holim، أو المستشفى، جاء إلى الوجود، وتبعه في عام 1749 المؤسسة «المعروفة بـ Mahesim Tobim».

☆ ☆ ☆

حياة اليهودي من Sephardic في لندن دعمت منذ مرحلة الولادة، وخلال الختان، إلى الزواج، وصاعداً إلى الموت، حتى بنات الجالية سوعدن بالدوطه.

تركزتْ كل هذه المؤسسات بجوار كنس Sephardic العظيم الذي بني في منطقة Bevis Marks بتاريخ سبتمبر/أيلول، 1701. كان هذا مركزاً للإشعاع والتعلم، وأقيم معهد Etz Haim (أسس بحدود 1664) لدراسة القانون. لاحقاً هذا دمج مع yeshibah في مؤسسة واحدة دعيت «Medrash» وهو ما زال قائماً. ومنذ أوائل أيام الجالية تقريباً كل الأسماء ذات الأهمية ارتبطت بأسماء العائلات من مثل: Bevis Marks, e.g., the Cortissos, Lagunas, Mendes, Pimentels, Samudas, Salvadors, Sarmentos, Suassos, and Villa Reals; وكان جميعهم يتمتعون بالثقافة العالية والتعليم العبري.

☆ ☆ ☆

الوضع الإجتماعي في 1750 ـ (Social Condition in 1750)

بمنتصف القرن الثامن عشر، هذه العائلات وغيرها من العوائل، مثل Franks، Treves، Seixas، Nunes، Lamegos، Salomons، Pereiras، وFrancos، جمعت ثروة كبيرة، بشكل رئيسي من خلال ممارسة التجارة الخارجية؛ وفي كتيب يعود إلى ذلك الوقت ذكر بأنه كان هناك 100 عائلة بدخل يتراوح بين £.1،000 و£.2،000، في السنة بينما الإنفاق المتوسط £.1،000 من

العوائل هو فوق حد الفقر المستديم الذي كان يقدر ب 300 سنوياً. وقدر الدخل العام للجالية اليهودية كاملة بمبلغ يساوي £.5،000،000 [1].

اهتم اليهود بالشكل الرئيسي بالعلاقات التجارية مع كل من شرق وغرب الهند وكان حجم المبادلات بالملايين.

تجارة جامايكا الخارجية كانت قد إحتكرت تقريبا من قبلهم [2].

أبرز هؤلاء التجار كان Gideon Samson الذي ببرودته أثناء أزمة the South Sea Bubble وتمرد 1745 أدى الخدمةَ العظيمةَ إلى الحكومة واكتسب مصداقية كبيرة. الإضطرابات التي تلت مرور جدول 1753 لتجنس اليهود كان لها نتائج وتأثير كارثي على شريحة مجتمع Sephardic.

بيأس من الانعتاق، عدد كبير، وهم الأكثر غنى وثقافة اما عمدوا أنفسهم أو عمدوا أطفالهم، وكان Gideon قائداً لهذا الإتجاه. أصبح إبنه اللورد Eardley في الشرافة الآيرلندية. واحد من نتائج رفض الموافقة على لائحة التجنس في عام 1753 كان تشكيل لجنه النواب، التي بعد ذلك عرفت ب «Deputados of the Portuguese Nation,» وهي كانت إمتداداً للجنة Committee of Diligence المكلفة من البرلمان الآيرلندي بأمر لائحة التجنس في 1745. لجنة النواب جاءت إلى الوجود كهيئة تمثيلية كان عملها الأول تهنئة الملك جورج الثّالث على موافقته على لائحة التجنيس. ووفقاً لما ذكر سابقاً من اسم للجنة فلقد حصرت العضوية فيها على اليهود Sephardim، وبترتيب خاص ضم ممثلون من أصل «يهود هولنديون» سمح لهم بالإشتراك بمباحثات الانعتاق.

وفي هذه الأثناء «يهود هولنديون» أو Ashkenazim كانوا منذ بداية القرن قد ازداد عددهم ببطء مع تصاعد بفعاليتهم إن من ناحية العدد أو من ناحية

(1) «Further Considerations of the Act,» pp. 34-35, London, 1753.

(2) ib. pp. 44-49.

النفوذ. أسسوا كنساً بحدود 1692 في منطقة Broad، و Mitre square؛ وبعد ثلاثين سنةً أنشئ التجمع بكرم من Moses of Breslau. أخوه، هارون هارت Aaron Hart، أصبح الحبر الأعظم؛ وابنته Mrs. Judith Levy، السيدة جوديث ليفي، ساهمت بإرادتها الحرة بصيانة الكنس. بعد ثلاث سنوات حدث الإنشقاق الديني، والكنس Hambro أسس. لم يشعر اليهود الألمان إلى زمن عام 1745م بضرورة تأسيس صندوق يعود للصدقات. لكن بعدها تأسس Hakenosath Berith، وتلاه عام 1780 Meshivath Nephesh. الإفتراق الصارم وجد بين فريقي اليهود الأشكناز والسفارديم وأصبحا شريحتي المجتمع اليهودي. حتى في دفن موتاهم تفرقوا: مقبرة Ashkenazic كانت في طريق Alderney، نهاية ميل.

☆ ☆ ☆

الوضع الإجتماعي ليهود Ashkenazim في نهاية القرن الثامن عشر لم يكن على الإطلاق مرضياً؛ معظم جالية Ashkenazic كانت من التجار التافهين والباعة المتجولين، إن لم نذكر الوظائف الأكثر خزياً ما عدا القليل جداً ممن تميز من التجار مثل إبراهيم وBenjamin Goldsmid، ليفي Barent كوهين، وليفي Salomons، ؛ Colquhoun في «إطروحته عن شرطة العاصمة» (لندن، 1800)، خصص جزءاً كبيراً للحديث عن الجريمة وتأثيرها. وكانت المجموعات االتي تعاني العوز من Ashkenazim كانت تعاني أيضاً بعض الشيء من ضعف المعنويات. وكان الساعون نحو نيل الجوائز من مثل Aby Belasco، صموئيل إلياس، ودانيال Mendoza، يحاولون رفع الضيم عن أهلهم من المحرومين، لكن تأثيرهم لم يكن بذي فاعلية كبيرة على المجموع.

وتتابع إثر ذلك في القرن التاسع القرن حركة تعليمية واجتماعية غالباً مجانية، فتأسست العديد من المستشفيات والمدارس والمعاهد التي أدت إلى نهضة ملموسة في وسط اليهود الأشكيناز وبرز العديد من الأعضاء في حقول التربية والأدب والشعر والصحافة.

تركز الكفاح اليهودي نحو الانعتاق في انجلترا بمن سكن منهم في مدينة لندن فلقد تصاعد التأثير اليهودي في المدينة. ديفيد Salomons كان أحد مؤسسي مصرف «لندن وويست مينستر»؛ أحواض سفن لندن بدأت تصبح مهنتهم بقيادة Goldsmids؛ وتأسيس شركة التأمين Alliance Insurance Company، كانت بجهد ملحوظ من قبل Sir Moses Montefiore وأخو زوجته ناثان Rothschild. جلبت هذه المؤسسات وما يماثلها علاقات دائمة بين اليهود والرجال الفاعلين في المدينة. ولقيت مطالبتهم بالعدالة دعماً ملحوظاً من مواطني لندن. هكذا كانت المحاولة الأولى لعبور «اليهودي بيل» «Jew Bill» وفي 1830 كانت محاولة القراءة الثانية وفي عام 1833 كانتْ مدعومة من قبل عريضة موقعة من لا أقل من 14،000 من مواطني لندن؛ ومعها عريضة أخرى موقعة من 1،000 اسم مؤثر من ويست مينستر. لائحة أعضاء الشرف لمدينة لندن كانت هدفاً لبعض من اليهود وهكذا استطاع في عام 1835 David Salomons بأن يكون أحدها وتبعه بعد سنتين موسى Montefiore، ورسم بعد ذلك فارساً knight من قبل الملكة فيكتوريا. في نفس سنة (1835) Salomons إنتخب حاكماً للمقاطعة كـalderman، لكنه كان غير قادر على احتلال ذلك المركز بسبب دينه. لعشر سنوات ظل يسعى نحو الحصول على حق إشغال هذا الموقع، حتى نجح أخيراً في ذلك وأصبح من المسموح لليهود بإشغال مركز alderman في مدينة لندن، وبذلك، أصبح مؤهلاً لينتخب كعمدة للمدينة. Salomons كان اليهودي الأول كمدير للشرطة (1835)، النائب اليهودي الأول (1847)، اليهودي الأول كعمدة المدينة (1855) في تاريخ مدينة لندن. وقدر أيضاً بأن يكون اليهودي الأول الذي إنتخب عضواً في البرلمان البريطاني. كما استطاع Baron Lionel Rothschild أن يتبوأ مقعد عضوية مجلس مدينة لندن. وظهر التعاطف من السكان مع اليهود أثناء حادث القس توما الكبوشي وخادمه ابراهيم عمار بإنعقاد Mansion House (يوليو/تموز 3، 1840) للاحتجاج على الكارثة المهددة.[1]

---

(1) انظر بحث طقس الدم.

لكن الإنشقاق الديني بين الأشكيناز والسفارديم ترك أثره العميق على اليهود حتى تاريخ نهاية القرن التاسع عشر.

كان أثر إبطال جداول تجنيس اليهود بصورة رئيسية محزناً على يهود Sephardicفي إنجلترا،. سامسن جديون، رئيس الجالية، صمم على تربية أطفاله كمسيحيين، ومثاله اتبع من قبل العديد من العوائل الرئيسية أثناء بقية القرن. أي شعور بعدم الأمان العام عم الجاليةَ. بموافقة الملك جورج الثالث لجنة Deputados شكلت لتكملة لجنة اليقظة التي كلفت الإشراف على مروورجداول تجنيس اليهود عند عرضها على البرلمان الآيرلندي. بهذا الوقت، اليهود الألمان كانوا قد أصبحوا من الأهمية الكافية لكي يشتركوا مع لجنة النواب في توجيه التهنئة للملك جورج الثّالث على موافقته على جداول التجنيس اليهودية.، لكنهم لم يشكلوا جزءاً منتظماً من لجنة النواب، الجسم التمثيلي الرسمي الوحيد لليهود الإنجليز. نشاط اللجنة، على أية حال، كرس بشكل رئيسي لمساعدة الأخوة في الدين الآتين من الخارج، فما كان يملكه اليهود في لندن من ثروة كبيرة جعلت منهم مركز جذب للمحتاجين اليهود من كلا العالمين القديم والجديد. النواب لا يظهر أنهم أعلنوا أي إحتجاج ضد القسم المفروض بصورة خاصةعلى اليهود[1]. فلقد كان يطلب من اليهود إعلان القسم بنص يحتوي كلمات «على إيمان مسيحي»، «من كل الضباط، مدنيين أو عسكريين، يعملون تحت التاج البريطاني وفي الجامعات، ومن كل المحامين، ومن الناخبين، ومن أعضاء البرلمان.

في هذا الوقت عدد من الأعضاء الأكثر بروزاً من الجالية Sephardic من مثل، Bernals، Lopezes، Ricardos، Disraelis، Aguilars، Bassevis، وSamudas، قطعوا اتصالهم بشكل تدريجي بالكنس وسمحوا لأطفالهم بأن يكبروا إما بدون أي دين أو في الكنيسة المؤسسة، التي أعطتهم مرجعية مفتوحةَ

---

(1) 6 George III., cap. 52

في كل المهن. في هذه الأثناء جدد المجتمع اليهودي الإنجليزي بمجيء الجاليات الألمانية والبولندية المظلومة في القارة. بينما تجمع Sephardim بصورة رئيسية في لندن واتخذوها كمركز للتجارة الدولية، إستقر اليهودالقسم الأكبر من اليهود الألمان في الموانئ البحرية من الجنوب والغرب، مثل Falmouth، Plymouth، ليفربول، بريستول، الخ.، كمرابين وتجار صغار. من هذه المراكز كان ينطلق الباعة المتجولون صباح كل يوم إثنين نحو الضيع؛ وبهذه الطريقة تمت الإرتباطات مع البلدات الداخلية، التي فيها بدأوا الإستقرار، Canterbury، Chatham، وكامبردج، مانجستر وبرمنغهام. هذا النوع من التجار الصغار الذين كان رأسمالهم صغيراً، سمح لهم الإحتكاك المباشر مع المواطنين العاديين من الإنجليز ما لم يكن متاحاً للتجار الكبار من اليهود الذين كانوا يقيمون في العاصمة. هذه العلاقة ساهمت بلا شك بإشاعة شيء من الإجحاف الذي كان قد ظهر بقوة أثناء 1753.

في هذه الأثناء بدأت الزعامة اليهودية تنتقل من اليهود ذوي الأصل الإسباني إلى اليهود ذوي الأصل الألماني وأصبح للمصرفي Goldsmid التأثيرالفاعل في ميدان الأعمال والثقافة، وجهوده لرفع الجالية سريعاً دعمت من أولئك من مثل عائلة Nathan Rothschild، الذين إستقروا أولاً في مانجستر وبعدئذ في لندن.الوقت كان إلى حد ما مؤاتياً لجهد جديد لإزالة حالات العجز المدني لليهود. وكان للمثال الفرنسي أثره الفاعل، فتصاعد المد لمصلحة الحرية الدينية، فشمل المنشقين عموماً إلى الكاثوليك التابعين لروما بشكل خاص، وكان يمكن أن يحمل معه شروطاً أكثر مناسبة لليهود؛ لكن كفاحاً طويلاً كان مقدراً على اليهود قبل أن يصبحوا «الرجال الإنجليز بالمعتقد اليهودي» عندهم حقوق مساوية مع الرجال الإنجليز الآخرين.

☆ ☆ ☆

في بداية القرن التاسع عشر، عدد اليهود في إنجلترا لم يكن يتجاوز 8،000 شخصاً على الأقل كان 6،000 منهم في لندن. الزيادة كانت بطيئة نسبياً

حتى الهجرة الروسية 1880، عندما كان هناك من المحتمل حوالي 60،000 يهودي في الجزر البريطانية. في الوقت الحاضر (1905) يحسب بأن إنجلترا فيها سكان يهود يبلغ 148،811 نسمة؛ 7,428 في أسكوتلندا، و3،771 في إيرلنده، تقريبا 160،000 للجزُر البريطانية. في 1901 الإمبراطورية البريطانية كان عندها إجمالاً حول ربع مليون يهودي.

☆ ☆ ☆

الفصل الثامن

المسألة اليهودية في ألمانية

نظرة عامة

في مقال في الموسوعة اليهودية تحت عنوان: Jews in Germany كتبه: M. Brann جاء فيه:

لم يعرف تاريخ إنشأ المستوطنة اليهودية الأولى في المنطقة التي دعيت من قبل الرومان «Germania Sperior»، و«Germania Inferior»، و«Germania Magna»، وهي إجمالاً، منطقة الإمبراطورية الألمانية الحالية (الحديث في عام 1905).

الوثيقة الأصلية الأولى التي تتعلق بجالية يهودية كبيرة ومنظمة بشكل جيد في هذه المناطق، تعود إلى تاريخ عام 321م وهناك إشارة إلى Cologne على الراين؛ وتشير بأن المنزلةَ القانونيةَ لليهود كانت هناك تماماً مماثلة لإي مكان آخر في الإمبراطورية الرومانية.

تمتع اليهود بالحرية المدنية الكاملة، لكن التحديد تناول ما يتعلق بنشر إيمانهم الديني، إو حياز شق للعبيد المسيحيين، والوظائف الحكومية. كانوا أحراراً عادة في السكن في أي مكان يفتح إلى مواطنيهم؛ إشتغلوا في الزراعة، والتجارة، والصناعة، وعملوا على إقراض المال بشكل تدريجي. هذه الشروط

في باديء الأمر إستمرت في الممالك الألمانية المؤسسة بعد ذلك تحت Burgundians وFranks، وتجدر هنا الإشارة بأن اليهود عاشوا بطريقة سلمية مع اللوردات الألمان الجدد، كما عملوا سابقا مع القرويين الرومان. حكام Merovingian، أيضاً، الذين نجحوا في إقامة إمبراطورية Burgundian، كانت مجردة من التعصب، لكنها أعطت دعماً ضئيلاً إلى جهود الكنيسة لتحديد المركزالمدني والإجتماعي لليهود.

☆ ☆ ☆

تحت حكم شارلمان

إستعمل شارلمان الكنيسة بسهولة لغرض صب تماسك على الأجزاء النائية لإمبراطوريته الشاسعة وذلك من خلال بعض القوانين الكنسية. كما إنه إستعمل اليهود بقدر ما ناسب دبلوماسيته؛ أرسل على سبيل المثال يهودياً كمترجم وكدليل بوفده الدبلوماسي إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد. ثم طرأ تغيير تدريجي على حياة اليهود. على خلاف الألمان، الذين كانوا عرضة للدعوة إلى الخدمة العسكرية في أية لحظة في تلك الأوقات المتعبة، اليهود كانوا معفيين من الخدمة العسكرية؛ لذلك التجارة تركت تقريباً كليا في أيديهم، وهم ضمنوا الإحتكار المدفوع الأجر لإقراض المال عندما منعت الكنيسة المسيحيين من واردات الربا. إستمروا بالبلاد بحرية، واستقروا أيضاً في الأجزاء الشرقية. ماعدا Cologne، ويبدو أن الجاليات الأسبق كانت قد أسست في Worms وMayence.

☆ ☆ ☆

أثناء الحملات الصليبية

بقيت منزلة اليهود بدون تغيير تحت وريث شارلمان الضعيف، Ludwig the Pious. وكانوا غير مقيدين في تجارتهم، لكن خزينة الدولة كانت تكلفهم

بدفع ضريبة أعلى جداً من الضريبة المفروضة على المسيحيين. ضابط خاص، «Judenmeister»، «عين بالحكومة لحماية إمتيازاتهم. Carolingians الملك على أية حال، خضع أكثر فأكثر لطلبات الكنيسة. الأساقفة، الذين كانوا بشكل مستمر يرددون في المجامع الكنسية المراسيم المعادية للسامية ويدعون للقانون الكنسي،كان سببه الجهالة عند عامة الناس المؤمنة بالخرافات التي مُلئت بالكراهية ضد المتشككين. هذا الشعور، بين كل من الأمراء والناس، حفز بالهجمات على المساواة المدنية لليهود. بدءا بالقرن العاشر، أصبح أسبوع الآلام أكثر فأكثر فترة الإضطهاد لهم. رغم ذلك الأباطرة السكسونيون لم يعاملوا اليهود بشكل سيئ، لكنهم انتزعوا منهم الضرائب التي كانت أعلى من ضرائب التجار الآخرين المسيحيين.

بالرغم من أنهم كانوا جهلة كمعاصريهم بالنسبة إلى الدراسات العلمانية، لكنهم كان يمكن أن يقرأوا ويفهموا الصلوات باللغة العبرية، والتوراة في النص الأصلي. بدأت دراسات الحلقة Halakic بالإزدهار في حوالي عام 1000 م. في ذلك الوقت Gershom b. Jduah R. كان يعلم في Metz، وMayence، وتحلق حوله تلاميذ من كل مكان، وكان موصوفاً بأنه أنموذج للحكمة، والتواضع، والتقوى، وممدوحاً (מאור הגולה) «كمصباح المنفى». حفز اليهود الألمان أولاً لدراسة كنوز أدبهم الوطني اليهودي. وأنتجت هذه الدراسة المستمرة للتوراة بعد الحملات الصليبية، الحماس الزائد الذي اعترى الألمان ضد من صلبوا المسيح والذين كانوا على تناقض مع الإيمان المسيحي، فكان موجهاً نحو اليهود. كامل الجاليات، مثل أولئك Treves، Speyer، ديدان، Mayence، وCologne، ذبحت، ماعدا أولئك الذين سمح لهم القتلة أو توقعوا الإنتحار المتعمد من ضحاياهم المقصودين. حوالي 12،000 يهودي قيل بأنهم ماتوا في مدن Rhenish لوحده بين مايو/أيار ويوليو/تموز، 1096. هذه الحالات من تفشي العاطفة الشعبية المعادية لليهود أثناء الحملات الصليبية أثرت على المنزلة المستقبلية لليهود.

من أجل تبرئة ضمائرهم وجّه المسيحيون الإتهامات ضد اليهود لإثبات بأنهم استحقوا مصيرهم؛ منسوبة إلى الجرائم، مثل تدنيس المضيف، قتل طقوسي، تسميم الآبار، وخيانة، جلب المئات إلى الحصة، فأحرقوا وسيق الآلاف إلى المنفى؛ واتهموا بأنهم سببوا غارات المنغوليين، بالرغم من أنهم عانوا على حد سواء مع المسيحيين من تلك الحشود الوحشية. عندما اجتاح الطاعون أوروبا في 1348 ـ 49، إتهم اليهود بتسميم الآبار، وبدأ ذبح عام لليهود في كافة أنحاء المحافظات الألمانية والأماكن المتاخمة.

☆ ☆ ☆

منزلتهم القانونية

على الرغم من هذا، كانت المنزلة القانونية والمدنية لليهود تمر بمرحلة تحول. فلقد وجد اليهود درجة معينة من الحماية مع إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، الذي إدعى حق الإمتلاك وحماية كل يهود الإمبراطورية بفضل وراثته للأمبراطور تيتوس، وقال أنه إكتسب اليهود كما اكتسب ملكيته الخاصة. إدعى الأباطرة الألمان هذا الحق من الإمتلاك على الأكثر لأجل فرض ضريبة على اليهود من أجل حمايتهم. لودفيج، البفاريون مارسوا إبداعاً خاصاً في ابتكار الضرائب الجديدة. وفي 1342 فرض «بنس قرباني ذهبي،» وأمر بأن كل سنة كل اليهود يجب أن يدفعوا إلى الإمبراطور واحد kreutzer عن كل غلدر من ملكيتهم بالاضافة إلى الضرائب التي كانوا يدفعونها إلى السلطات الرسمية والبلدية.

أباطرة بيت لكسمبورغ إبتكرت وسائل أخرى من النظام الضريبي. باعوا امتيازاتهم فيما يتعلق باليهود بثمن باهظ إلى الأمراء والبلدات الحرة من الإمبراطورية، الإمتياز الثمين لفرض وتغريم ضريبة على اليهود. من أجل إعادة تنظيم الإمبراطورية في 1356، تشارلز الرابع، من قبل «ثور ذهبي،» منح هذا الإمتياز إلى سبعة من ناخبي الإمبراطورية. من هذا الوقت فصاعداً يهود ألمانيا

عبروا بشكل تدريجي، من سلطة الإمبراطور إلى سلطة الملوك الأقل والمدن الحرة.

لأجل دَخل مَطلوب جداً دُعي اليهود، مع الوعد بالحماية الكاملة، للعودة إلى تلك المناطق والمدن التي طردوا بقسوة منها؛ لكن حالما اكتسبوا بعض الملكية سلبوا ثانية وأبعدوا. هذه الحوادث فيما بعد شكلت تاريخ اليهود الألمان. الإمبراطور Wenceslaus كان خبيراً جداً في تحويل الذهب إلى صناديقه الخاصة من جيوب اليهود الأغنياء. جعل المواثيق بالعديد من المدن، عقارات، وأمراء حيث أبطل كل الديون القائمة إلى اليهود مقابل مبلغ مؤكد دفعوه إليه، ويضيف بأن أي واحد يحب أن يساعد اليهود على جمع ديونهم يجب أن يعامل ككاسر للسلام وكالسارق، ويكون مجبراً على دفع التعويض. هذا المرسوم، لسنوات جرح الإئتمان العام، وأفقر آلاف العوائل اليهودية أثناء إنتهاء القرن الرابع عشر.

لم يجلب القرن الخامس عشر أي تحسين. والذي حدث أثناء الحملات الصليبية حدث ثانية. الحرب على زنادقة Hussite أصبحت الإشارة لذبح المتشككين. مر من خلال كل رعب الموت، يهود النمسا، Bohemia، Moravia، وسليسيا؛كانوا تحت الإختيار بين إما المعمودية الإجبارية، أو التضحية الطوعية لأجل إيمانهم. عندما عمل Hussites السلام بالكنيسة، أرسل البابا الراهب الفرانسيسكاني Capistrano لربح ظهر المرتدين إلى الطية وليلهمهم بالبغض للبدعة والشك؛ الشهداء واحد وأربعون أحرقوا في Breslau لوحده، وكل اليهود أبعدوا إلى الأبد من سليسيا. جلب الراهب الفرانسيسكاني Bernhardinus مصيراً مماثلاً على الجاليات في جنوبي وغرب ألمانيا. وكنتيجة للاعترافات الخيالية التي انتزعت تحت التعذيب من يهود ترينت، عامة الناس في العديد من المدن، وخصوصاً Ratisbon، ساهم في ذبح اليهود.

نهاية القرن الخامس عشر، التي أتت بعهد جديد للعالم المسيحي، لم تجلب معها أية إغاثة لليهود. بقوا ضحايا للكراهية الدينية التي نسبت إليهم كل

الشرور المحتملة. عندما هددت الكنيسة المؤسسة، في قوتها الروحية في ألمانيا وفي مكان آخر، بسبب النزعة نحو ثقافة عصر النهضة، إحدى أكثر النقاط السهلة للهجوم، كانت الأدب الرباني، في هذا الوقت، ومرة قبل ذلك في فرنسا، نشر المتحولون الى المسيحية من اليهود تقارير خاطئةً فيما يتعلق بالتلمود. لكن الإنسانيين كانوا الأول ممن أدخل اللغة العبرية ضمن اللغات الإنسانية. مع ذلك تلقى رأيهم هجوماً مريراً من قبل الدومينيكيين وأتباعهم، لكن في زمن البابا الإنساني Leo العاشر سمح بطبع التلمود في إيطاليا.

☆ ☆ ☆

القرنان السادس عشر والسابع عشر

الشعور ضد اليهود، على أية حال، بقي بدون تغيير أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، فلقد بقي اليهود خاضعين لإرادة الأمراء والمدن الحرة، في كلتا المناطق الكاثوليكية والبروتستانتية. الأباطرة الألمان ما كانوا قادرين على حمايتهم دائماً، حتى عندما رغبوا بعمل ذلك، كما عمل الإمبراطور النبيل ماكسيمليان الأول؛ لم يستطيعوا أن يمنعوا إتهامات القتل الطقوسي او تهمة تدنيس المضيف. كانت الخلافات الدينية لا تنتهي وأدت إلى حرب الثلاثين السنة التي هيجت الناس ضد اليهود. طرد الأباطرة «Kammerknechte» من حين لآخر من أراضي تاجهم، بالرغم من أنهم ما زالوا مفترضين الحامين لهم. فيردناند آي. طرد اليهود من النمسا السفلى وGrz، وكان سينفذ قسمه لإبعادهم أيضاً من Bohemia, Mordecai ema Cohen

أقنع البابا لتبرئة الإمبراطور من هذا القسم. الإمبراطور ليوبولد الأول طردهم في 1670 من فينا وarchduchy النمساوية، بالرغم من حقوقهم المكتسبة وشفاعة الأمراء والقساوسة؛ المنفيون استقبلوا في Brandenburg. «ناخب عظيم،» فريدريك وليام (1620 ـ 88)، دعا إلى تحمل كل المعتقدات الدينية بشكل نزيه، فحمى بموقفه الجديد الناس من الظلم والإفتراء. بالرغم من القيود

المدنية والدينية التي أخضعوا لها، أنجز اليهود بشكل تدريجي وجهة نظر أوسع، بالرغم من أن تعليمهم الأحادي الجانب، نتيجة القرون من الظلم، كان ما زال مقطوعاً كلياً عن الثقافة الأوروبية الحديثة، فأبقاهم في العبودية الثقافية الخاصة.

☆ ☆ ☆

الإفتراق عن العالم

الجور الذي عانى منه اليهود كان الباعث نحو وجهة نظر صارمة للحياة. عاشوا في الخوف في الأحياء اليهودية، وعاشوا على ما هم يمكن أن يكسبوه كباعة متجولين وكتجار للملابس القديمة. إنقطعوا عن كل الإشتراك العلني والحياة المدنية مع الآخرين. حياتهم العائلية كانت صافية وعميقة الإيمان، وعملوا بالصناعة وكانوا موالين لجاليتهم. فكانوا بالنتيجة بوضع من التفرقة الكاملة عن المواطنين المسيحيين.

الخطاب الألماني للغيتو كان على نحو متزايد على علاقة مع Hebraisms، وأيضاً بالعناصر السلافية منذ القرن السابع عشر، وعندما أوصلت الأعمال الوحشية لـChmielnicki وتره هرب اليهود البولنديين إلى غرب ألمانيا. كما فَهم عامة الشعب فقط الكتب التي كتبت في هذه اللهجة الغريبة وطبعت بالأحرف العبرية من أدب ضخم الإنشاء، وكتب عبادة، وأعمال أخرى طلعت في سبيل إشباع حاجات هؤلاء القراء. بالرغم من أن هذا العمل كان أحادي الجانب، وهو خارج تقريباً عن المعرفة العلمانية، لكن أهميته في تأريخ الثقافة اليهودية لا يجب أن يقلل أهميتها. دراسة التوراة، والتلمود، وأعمال الحلقة القانونية، بتعليقاتهم الضخمة، أبقت على مرونة العقل اليهودي، حتى موسى جديد جاء لقيادة أخوته في الدين خارج العبودية الثقافية نحو الثقافة الحديثة.



من موسى Mendelssohn إلى الوقت الحالي (1750 ـ 1900):

حدد موسى Mendelssohn مكان البصيرة الحقيقية، ونقطة المغادرة لتجديد الحياة اليهودية الثقافية. العصور الوسطى، التي لم تستطع أن تأخذ من اليهود لا إيمانهم ولا كتبهم الثقافية المختلفة، حرمتهم رغم ذلك الوسائل الرئيسية (يعني، اللهجة) لفَهم الأعمال الثقافية للآخرين. الهوة التي في النتيجة فَصلتهم من مواطنيهم المتعلمين جسرت بترجمة Mendelssohn للتوراة إلى الألماني. أصبح هذا الكتاب دليل اليهود الألمان، يعلمهم الكتابة والكلام باللغة الألمانية، ويهيئهم للإشتراك في الثقافة الألمانية والعلم العلماني. عاش Mendelssohn لرؤية الثمار الأولى من مساعيه. في 1778 صديقه David Friendänder أسس المدرسةَ المجانيةَ اليهوديةَ في برلين، كانت هذه المؤسسةَ التربويةَ اليهوديةَ الأولى في ألمانيا التي فيها تم اكتمال الأمر من تعليم الكتاب المقدس وكذلك العلوم العامة، وكانت اللغة الألمانية فقط هى لغة التدرس. المدارس المماثلة أسست لاحقا في Breslau (1815), Seesen (1801), Frankfort-on-the-Main (1804), Wolfenbüttel (1807). Brody and Tarnopol (1815). في 1783 النشرة الدورية «Sammler Der» أصدرت بوجهة نظر تهدف تزويد المعلومات للعامة من البالغين وتمكينهم التعبير عن أنفسهم باللغة الألمانيه الصافيه.

أي حماس شاب للنماذج الجديدة في ذلك الوقت تخلل كامل العالم المتحضر؛ كل الأديان عرفت حق الإحترام فيما بينها على حد سواء، وأبطال الحرية السياسية تعهدوا بإعادة اليهود إلى حقوقهم الكاملة كرجال ومواطنين. الإمبراطور الألماني الإنساني يوسف الثاني. كان أول من تبنى هذه النماذج الجديدة. مبكراً في عام 1782 أصدر «براءة التسامح العائدة ليهود النمسا السفلى «وأسس بذلك المساواة المدنية بين اليهود وباقي المواطنين. بروسيا منحت المواطنة لليهود البروسيين في 1812، مع ذلك هذه على الإطلاق لا تتضمن المساواة الكاملةَ مع المواطنين الآخرين. المراسيم الإتحادية الألمانية من 1815

مددت فرصةَ المساواة الكاملة؛ لكنها لم تدرك في ذلك الوقت، وحتى الوعود التي كانت قد أعطيت عدلت. في النمسا العديد من القوانين حددت التجارة ومرور المواضيع اليهودية بقيت دون إقرار إلى منتصف القرن الأخير، بالرغم من براءة التسامح. البعض من سكان التاج هبط، لـ Styria والنمسا العليا، ومنع أي من اليهود من السكن ضمن أرضهم؛ في Bohemia، Moravia، وسليسيا والعديد من المدن اغلقت في وجههم. بالإضافة إلى كونهم، مرهقين بالضرائب والمكوس الثقيلة.

☆ ☆ ☆

في بروسيا، أيضاً، عدلت الحكومة مادياً، في السنة الكارثية، 1813 الوعود الممنوحة سابقاً لليهود ووعود التسامح والمساواة الموعودة لليهود مراراً وتكراراً أجلت. في الفترة بين 1815 1847 كان هناك ما لايقل عن واحد وعشرين من القوانين الإقليمية عائدة لأوضاع اليهود في المحافظات الثماني من الولاية البروسية، التي كان كل واحد منها يعالج أمراً جزئياً من أمور اليهود في البلاد. ولم يكن هناك في ذلك الوقت مسؤول مخول بالكلام باسم كل اليهود الألمان. على الرغم من هذا تقدّم بضعة رجال شجعان لإبقاء طلباتهم قيد التداول، أول واحد من بينهم كان Gabriel Riesser محامي يهوديي هامبورغ (1863)، الذي طلب المساواةَ المدنيةَ الكاملةَ لجنسه من الأمراء والناس الألمان. أثار الرأي العام إلى مدى بأن هذه المساواة منحت في أبريل/نيسان بروسيا 6، 1848؛ في هانوفر وناسو على التوالي سبتمبر/أيلول 5 وديسمبر/كانون الأول 12 من نفس السنة. وفي Wurttemberg منحت المساواة في ديسمبر/كانون الأول 3، 1861؛ في أكتوبر/تشرين الأول Baden 4, 1862؛ في يوليو/تموزِ Holstein 14, 1863؛ في ديسمبر/كانون الأول Saxony 3, 1868. بعد مؤسسة الإتحاد الشمالي الألماني بقانون يوليو/تموز 3، 1869، كل القيود الحالية التي فرضت على أتباع الأديان المختلفة ألغيت؛ هذا المرسوم عم كل محافظات الإمبراطورية الألمانية بعد أحداث 1870.

الفصل التاسع

المسألة اليهودية في الولايات المتحدة

نظرة عامة

الولايات المتحدة الأميركية الواقعة في الجزء الشمالي من القارة الأميركية هي اليوم المكان الذي يتواجد فيه اليهود بقسط مساو للقسط المتواجد في إسرائيل، ففي جزء من سكانها هناك تجمع يشكل إسرائيل ثانية، خاصة عندما تعتبر الجالية اليهودية في الولايات المتحدة أن مهمتها الأولى هي دعم إسرائيل فلسطين كما جاء سابقاً عن لسان الصحافي الأميركي ج. ج. غولدبرغ.. ففي الولايات المتحدة وفق احصاءات عام 2007 هناك 5,275,000 من المعتقد اليهودي وفي أسرائيل 5,393,000 من المعتقد اليهودي.

وعبر التاريخ تعتبر الولايات المتحدة إحدى أكبر المستعمرات الإستيطانية في العالم والتي يعود زمن إنشائها إلى ما يقرب من أربع مئة سنة مضت تقريباً.

«شهدت أوائل الستينات من القرن السابع عشر بداية هجرة كبيرة من أوروبا إلى أميركا الشمالية. وهذه الحركة امتدت إلى أكثر من ثلاثة قرون، نمت من مجيء عدة مئات من المستعمرين الإنجليز، على سيل دافق من القادمين الجدد، بلغ عددهم الملايين، وشيدوا، بدوافع قوية مختلفة حضارة جديدة على أرض كانت ذات يوم قارة موحشة.

الدفعة الأولى من المهاجرين الإنجليز الذين وصلوا إلى ما يعرف الآن بالولايات المتحدة، عبرت المحيط الأطلنتي بعد وقت طويل من قيام المستعمرات الأسبانية في المكسيك، وفي جزر الهند الشرقية، وأمريكا الجنوبية. ومثل جميع الرحالين الأوائل إلى العالم الجديد، جاء هؤلاء في سفن صغيرة مكتظة، وعاشوا خلال رحلتهم التي كانت تتراوح بين ستة أسابيع واثني عشر أسبوعاً، على القليل من الزاد. وكثيرون منهم قضى عليهم المرض، وغالباً ما كانت العواصف تضرب سفنهم وتعطبها، وبعضهم فقد في البحر.

....، وكانت أول مستوطنة انجليزية دائمة في أمريكا مركزاً تجارياً أنشئ في عام 1607 في جيمستاون، في مستعمرة فرجينيا القديمة......، وبحلول عام 1620 عندما تجندت النساء في انجلترا للمجيء إلى فرجينيا للزواج وإنشاء أسر وبيوت، كانت الزراعة قد انتشرت على طوال نهر جيمس، وكان عدد السكان (الجدد) قد ارتفع الى ألف مستوطن.......، لم يبتعد عن الشاطئ غير التجار وصيادي حيوانات الفراء، لذلك ظل المستعمرون طوال قرن من الزمن يشيدون مستوطناتهم الجديدة متلاصقة متقاربة على طوال الشاطئ.

وكان مجيء المستعمرين في القرن السابع عشر نتيجة تخطيط وتنظيم دقيقين، ونفقات ضخمة ومجازفات كبيرة.......، وخلافاً لما كانت تسير عليه سياسة الاستعمار في دول أخرى وفي أحقاب مختلفة، كانت الحكومة الإنجليزية لا تشجع على الهجرة من بلادها، بل كانت تتعهدها جماعات خاصة من الأفراد الذين كان دافعهم الرئيسي هو الربح.

... والولايات الثلاث عشرة التي أصبحت في النهاية الولايات المتحدة، كانت نيوهامشير، مساتشوستس، رود أيلاند، كمونيتكت، نيويورك، نيوجرزي، كارولينا الشمالية، كارولينا الجنوبية، وجورجيا. وكانت كل ولاية تعكس أصلها ومنشأها، والعديد منها مجرد فروع من مستعمرات أخرى. فرود أيلاند ومونيتك أسسهما جماعات من ماساتشوستس - وهي المستعمرة (الأم)

التي تفرعت منها مستعمرات نيو انجلد بأسرها. وأسس مستعمرة جورجيا جيمس ادوارد أو جليثورب ونفر قليل من فاعلي الخير الذين كان هدفهم إطلاق سراح المساجين المدينين من السجون الإنجليزية وإرسالهم إلى امريكا لتأسيس مستعمرة تقف حاجزاً أمام الاسبان الذين كانوا في الجنوب. وأسس الهولنديون مستعمرة نيوذرلاند عام 1621، ثم خضعت للحكم الانجليزي في سنة 1664 واطلق عليها اسم نيويورك.

وكان الضيق الإقتصادي أقوى العوامل التي دفعت بمعظم المهاجرين الأوروبيين إلى ترك بلادهم بحثاً عن فرص اقتصادية أفضل - وهو دافع كثيراً ما كان يغذيه الحنين إلى الحرية الدينية، أو العزم على التخلص من الإضطهاد السياسي.

.. وفي الوقت الذي اشتدت فيه الحماسة الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دعت جماعة من الرجال والنساء تعرف بالبيوريتان، إلى اصلاح المذهب الديني الرسمي في انجلترا اصلاحاً داخلياً. وكان منهج هؤلاء الأساسي يرمي الى استكمال المذهب البروتستانتي في الكنيسة الوطنية وتبسيط طقوس الصلاة والعبادة. وقد هددت أفكارهم الإصلاحية بانقسام الناس على انفسهم، وتقويض دعائم السلطة الملكية، بالقضاء على وحدة كنيسة الدولة.

وفي عهد جيمس الأول رحلت جماعة صغيرة من الانفصاليين - ومعظمهم من الريفيين البسطاء الذين عرفوا بأنه لا يمكن إصلاح الكنيسة الرسمية وفق رغبتهم - إلى مدينة ليدن، بهولندا، حيث سمحت لهم السلطات باقامة شعائرهم بالشكل الذي يرغبون. وفي وقت لاحق قرر فريق من مهاجري ليدن الذين أصبحوا يعرفون ب «الحجاج»، الرحيل إلى الدنيا الجديدة حيث أسسوا، في عام 1625 مستعمرة بليموث.

وعقب تولي شارل الأول العرش في عام 1625، تعرض زعماء البيوريتان لما اعتبروه اضطهاداً متزايداً....، غير أن هؤلاء البيوريتان لم يكونوا

المستعمرين الوحيدين الذين هاجروا بسبب هذا الدافع الديني إلى أميركا. فقد حمل عدم الرضا عن حالة الكويكرز في انجلترا، وليم بن وأتباعه على تأسيس مستعمرة بنسلفانيا. كما كان اهتمام سيسيل كالفرت بالكاثوليك الإنجليز أحد العوامل التي دفعته الى انشاء مستعمرة ماريلاند. وفي بنسلفانيا وكارولينا الشمالية سعى كثيرون من المستعمرين - المتحدرين من أصل الماني وإرلندي - وراء قسط اكبر من الحرية الدينية والفرص الاقتصادية.

إلى جانب هذه العوامل الدينية كانت هناك اعتبارات سياسية دفعت كثيرين الى الرحيل الى اميركا. فقد شجع الحكم الجائر في عهد شارل الثاني، في الثلاثينات من القرن السابع عشر، الهجرة الى الدنيا الجديدة، كما حمل قيام ثورة وانتصار خصوم شارل بزعامة كرومويل، في السنوات العشر التالية، كثيرون من الفرسان (حزب الملك) ساعدوا على الهجرة الى فرجينيا، وفي المانيا ساعدت سياسة الإضطهاد التي اتبعها كثير من صغار الأمراء وخاصة في المسائل الدينية، وما حل بالبلاد من دمار وخراب من جراء الحروب الطويلة، على ازدياد الهجرة الى اميركا في اواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر.»[1]

☆ ☆ ☆

في بحث في الموسوعة اليهودية حول اليهود في الولايات المتحدة كتبه مجموعة من الباحثين: Cyrus Adler Herbert Friedenwald Herman Rosenthal Judah David Eisenstein Joseph Jacobs.

جاء فيه:

قدم المستوطنون الأوائل الى الولايات المتحدة من إسبانيا والبرتغال. والمغامرون الأوائل كانوا مدفوعين بدافع البحث عن أرض وموطن جديد خال

(1) موجز التاريخ الأميركي، مكتب برامج الإعلام الخارجي وزارة الخارجية الأميركية، 1997، الفصل الأول، ص1: وما بعدها.

من التعصب والإضطهاد الديني الذي كان يسود في البلاد الأوروبية. إن المهاجرين الجدد في البلاد كانوا يبحثون عن ركن يمارسون فيه معتقداتهم الدينية بحرية لا يشوبها شيء.

ما كان يجري من أحداث في القارة الأوروبية وما ولدته من انعكاس على التطور بالأراضي الأميركية ممكن أن يقرأ بسهولة من استعراض تاريخ الهجرة اليهودية إليها.

المستكشفون الأوائل مستوطنو أمريكا جاؤوا من إسبانيا والبرتغال؛ وتبعهم اليهود واستوطنوا طبيعياً في البدء مع من يحسنون لغته. لذا الآثار الأولى لليهود نجدها في جنوب القارة الأميركية وأمريكا الوسطى والمكسيك، وبعدها تمددوا إلى جزر الهند الغربية؛ والتغييرات التي جرت في خريطة أوروبا إنعكست في أمريكا أثناء القرن السابع عشر والثامن عشر وسببت المستوطنات الأولى في الأرض التي هي الآن الولايات المتحدة.

التسامح الديني الذي ساد في هولندا (عملياً المأوى اليهودي الوحيد في أوروبا الغربية في القرن السادس عشر والسابع عشر) امتد إلى مستعمراتها في العالم الجديد، وأدى إلى وضع الأساس الذي تطور إلى وجود جالية نيويورك العظيمة.

بسبب الامتنان لما ساد من تسامح ديني في هولندا ساعد اليهود الهولنديين عملياً في مقاومتهم الإنتهاك الأجنبي. خصوصاً في أمريكا الجنوبية؛ من إسبانيا، البرتغال، وهولندا، حيث جاء أغلب المستوطنين الأوائل؛ وكانت الغالبية من اليهود هم من طائفة Sephardic مع قلة من أصل ألماني Ashkenazic كان يمكن أن يلحظ وجودهم.

لم يكن في انجلترا بين السكان حتى مطلع القرن الثامن عشر سوى قلة من اليهود تسكن في المناطق المجاورة لشواطئ البحر.

مستعمرة جورجيا منذ عام 1733 تواجد فيها عدد كبير من اليهود المهاجرين الذين كانوا يصلون إليها على ظهر مراكب قادمة من المرافىء في انجلترا التي كانت قبلة المسافر الأوروبي إلى العالم الجديد لسبب سهولة الإنتقال منها إليه.

الأعداد الكبيرة من الألمان التي نشدت مأوى من الإضطهاد في الهواء الأكثر حرية لبينسلفانيا، أثناء القرن الثامن عشر، جذبت معها اليهود أيضاً. إستقروا ليس فقط في بلدات الساحل، لكن وجدوا طريقهم إلى الداخل، وقبل إنتهاء القرن كانوا من بين الذين أسسوا تطوير الأجزاء الغربية من الولاية. وبسبب الأحداث الحزينة التي جرت في بولندا بتاريخ 1772، توجه اليهود بسفرهم منها صوب الولايات المتحدة.

الحروب النابليونية وما سببته من ضيق على السكان في الإمارات الألمانية الجنوبية، دفعت بالسكان نحو المزيد من الهجرة نحو الولايات المتحدة الأميركية.. وانضم اليهود إلى هذه الحركة المهاجرة عند نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر وتصاعدت الهجرة بسرعة بسبب أحداث 1848. ومن ذلك الوقت حتى 1870، كان هناك سيل من المهاجرين اليهود مما ضاعف أعدادهم في البلاد أربع مرات خلال فترة عشرين سنة فقط.

☆ ☆ ☆

الهجرة الروسية

كانت الهجرةاليهودية من روسيا وما يجاورها من بلاد من مثل بولونيا فوق كل التوقعات، وتعود بتاريخها لزمن عام 1821 ولكنها لم تصبح ذات وزن حتى بعدما ضعفت الهجرة الألمانية عام 1821. فلقد حل في الولايات المتحدة ما يصل إلى 50,000 شخص خلال العقد اللاحق آتين من بولندا، روسيا، ورومانيا، وغاليسيا.لكن تصاعدها أصبح ملحوظاً بدءاً من زمن تصاعد انتشار معاداة السامية. فلقد تصاعدت الهجرة من روسيا لوحدها من معدل 4100 شخص سنوياً فيما بين 1871 ـ 1880 الى 20700 فيما بين 1881 ـ 1890 وبعد

ذلك استمرت الهجرة من روسيا في تصاعدها وكانت انجلترا والولايات المتحدة قبلة المهاجرين.والإضطهاد الذي ساد في رومانيا منذ زمن 1900 سبب أيضاً هجرة كثيفة أيضاً بإتجاه البلدين السابقين. وتسجل سجلات المرافىء الثلاثة لكل من New York, Philadelphia, and Baltimore منذ زمن عام 1881 حتى الأول من تشرين الأول من عام 1905 دخول 996908 يهودي ولا يدخل ضمن العدد المذكور السابق من كان من الديانة المسيحية وقدم إلى الولايات المتحدة إما من النمسا أو روسيا.

☆ ☆ ☆

ارتبط التواجد اليهودي في الولايات المتحدة بالتواجد الاستعماري الهولندي فيها، فلقد كان بين حاملي أسهم شركة الهند الغربية الهولندية التي تأسست عام 1620 عدد من اليهود وكان تأثيرهم على ممتلكات تلك الشركة منذ ذلك الزمن وصاعداً فاعلاً بشكل كبير. وتظهر جداول الجنود والبحارة المرسلين عام 1652 نحو أمستردام الجديدة (النيويورك) وجوداً ليهود مكلفين بالعمل هناك لمدة عام.

أول اليهود الذين عرفوا باستيطانهم في أمستردام الجديدة كان Barsimson Jacob الذي وصل بتارخ 8 تموز/ يوليو 1654 على ظهر الباخرة «شجرة الكمثري» «Pear Tree» وتبعه في نفس العام فريق من ثلاثة وعشرين شخصاً وصلوا على ظهر الباخرة «القديسة كتارينا» «Saint Catarina». من المحتمل أنهم جاؤوا من البرازيل، عن طريق كوبا وجامايكا، مطرودين بعدما إستسلمت تلك البلاد في عام 1654. المستند الرسمي المثبت لوصولهم هو الإجراء القانوني المقام ضدهم من رب السفينه من أجل عدم تسديدهم لرسوم المرور الذي جعلوا بالصورة الجماعية مسؤولين عن تسديده. كان البعض منهم لا يملك ما يسدد ما يتوجب عليه من رسوم وهكذا سجن اثنان منهم من أجل ذلك. وآخرون وصلوا أيضاً ولم يكن بعد بت بالأمر السابق نهائياً مما أثار غضب الحاكم Peter Stuyvesant الهولندي لمدينة أمستردام الجديدة وأمرهم

بالمغادرة وكتب إلى مدراء شركة غرب الهند الهولندية طالباً الإذن من السلطة لإستثنائهم. المدير العام Stuyvesant نقض قرار الحاكم بتاريخ أبريل/نيسان 26، 1655، وأبلغه بأن موقفَه «كان غير معقول وغير عادل، خصوصاً بسبب الخسارة الكبيرة التي تحملت من قبل اليهود في أخذ البرازيل، وأيضاً بسبب الكمية الكبيرة لرؤوس الأموال التي إستثمروها في أسهم الشركة.» وأفاد المدراء الحكام «بأن اليهود سيكون عندهم رخصة للإبحار والعودة والتجارة في هولندا الجديدة والعيش والبقاء هناك.» لكن تعليمات Stuyvesant لم تحمل المحمل الحسن ووضعت العواقب العديدة في وجه هؤلاء المستوطنين الجدد مما استدعى إعادة تأكيد التعليمات الصادرة السابقة عن Stuyvesant بتاريخ آذار من عام 1659 أكد فيها أن اليهود يتمتعون في أمستردام الجديدة بنفس الحقوق المدنية والسياسية التي يتمتعون بها في أمستردام ولهم كامل الحقوق بالتملك العقاري أو بممارسة التجارة لكن لا يسمح لهم بتبوؤ الوظائف العامة أو بممارسة تجارة المفرق. هذا المنع من ممارسة تجارة المفرق كان له أثر كبير على مستقبلهم الخاص بالإضافة إلى مستقبل الأعمال التجارية في تلك المستعمرة. فتوجه اليهود نحو تجارة الإستيراد والتصدير التي كانوا يملكون قسطاً كبيراً من الخبرة في ميدانها ومن العلاقات الدولية التي تتطلبها.

☆ ☆ ☆

Levy Asser كان الرقم الأبرز بين هؤلاء الرواد اليهود في مستعمرة أمستردام الجديدة وبفضل من جهوده حصل اليهود على العديد من الحقوق السياسية والمدنية.

في عام 1685 رفض الطلب المرفوع من السيد Saul Brown للإذن له بممارسة تجارة المفرق، ومثله كان حق اليهود في ممارسة الإعلان بالصورة العلنية عن شعائرهم الدينية وهي التي كانت تمارس بصورة خاصة في بعض أماكن العبادة الخاصة وخريطة مدينة نيويورك لعام 1695 تظهر وجود كنس يهودي في حي Saul Brown Beaver street.

في عام 1655، شاء Levy Asser الالتحاق مع آخرين في المقاومة الشعبية؛ لكنهم رفضوا، وفرض عليهم دفع ضريبة خاصة بسبب من استثنائهم. خضع للأمر وفي نوفمبر/تشرين الثّاني 5، 1655، إلتمس الإجازة بأن يكون أحد حراس أمستردام الجديدة اسوة بباقي المواطنين. رفض الإلتماس لكنه رفع شكوى للسلطات العليا واستطاع بتاريخ 1657 الحصول على حق بأن يكون من حراس أمستردام الجديدة اسوة بباقي المواطنين. كان اليهودي الأول الذي امتلك رقعة أرض في منطقة Albany and New York city. اسمه سجل بصورة دائمة في سجلات القضاء وكانت الأحكام القضائية دائماً صادرة لجانبه. ويبدو أنه استطاع أن يجمع ثروة كبيرة، وكان من بين الرجال البارزين المحترمين في البلد.

شخص أخر من المستوطنين الأوائل Lucena de Abraham تقدم مع عدد آخر من الأشخا ص بطلب شراء أرض لتخصيصها كمقبرة خاصة باليهود، رفض في البدء الطلب بحجة عدم الحاجة لذلك لكن صدق عليه في السنة اللاحقة.

وفي عام 1658 تمنع رووساء البلديات السماح بتنفيذ حكم قضائي مدني في وجه Jacob Barsimson سببه تغيب الأخير عن الحضور إلى المحكمة يوم السبت بقولهم: «المتهم غير مقصر بتغيبه والسبب أن يوم الاستدعاء هو يوم السبت وهو يوم الراحه بالنسبة لمعتقده الديني» هذه الحالة من التسامح الديني كانت بمثابة المهماز لصدور قانون في مدينة نيويورك بعد مئتي عام ينص على عدم السماح بالعمل لأي شخص يوم السبت.

في أكتوبر/تشرين الأول، 1660 Asser Levy وMoses de Lucena أجيزا كجزارين، أقسما «قسم اليهود» وإنهما ليسا بمجبرين على ذبح أي خنازير.

☆ ☆ ☆

تحت الحكم الإنجليزي

لم تتأثر أوضاع حقوق اليهود بعدما أخضع الإنجليز المستعمرة لسلطتهم

عام 1664 ولعشرين عاماً لاحقة لم يظهر أي تبديل رغماً عن التزايد اليهودي المستمر الطفيف.

في عام 1672 Rabba Couty طلب الدعم من اللجنة الملكية في لندن في وجه الحكم القضائي الصادر من القضاء الجاميكي بشأن إحدى سفنه التي غرمت بمصادرتها. أجيب طلبه، وثبتت نتيجة ذلك حقوق اليهود ومساواتها بحقوق باقي الرعايا البريطانيين، وكانت القضية الأولى التي عكست روح المساواة بين جميع المواطنين.

في عام 1685 رفض الطلب المرفوع من Saul Brown للإذن له بممارسة تجارة المفرق، ومثله كان حق اليهود في ممارسة الإعلان بالصورة العلنية عن شعائرهم الدينية وهي التي كانت تمارس بصورة خاصة في بعض أماكن العبادة الخاصة وخريطة مدينة نيويورك لعام 1695 تظهر وجود كنس يهودي في حي Beaver street، والسيد Saul Brown ككاهن، وشمل الكنيس تجمعاً من عشرين عائلة. وبعد مرور خمس سنوات أصبح الكنيس يعرف كمعلم من معالم المنطقة.

كاهن الطائفة Abraham de Lucena اعفي من الخدمة العسكرية بصفته كاهناً وتمتع بنفس الحقوق التي كان يتمتع بها أمثاله من الطوائف الأخرى.

زمن محفل Shearith Israel في مدينة نيويورك يبدأ بتاريخ 1729 حيث كان في منطقة شارع الطاحونة، وتشير الوثائق إلى أن زمن انشائه يعود إلى عام 1706. هذا المحفل الذي افتتح في عام 1730 كان زمن افتتاحه يسبق عامين زمن إنشاء أول كنس في الولايات المتحدة الأميركية. مما يظهر بأن الحقوق الدينية للمستوطنين الأول تأمنت منذ تاريخ مطلع القرن الثامن عشر وارفقت معها العديد من الحقوق السياسية. بقانون صادقت عليه الجَمعية العامة لنيويورك في نوفمبر/ تشرين الثّاني 15، 1727، يشيرأنه عندما يطلب من أي مواطن بريطاني القسم يسمح لمن هو من العقيدة اليهودية حذف المقطع الذي يقول «على الإيمان

المسيحي». وبعد ثلاثة أيام صدر قانون التطبيع Daniel Nude Costa.

وفي عام 1737 واثر تخاصم سياسي في البلد قررت الجمعية العامة للنواب عدم السماح لليهود بأن ينتخبوا أعضاء للبرلمان.

وفي عام 1740 قررت الجمعية العامة للبرلمان بالسماح لليهود الأجانب التجنس في المستعمرة.

قبل هذا التاريخ، على أية حال، عبرت، في برلمان نيويورك، مراسيم خاصة عديدة من التجنس، البعض منها كانت خاصة ببعض الأفراد فقط؛ الآخرون، مثل القانون العائد إلى القسم ونصه السابق أضيف إلى نص الدستور. . وبين هذا الوقت وزمن حرب الثورة، الجالية اليهودية في هذه المستعمرة زادت بنسبة صغيرة، وكان المهاجرون الرئيسيون يجيئون من إسبانيا، البرتغال، وجزر الهند الغربية.

أثناء الحرب الفرنسية والهندية يعقوب فرانكس كان الوكيل الملكي، بالإشتراك مع نقابة بريطانية، لتموين القوات البريطانية في أمريكا؛ تعاملاته مع التاج أثناء هذه الفترة تجاوزت في قيمتها 000،£.750.

☆ ☆ ☆

في زمن الثورة الأميركية مثل اليهود في كلا جانبي النزاع، بين الثوار من جهة والسلطات العائدة للمستعمرين من جهة ثانية، لكن الغالبية منهم وقفت بجانب السلطة الرسمية في المستعمرة. وعلى نص الاتفاق البدائي الموقع عام 1769 كان هناك ليس أقل من خمسة أسماء يهود، ونفس الحالة توجد بشأن الاتفاقات الموقعة الأخرى.

في لحظة اندلاع الثورة في مدينة نيويورك تلاشى المحفل، وفي زمن الإحتلال البريطاني للمدينة قام Gershom Mendes Seixas بنقل جميع أغراض المحفل والكنيس إلى منطقة فيلادلفيا حيث تم تأسيس أول محفل Mickvé Israel عام 1782. والأعداد الصغيرة التي بقيت في المدينة استمرت في

استعمالها للكنيس الموجود هناك. وعند انتهاء الحرب عاد اليهود من ولاية فيلادلفيا إلى مدينة نيويورك حيث أصبحت الأخيرة واحدة من أهم المدن التجارية في أنحاء الولايات المتحدة الأميركية.

نمت الجالية في مدينة نيويورك ببطء وفي عام 1812 لم يكن تعدادها يزيد عن 500 فرد ولكن في كل الأحوال كان هناك البعض من اليهود الذين ساهموا في حرب 1812 لكنها منذ ذاك الزمن وصاعداً بدأت الجالية اليهودية تزدهر بازدياد.

.. المد العظيم للهجرة من ألمانيا التي حلت نحو بداية الربع الأول من القرن التاسع عشر جلبت معها العديد من اليهود. أغلب المهاجرين الأوائل إستقروا في مدينة نيويورك، القلة منهم ساحت في الجوار وبلغ البعض منطقة ولاية بينسلفانيا الآن.

وكانت الأعداد كافية في عام 1825 لتأسيس التجمع اليهودي الألماني الأول. أثناء السنوات الأربعين التالية المحافل الألمانية زادتْ بسرعة، لكي تصل بعام 1850 إلى ما لا يقلّ عن عشرة محافل مقامة. وأسّست الجمعيات الخيرية ومنظمات الإغاثة؛ وعدد كبير من اليهود ساهم بجزء من الحرب المكسيكية ودخل في الخدمة الحكومية. التدفق الكبير الذي تتابع في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر أدّى إلى تأسيس التجمعات الكبيرة التي تطورت بشكل ملحوظ بعد ذلك. قبل عام 1881 قدم الجزء الأكبر من المهاجرين من ألمانيا، بافاريا، وبولندا. لكن منذ ذلك التاريخ الأخير شكلت روسيا، ورومانيا، وغليسيا، موطن القادمين الجدد إلى البلاد. وفي الوقت الحاضر (1905) يقدّر السكان اليهود لولاية نيويورك بـ820،000. يشاركون في كل ميادين النشاط الإنساني في مدينة نيويورك أكان سياسياً، أم إعلاناً تجارياً، أم صناعياً.



الخاتمة

«إننا لا نبالغ على الإطلاق إذا قلنا أن النظرة العربية الشائعة نحو اليهود وتاريخهم السياسي وغير السياسي خيالية، ناتجة عن تراكم مجموعة من الأساطير الدينية والقصص المتداولة، والإنطباعات الفجة، والإسقاطات الذاتية والنفسية عن الواقع الخارجي. وبعد أن أعطيت هذه العناصر طابع الشمول والرصانة تكرست في الأذهان المحافظة بصورة ضمنية ومستترة. لذلك يندر أن نقع على كتاب باللغة العربية يتطرق إلى موضوع اليهود أو ما يمت إليهم بصلة دون أن تجد فيه تكراراً واجتراراً للنظرة الخيالية إياها أو لبعض من أجزائها وعناصرها وتأثيرها.»[1]

☆ ☆ ☆

ويقول ابرهام ليون في كتابه «التفسير المادي للمسألة اليهودية» «..... ولا تقتصر دراسة تطور المسألة (اليهودية) على فائدة «أكاديمية» فحسب، فبدون دراسة عميقة للتاريخ اليهودي، يمسي من الصعب فهم المسألة اليهودية في عصرنا الحاضر، إذ إن وضع اليهود في القرن العشرين مرتبط عضوياً بماضيهم التاريخي.

---

(1) العظم صادق جلال، دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية، الطليعة، ط: 1 1970، ص 10.

.... إن كل وضع إجتماعي هو مرحلة من مراحل السيرورة الإجتماعية، وكل تحليل للمسألة اليهودية في المرحلة الحاضرة من تطورها يستلزم معرفة جذورها التاريخية.»

☆ ☆ ☆

إن جل ما هدفت إليه من هذا العمل هو السعي والمحاولة للمعرفة العلمية لمن نحن اليوم على صراع وجود معه، وعلّي أكون قد أصبت بما سعيت إليه، وليس لي أن أقول من مزيد سوى أن لنا لقاء آخر في الجزء الثاني، وثالث في الجزء الثالث والأخير، إن كان هناك من فسحة في العمر.

وأفضل أن أترك لذلك الزمن ما هناك من خلاصة قد تكون مفيدة وناتجة عن هذا البحث.

ولكن لابد لي من أن أسجل بأن العداوة الدينية بين المسيحية واليهودية في أوروبا دامت أعواماً مديدة، كما رأينا، ورزأتنا بما هناك اليوم من قضية في فلسطين، وهذه العداوة أثرها ظاهر من خلال الممارسات الدموية لليهود في فلسطين مع الفلسطينيين، هذه الممارسة التي أحد أسبابها التنفيس عما عاناه اليهود من اضطهاد من المسيحيين الأوروبين عبر آلآف السنيين الماضية، فأنا أعتقد بأن اليهود اليوم وفي كل أنحاء العالم يعانون من العقد النفسيه الكثيرة ولا بد حين التعامل معهم من أخذ هذا الأمر مأخذ الجد.

لقاؤنا في الجزء الثاني وكلي أمل بأن لا يكون بعيداً.

☆ ☆ ☆

انتهى الجزء الأول

فهرس المراجع بحسب ورودها

1 ـ بركات د. حليم، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط: 6، 1998.

2 ـ البيطار د. نديم، المثقفون والثورة، بيسان، ط:2، 2001.

3 ـ محمود د. أمين عبدالله، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة 74، الكويت، 1984.

4 ـ الأنصاري، . محمد جابر، الفكر العربي وصراع الأضداد، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط:2، 1999.

5 ـ صعب د. حسن، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، ط:3، 1980.

6 ـ فرسخ عوني، التحدي والإستجابة في الصراع العربي ـ الصهيوني ...، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، 2008.

7 ـ المسيري عبد الوهاب، نهاية إسرائيل، مجلة معلومات اللبنانية، المركز العربي للمعلومات، آب 2008.

8 ـ الزين سميح عاطف، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، ط: 2، 1991.

9 ـ صعب د. حسن، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، ط:3، 1980.

10 ـ رياض د. محمد، الشرق الأوسط دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي، دار النهضة العربية بيروت، ط: 1، 1974.

11 ـ زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط، دار النهار للنشر بيروت، ط: 3، 1977.

12 ـ ديورربت ول، قصة الحضارة، ترجمة بدران، جامعة الدول العربية، 1960.

13 ـ ضاهر د. مسعود، النهضة العربية والنهضة اليابانية، سلسلة عالم المعرفة العدد 252، الكويت، 1999.

14 ـ اميل خوري، عادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، دار النشر للسياسة والتاريخ بيروت 1961، ط: 1.

15 ـ عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي.

16 ـ أبوعسل إيلي ليفي، يقظة العالم اليهودي، ط: 1 القاهرة، 1934.

17 ـ صليبا لويس، من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام، دار ومكتبة بيبليون، جبيل لبنان، 2007.

18 ـ المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف في كتابه:
Nahum Sokolow, History of Zionism,, 1600-1918, 2 vols, London; New York; Longmans; Green and Co, 1919, vol. 2, p: 200 - 222.

19 ـ هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق، ط: 1، 1996.

20 ـ خضر د. خضر، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1789 ـ 1914)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان، دون تاريخ.

21 ـ حلاق د. حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 ـ 1909، ط: 1978، جامعة بيروت العربية، 1978.

22 ـ فرسخ عوني، التحدي والإستجابه في الصراع العربي ـ الصهيوني . . .، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، 2008.

23 ـ رفعت محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف مصر، 1959.

24 ـ دروزه محمد عزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، العصرية صيدا ـ بيروت، ج: 1، ص: 5 و6.

25 ـ عوض د. لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث، من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، مدبولي القاهرة، ط: 4، 1987، ج: 1، ص: 55.

26 ـ العظم صادق جلال، دراسات يسارية في المسألة الفلسطينية، الطليعة بيروت، ط: 1 1970، ص: 36.

27 ـ الأنصاري د. محمد جابر، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، عالم المعرفة، عدد 35، 1980.

28 ـ برير الأب مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الصهيوني، ترجمة أحمد خليل زياد منى، قدمس للنشر وللتوزيع، ط: 2، 2000.

29 ـ نصر شمالي وهشام الدجاني، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، المستقبل دمشق، 1990.

30 ـ حسن صبري الخولي: سياسة الاستعمار والصهيونية.

31 ـ شوفاني الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، ط: 3 2003، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

32- PRO FO371/3058, in Ingrams 1972: 9.

33 ـ وايزمن حاييم، مذكرات حاييم وايزمن، بقلمه، دار الفنون بيروت، ط: 1، 2006.

34 ـ طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1975.

35 ـ الأمم المتحدة، منشأ القضية الفلسطينية وتطورها 1917 ـ 1988 (نيويورك 1990).

36 ـ نص صك الانتداب في وثيقة الأمم المتحدة.

37 ـ صاغية فخري، اتفاق 17 ايار، صادر، بيروت، دون تاريخ.

38 ـ شاحاك إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

39 - Matti GOLAN, Shimon Peres, Nicolson, London, 1982, P: 21.

40 ـ القوات المدرعة الإسرائيلية عبر أربع حروب، لمحمود عزمي.

41 ـ الاستراتيجية العسكرية للحروب العربية ـ الإسرائيلية، د. هيثم الكيلاني.

42 ـ سلامة د. غسان، السياسة الأميركية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 1، 1982.

43 ـ كارتر جيمي، د. إبراهيم، رؤية إلى الشرق الأوسط، ترجمة سامي جابر، دار المروج، 1986.

44 ـ جريدة السفير لبنان، الصفحة الأولى، تاريخ 17، تموز، 2009.

45 ـ مستقبل المشروع الصهيوني، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، العدد: 57، آب 2008.

46 ـ اسحاق دويتشر، دراسات في المسألة اليهودية، دار الحقيقة بيروت، 1971 ط: 1.

47 ـ ج. ج. غولدبرغ، القوة الخفية داخل المؤسسة اليهودية الأميركية، ترجمة خالد حداد، الذاكرة بيروت، ط: 1، 2000.

48 ـ الدكتور مصطفى كمال عبد الحليم والدكتور فرح راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم. . ، ط: 1، 1995.

49 - The Soncino Talmud,.

50 ـ نوفل نعمة الله نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، دار لحد خاطر طبعة 1987.

51 ـ برتوكولات حكماء صهيون، دار الفنون في بيروت، طبعته الثالثة عام 2002.

52 - THE HISTORY OF THE TALMUD, MICHAEL L. RODKINSON, Volume I. (XIX.), BOSTON, THE TALMUD SOCIETY, introduction,. 1918,.

53 ـ رودكنسون مايكل، التلمود البابلي، مؤسسة نشر التلمود الجديدة بوسطن، كلمة الناشر، 1903ط2.

54 - Jewish Encyclopedia, art.: Jews In Rome.

55 - Golan, Matti, Shimon Peres, 1982.

56 - «Contra Ap.,» ed. Niese, ii. 8, Apion, (= 95),.

57 ـ الصليبي د.كمال، البحث عن يسوع، ط: 1، 1999، الشروق للنشر.

58 ـ المسيري د. عبد الوهاب، الموسوعة اليهودية.

59 ـ الصليبي د. كمال، حروب داود، الشروق للنشر، ط: 1، 1990، ص: 12.

60 ـ هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ج2، ترجمة جاويد، ط3، ص: 284، 285.

61 ـ يوسف د. القس صموئيل، المدخل إلى العهد القديم، دار الثقافة القاهرة، ط2، 2005، ص: 77.

62 ـ قنديل د. عبد الرزاق أحمد، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مركز بحوث الشرق الأوسط القاهرة، 1984.

63 - Kautzsch, E, Hebräische Grammatik, S. 3b-d.

64 ـ سليمان د. توفيق، نقد النظرية السامية، ج 1، دار دمشق ط1، 1982، البحث الأول.

65 ـ الكتاب المقدس العهد القديم، الترجمة العربية اليسوعية، دار المشرق، 1991، بيروت.

66 ـ الصليبي كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية.

67 - (I Macc. viii.).

68 - (Valerius Maximus, i. 2, 3).

69 - (Cicero, «Pro Flacco,» 28).

70 - (Josephus, «B. J.» ii. 6, 1).

71 ـ عاشور د. سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، الأنجلو المصرية، 1986.

38 – شاحاك إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

39 - Matti GOLAN, Shimon Peres, Nicolson, London, 1982, P: 21.

40 – القوات المدرعة الإسرائيلية عبر أربع حروب، لمحمود عزمي.

41 – الاستراتيجية العسكرية للحروب العربية – الإسرائيلية، د. هيثم الكيلاني.

42 – سلامة د. غسان، السياسة الأميركية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 1، 1982.

43 – كارتر جيمي، د. إبراهيم، رؤية إلى الشرق الأوسط، ترجمة سامي جابر، دار المروج، 1986.

44 – جريدة السفير لبنان، الصفحة الأولى، تاريخ 17، تموز، 2009.

45 – مستقبل المشروع الصهيوني، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، العدد: 57، آب 2008.

46 – اسحاق دويتشر، دراسات في المسألة اليهودية، دار الحقيقة بيروت، 1971 ط: 1.

47 – ج. ج. غولدبرغ، القوة الخفية داخل المؤسسة اليهودية الأميركية، ترجمة خالد حداد، الذاكرة بيروت، ط: 1، 2000.

48 – الدكتور مصطفى كمال عبد الحليم والدكتور فرح راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم..، ط: 1، 1995.

49 - The Soncino Talmud,.

50 – نوفل نعمة الله نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، دار لحد خاطر طبعة 1987.

51 – برتوكولات حكماء صهيون، دار الفنون في بيروت، طبعته الثالثة عام 2002.

52 - THE HISTORY OF THE TALMUD, MICHAEL L. RODKINSON, Volume I. (XIX.), BOSTON, THE TALMUD SOCIETY, introduction,. 1918,.

53 – رودكنسون مايكل، التلمود البابلي، مؤسسة نشر التلمود الجديدة بوسطن، كلمة الناشر، 1903ط2.

54 - Jewish Encyclopedia, art.: Jews In Rome.

55 - Golan, Matti, Shimon Peres, 1982.

56 - «Contra Ap.,» ed. Niese, ii. 8, Apion, (= 95),.

57 – الصليبي د.كمال، البحث عن يسوع، ط: 1، 1999، الشروق للنشر.

58 – المسيري د. عبد الوهاب، الموسوعة اليهودية.

59 – الصليبي د. كمال، حروب داود، الشروق للنشر، ط: 1، 1990، ص: 12.

60 – هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ج2، ترجمة جاويد، ط3، ص: 284، 285.

61 – يوسف د. القس صموئيل، المدخل إلى العهد القديم، دار الثقافة القاهرة، ط2، 2005، ص: 77.

62 – قنديل د. عبد الرزاق أحمد، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مركز بحوث الشرق الأوسط القاهرة، 1984.

63 - Kautzsch, E, Hebräische Grammatik, S. 3b-d.

64 – سليمان د. توفيق، نقد النظرية السامية، ج 1، دار دمشق ط1، 1982، البحث الأول.

65 – الكتاب المقدس العهد القديم، الترجمة العربية اليسوعية، دار المشرق، 1991، بيروت.

66 – الصليبي كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية.

67 - (I Macc. viii.).

68 - (Valerius Maximus, i. 2, 3).

69 - (Cicero, «Pro Flacco,» 28).

70 - (Josephus, «B. J.» ii. 6, 1).

71 – عاشور د. سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، الأنجلو المصرية، 1986.

72 ـ كساب الارشمندريت حنانيا الياس، مجموعة الشرع الكنسي،منشورات النور، 1985.

73 ـ العهد الجديد، الترجمة اليسوعية، 1991، دار المشرق، ط: 2.

74 ـ ان المعلومات الوارده في هذا الفصل مستقاة من البحث الذي جاء في موسوعة الوكيبيديا وفي الموسوعة اليهودية تحت عنوان:
History of the Jews in Poland، حيث لا نشير إلى مصدر آخر.

75 - Shaprut Harkavy «Soobshchenija o Chazarakh» in «Yevreiskaya Biblioteka, vii. 153.

76 ـ عطوي محمد، هجرات اليهود السوفيات، دار الحمراء، بيروت، ط: 1، 1991، ص: 15 وما بعدها.

77 - Istoriya Rossii» part: .xv.

78 - Demidov st Donato «المسألة اليهودية في روسيا» P. 36. St Petersburg, 188.

79 - Josephus, «Ant.» xvii. 13, = = 2-3; idem, «B. J.» ii. 7, = 3; Dion Cassius Cocceianus, «Hist. Romæ,» lv. 27; Strabo, xvi. 2, 46.

80 - Josephus, «Ant.» xviii. 7, = 2, but differently in «B. J.» ii. 9, = 6.

81 - Venantius Fortunatus, «Vita S. Hilarii,» iii.

82 - («Constit. Sirmond.» vi., ed. Hoenel, «Corpus Juris Antejustin.» i. 458

83 - Honoratus «Vita Hilarii,» 22; «Prosperi et Honorati Opera,» ed. Salinas, p. 304, Rome, 1732

84 - «Concil. Vanet.» can. 12; Mansi, «Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio,» vii. 954.

85 - for Clermont, see Gregory of Tours, «Hist. Franc.» v. 11; for Orleans, ib. viii. 1.

86 - «Cod. Theod.» 4, xvi. 8: «Hieros et archisynagogos et patres synagogarum et ceteros qui synagogis deserviunt».

87 - «Concil. Vanet.» can. 12; Mansi, vii. 954; compare the action of the Council of Elvira in 305.

88 - «Concil. Matisc.» can. 14; Mansi, xiv. 836»

89 - see «Beiträge zur Capitularienkritik,» p. 21

90 - «Vita Ferreoli, apud Marcus Antonius Dominicy, Ausberti Familia Rediviva,» App., p.27, Paris, 1648»

91 - Gregory of Tours, «Hist. Franc.» vi. 17.

92 - Gregory of Tours, «Hist. Franc.» viii. 1

93 - «Chlotar. Edit.» cap. x., ed. Boretius, i. 22

94 - («Lex Rom. Burg.» tit. xix. 4; «Monum. Germ. LL.» iii. 609

95 - («Libr Leg. Gundob.» 102, 1-3; «Monum. Germ. LL.» iii. 573

96 - («Pauli et Petri Carmina,» 25, 25: Migne, «Patrol. Lat., Poet. Lat. Carol.» i. 60

97 - («Vita Ferreoli,» *l.c*

98 - Venantius Fortunatus, «Vita S. Germ.» cap. 62

99 - Gregory of Tours, «Hist. Franc.» v. 11; Venantius Fortunatus, «Carm.» v. 5, a poem written at the command of Gregory

100 - («Epist. Greg.» i. 47; ed. Migne, lxxvii. 509

101 - Vita S. Sulpicii,» i. 14

102 - Vita S. Cæsarii Episc. Arelat.» i., by S. Cyprius, Bishop of Toulouse; ed. Migne, «Patrol. Lat.» lxvii

103 - see Israel Levi **in** «R. E. J.» xxx. 295 *et seq*

104 - Fredeg. «Chron.» 65, ed. Monod, p. 147; comp. «Gesta Dagoberti,» c. 24; Bouquet, ii. 586

105 - («R. E. J.» xix. 75

106 - Hist. Rebel. Adversus Wambam **Insultatio in** Tyrann. Galliæ,» i. 25; ed. Migne, xcvi. 797

107 - Dom Vaissette, «Hist. Générale de Languedoc,» ed. Privas, i. 750-751

108 - StephaniPapæ Epist.» 2; ed. Migne, cxxix. 857

109 - Dom Vaissette, ed. Du Mège, addit. to iii. 30

110 - (Neubauer, **in** «R. E. J.» x. 98-99

111 - Note of Du Mège, «Mémoires de la Société des Antiquaires,» 1829, viii. 340

112 - Capit. de Judæis,» cap. 4; Boretius, i. 258

113 - Capit. Miss. Aquisgran. Alt.» cap. 13; Boretius, i. 152

114 - Capit. de Judæis,» cap. 1-3; Boretius, i. 258: though it is doubtful whether this paragraph dates from Charlemagne *ib.*; also a doubtful paragraph according to Boretius

115 - («Mon. Sangal.» i. 16; «Monum. Germ., Scriptores,» ii. 737

116 - ib. ii. 14; ii. 757

117 - «Einh. Annal.» ad ann. 801; «Monum. Germ., Scriptores,» 1, 190

118 - Sefer ha-Ḳabbalah,» ed. Neubauer, **in** «Med. Jew. Chron.» i. 82

119 - («'EmeḲ ha-Bakah,» p. 13

120 - Formul. Imp.» 30; Rozière, «Recueil,» No. 27; Bouquet, vi. 649

121 - («Formul. Imp.» 31; Rozière, *l.c.* No. 28

122 - (Odorani, «Chron.» ad ann. 883; Bouquet, viii. 237

123 - (Vaissette. iii. 63

124 - («Hist. des Juifs du Languedoc,» p. 9

125 - («Richeri Historia,» lib. iv., toward the end, p. 308, ed. Guade

126 - Berliner's «Magazin,» iv.; «OẒar Ṭob,» p. 49

127 - («Chronicles of Adhémar of Chabannes,» ed. Bouquet, x. 152; «Chron. of William Godellus,» *ib.* 262, according to whom the event occurred **in** 1007 or 1008

128 - Berliner's «Magazin,» iii.; «OẒar Ṭob,» pp. 46-48

129 - («Monum. Germ., Scriptores,» iv. 137

130 - (Bouquet, x. 34

131 - («Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades,» p. 38, Paris, 1880

132 - («Concil.» ix. 1138 and 1154; Vaissette, 355

133 - Guibert de Nogent, ed. Bouquet, xii. 240; «Chron. Rothomag.»; Labbe, «Novæ Bibliothecæ, manuscript Lib.» i. 367

134 - anonymous text of Mayence, **in** A. Neubauer and Stern, «Hebräische Berichte über die Judenverfolgungenwährend der Kreuzzüge,» p. 47

135 - («Judenverfolgungen,» p. 64

136 - («Epistola,» 363; ed. Mkigne, clxxxii. 564

137 - («Epistola,» 36; ed. Migne, clxxxix. 366

138 - («Fragmentum Historicum Vitam Lud. Vll. Summatim Complectens,» **in** Bouquet, xii. 286

139 - Bouquet, xv. 968

140 - («Judenverfolgungen,» p. 64

141 - («Judenverfolgungen,» p. 62

142 - Bouquet, xii. 438; see also «Judenverfolgungen,» p. 34
- Bouquet, xiii. 520
- Bouquet, xii. 438; see also «Judenverfolgungen,» p. 34

143 - Rigord, «Gesta Philippi Augusti,» i., vi. 12-17; ed. Delaborde, pp. 14 *et seq.*;

144 - Guillaume le Breton, «Philippidos,» i. 389 *et seq.*; ed. Delaborde, p. 23

145 - Leopold Delisle, «Catalogue des Actes du Regne de Philippe Auguste,» 20, 21, 22, 27, 51, 58

146 - Etudes sur le Régime Financier de la **France**,» i. 315 *et seq.*

147 - Vuitry, *l.c.* after Brussel, «Nouvel Examen de l'Usage Général des Fiefs en **France**,» i., book ii., ch. xxxix., pp. 569 *et seq.*, Paris, 1750; «Ordonnances des Rois de **France**,» i. 35, 44

148 - Vuitry, *l.c*

149 - see Brussel, *l.c*

150 - («Diplòme de Brequigny,» ii. 2, 610; Bouquet, xix. 471

151 - 1208; Bouquet, xix, 497

152 - («Etablissements de St. Louis,» ed. Viollet, ii. 249-250, ch. 132-133, drawn from the «Customs of Anjou»

153 - («Ordonnances,» i. 47

154 - (Petit-Dutailles, «Etude sur la Vie et le Regne de Louis VIII.» Paris, 1894, **in** 101st fascicle of the Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes

155 - see on this obscure question Bouquet, xxiii. 214; Matthew Paris, iii. 104; I. Loeb, **in** «R. E. J.» xx. 26

156 - Vie de Saint Louis,» ed. De Wailly, pp. 18-19

157 - on these works see Israel Lévi **in** «R. E. J.» v. 239 *et seq.*, and Isidore Loeb, «La Controverse Religieuse Entre les Chrétiens et les Juifs au

Moyen Age en **France** et en Espagne,» **in** «Revue de l'Histoire des Religions,» 1888, p. 17

158 - Jubinal, «Mystères du XVe Siècle,» ii, 404-408), and «La Disputaison du Juyf et du Crestien» («Hist. Littèr. de la **France**,» 23, 217

159 - Geiger, «Proben Jüdischer Vertheidigung Gegen Christ. Angriffe im Mittelalter,» **in** Breslauer's «Jahrbuch,» i. and ii., 1850-51

160 - Zadoc Kahn, «Le Livre de Joseph le Zelateur,» **in** «R. E. J.» i. 222 *et seq.*, iii. 1 *et seq.*

161 - Bouquet, xxi. 27; «Continuation de Nangis,» p. 355

162 - 163 Vuitry, «Etudes,» new series, i. 91 *et seq.*; Simeon Luce, «Catalogue des Documents du Trésor des Chartres Relatifs aux Juifs sous le Regne de Philippe le Bel»)

163 - «R. E. J.» ii. 15 *et seq.*; Saige, pp. 27, 28, 87 *et seq*

164 - (Simeon Luce **in** «R. E. J.» ii. 16).

165 - («Gesch.» 3d ed., vii. 245

166 - (P. Lehugeur, «Hist. de Philippe le Long,» 1897; GrÌtz, «Geschichte,» 3d ed., pp. 255 *et seq.*)

167 - Actes du Parlement de Paris in 1319 .(5230»

168 - Bibliotheque de l'Ecole de Chartres,1849 p. 414.

169 - Mandet, «Hist. du Velay», iv. 117

170 - Fleury, «Hist. Eccl.» ch. 92

171 - Chronique des Quatre premiers Valois p. 295,

172 - Simeon Luce, «Rev. Hist.» vii. 362 *et seq.*

173 - («Mandements de Charles V.» ed. Delisle, No. 430, pp. 216, 217)

174 - order («Chron. des Réligieux de St. Denis»; «Chron. de Charles VI.» i. 53-57, in «Documents Inédits de l'Hist. de France»)

175 - Felibien Lobineaŭ «Hist» دي باريس, iii..

176 - Opera,» III., epist. cxvii

177 - Gesta Rerum Anglorum,» ed. Duffy, p. 500

178 - «Rot. Cart.» 105b

179 - Hebräische Berichte,» p. 64

180 - Gervase of Canterbury, ed. Stubbs, i. 205

181 - Roger of Wendover, ii. 232; but see Ramsay, «Angevin Empire,» p. 426, London, 1903

182 - Maitland, «Canon Law in England,» pp. 158-179

183 - Wilkins, «Concilia,» i. 675-676

184 - Stubbs, «Select Charters,» p. 365

185 - Stow, «Survey of London,» ed. Thoms, p. 15

186 - Riley, «Chron.» p. 177

187 - («De Antiquis Legibus Liber,» pp. 234 *et seq*

188 - («Jew. Chron.» Nov. 26, 1880

189 - 13 Geo. II., cap. 7

190 - Jacobs and Wolf, «Bibl. Anglo-Jud.» pp. 59-61

191 - L. Wolf, **in** «Jew. Chron.» Sept. 28, 1894, p. 10

192 - Tovey, «Anglo-Judaica,» pp. 287-295

193 - («Further Considerations of the Act,» pp. 34-35, London, 1753
- (*ib.* pp. 44 - 49

194 - 6 George III., cap. 52

195 ـ موجز التاريخ الأميركي، مكتب برامج الإعلام الخارجي وزارة الخارجية الأميركية، 1997 .

196 ـ العظم صادق جلال، دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية، الطليعة، ط 1: 1970 .

فهرس المحتويات

المسألة اليهودية

هذا الكتاب.. يتقصى بدراسة علمية تاريخية موثقة جذور الصراع اليهودي المسيحي في العالم وأوروبا بصورة خاصة، بصيغته الفكرية اللاهوتية الدينية، تحت «عنوان إشكالات رئيسية» تناولت فيها شرح تفاصيل حيثيات منبع الصراع الفكري اللاهوتي فيما بينهما، ومعه تاريخ الصراع بصيغته التاريخية الاجتماعية، وفق ما يرسمه المفكرون اليهود ضمن المصادر التي نشروها في الموضوع، وكان ذلك الإختيار مني عن قصد رغماً عما يتضمنه من محظورات، لأننا برأيي، أشد ما نحتاجه اليوم، هو أن ندخل إلى داخل عقل الآخر لنقرأ ما هو مخطوط فيه، لا أن نتوهم الأمور وفق ما نهوى، فنطلق الأحكام العامة دون تمحيص ودراسة. وليت مثل هذه الأقوال والأحكام العامة والمجتزأة التي نطلقها ونملأ بها الصحف عن انهيار الكيان الصهيوني، بعدما دخلت اسرائيل عصر التراجع والإنهيار، و.... الخ. لها أثر يرتجى، ويكون ما يذكر صحيحاً لا من الأماني، ولكنها أقوال ترضي النفس، وهي من كل جوانبها مضرة حتى أقصى المدى، وهي لا تشير إلا إلى تأخرنا وإلى عمق إيماننا وتسليمنا بالقوى الغيبية التي ستسخرها الطبيعة لتخدم مصالحنا وليتها تكون صحيحة، إنها أضغاث أحلام اليقظة التي وليدها الكوارث.

من المقدمة



